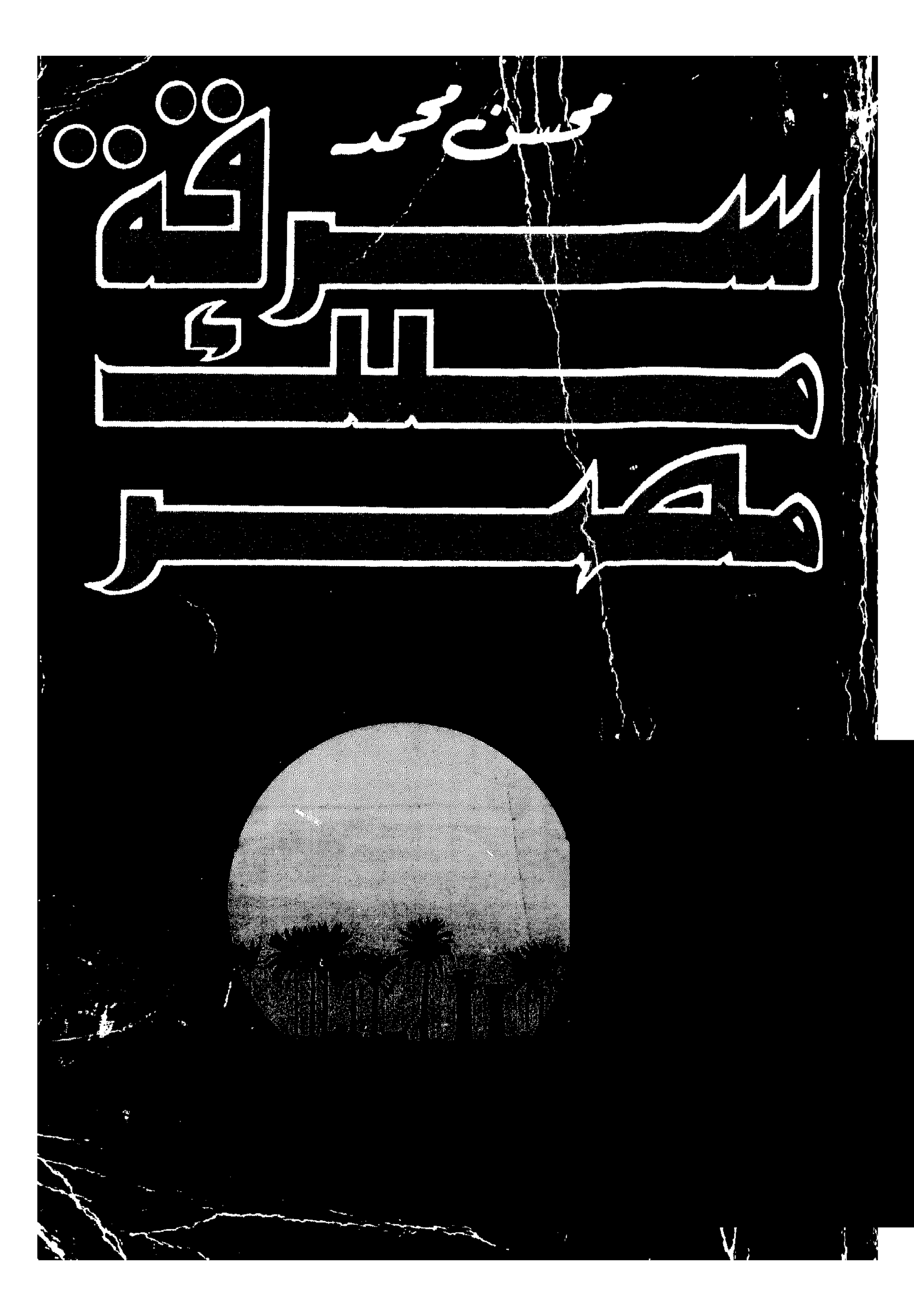
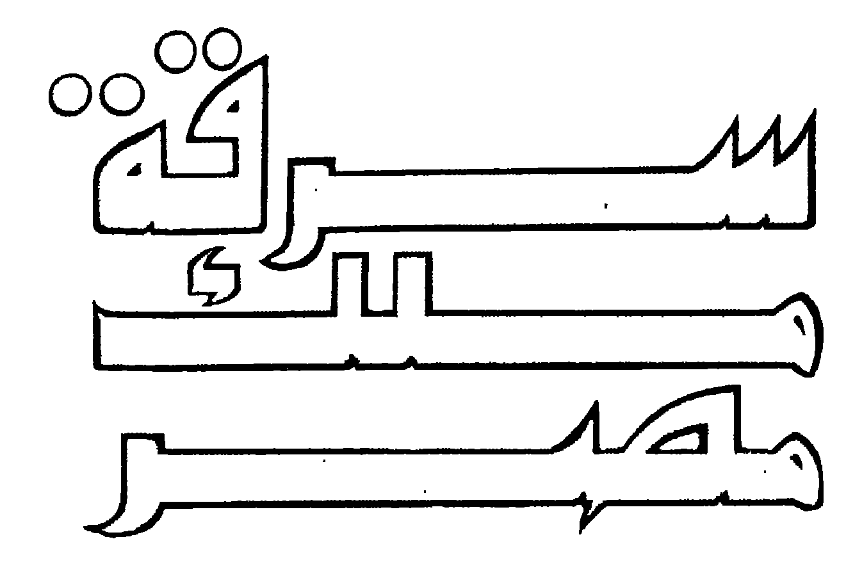

محسن محمد
سرقة
ملك
مصر

اهداءات ١٩٩٨
مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

محسن محمد



الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

الطبعة الثانية
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

جميع حقوق الطبع محفوظة
الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون ٧٤٨٢٤٨ - تلكس ٩٢٠٠٢ يوان

تصميم الغلاف
مصطفى حسين

المحتويات

وادى الملوك.. بلاملوك!

القدر وحده جاء بهذين الرجلين من إنجلترا ليجتمعا فى وادى الملوك . . بالاقصر .

الأول : اللورد كارنارفون واسمه الكامل « جورج ادوارد ستانهوب هربرت كارنارفون » !

ماتت أمه وعمره ٩ سنوات ، وكان أبوه وزيرا للمستعمرات مرتين .

تعلم فى أشهر كليتين فى بريطانيا ، ولكنه لم يحصل على شهادة جامعية أبدا . ثرى يملك عزبة مساحتها ٣٦ ألف فدان .

متعدد الهوايات ، والمواهب .

يهوى الطائرات والسيارات . شجع أحد مواطنيه على بناء طائرة أقلعت من عزبته . يملك سيارات فى أوربا قبل السماح بملكيتها فى بريطانيا . وعندما سمح بذلك حملت سيارته رقم ٣ فى لندن .

يحب سباق الخيل وله حظيرة حافلة ، اعتاد أن يقود أحد خيوله قبل السباق . . تفاؤلا ! وفازت خيوله لأول مرة فى ١٢ سباقا عام ١٩٠٢ وربح ٥٣٧٠ جنيها . وفى عام ١٩٠٤ ربحت خيوله مبلغ ١٢١٤٣ جنيها فى ٢٩ سباقا !

يهوى الصيد والفلاحة ويعتبر خبيرا فى التصوير ، أقام بعض

معارضه فقال المحترفون أنهم تعلموا كثيرا من هذا الفنان الهاوى !

يجمع اللوحات والكتب النادرة وكتب الفن ، ومكتب نابليون الذى كان يجلس عليه فى منفاه بجزيرة البا . . وعليه أثر أظافر الامبراطور !

تزوج وعمره ٢٩ عاما من فتاة جميلة اسمها المينا فيكتوريا مارى الكسندرا . وشهد حفل الزفاف أصحاب الألقاب والثروات يتقدمهم أفراد اسرة روتشيلد .

أنجب ابنا وبنتا .

وساعدته ثروته على الطواف بمعظم دول العالم . وحصل على وسام من السلطان التركى عبد الحميد !

كان فى طريقه للقاء زوجته فى الريفيرا الفرنسية ، عندما سقطت السيارة فى حفرة بألمانيا .

ظن السائق أنه مات فألقى عليه صفيحة ماء . . فأفاق .

ولكن الحادث ترك آثارا فى صدره ، ومعدته ، وقدميه ، فأصبح يتألم بصفة دائمة

وقال الأطباء إن صعوبة التنفس ، أو أزمة انفلونزا يمكن أن تقضى على حياته .

نصحه الأطباء بالابتعاد عن رطوبة إنجلترا والاستشفاء جنوب فرنسا ، ولكن صحته لم تتحسن وقيل له : الجو فى مصر جاف واكثر دفئا . .

وكانت سيدة بريطانية غنية هى الليدى لوسى داف جوردون قد زارت مصر لتشفى من مرض صدرى ، ونشرت كتابا اسمه « رسائل من مصر » طبع عدة مرات وأدى إلى زحف أغنياء الانجليز على مصر .

وظهرت فى لندن أيضا دراسة مقارنة بين مدن الاستشفاء . .
نيس ، وسان دييجو ، وصقلية ، ومالطة ، والجزائر فأكدت النتائج
أن مصر ـ كمشتى ـ تحجب كل هذه المدن .

وانشىء فندق ونتر بالاس فى الاقصر ليشتهر كفنادق هذه الأيام :
هيلتون وشيراتون وغيرهما !

أقيم الفندق على النيل ليضم ٤ أدوار تضم مائتى حجرة ارتفعت
أسقفها . وكل حجرة لها « فرانده » تطل على النيل .

وقيل للورد :

ـ مصر تطيل عمر المرضى ، زارها والدك فلم لا تفعل أنت .

وهكذا جاء اللورد كارنارفون إلى مصر بعد ٤ سنوات من حادث
السيارة !

* * *

فى ذلك العهد كان أغنياء الأجانب يسعون إلى إمتلاك الآثار المصرية
بالتنقيب عنها وشرائها ، وتهريبها

نصحه القنصل البريطانى العام فى مصر اللورد كرومر بتمويل بعض
عمليات البحث عن الآثار .

وقال له عالم الآثار السير بيرسى نيوبرى أستاذ التاريخ القديم
بالجامعة المصرية والخبير بالمتحف المصرى :

ـ أفضل إكتشاف قبر فرعونى على الفوز فى سباق الدربى الشهير فى
بريطانيا .

أعجب اللورد بالفكرة ورأى أن ينقب عن الآثار ليحصل على مزيد
منها . . بطريقة قانونية .

قام اللورد بحفريات فى أحد المواقع ، ستة أسابيع ، فلم يجد إلا مومياء قطة فعلق على ذلك قائلا :

ـ هذا كشف فريد !

* * *

أراد اللورد أن يكون معاونه .. بريطانيا أيضا .

هنا يتدخل القدر ليظهر البطل الثانى فى الرواية : هوارد كارتر .

ولد عام ١٨٧٣ فى قرية بإنجلترا تعدادها ٢٥ ألفا .

أبوه فقير لم يستطع إرساله إلى أية مدرسة فتعلم فى البيت . ولقنه أبوه فن الرسم بالألوان المائية .

كان متوقعا أن يظل « كارتر » .. طول حياته .. يحترف هذه المهنة مثل أبيه فيرسم الحيوانات والمناظر الطبيعية .. ويبيعها . ويمضى حياته كلها فى قريته ، أو المدن المجاورة ، وإذا ساعده الحظ ينتقل إلى لندن .

ولكن عاد الاستاذ « بيرسى نيوبرى » إلى إنجلترا فى أجازة .

أخذ « نيوبرى » يتحدث إلى صديق له عن الحفريات التى يقوم بها فى قرية « بنى حسن » .. وقال إنه فى حاجة إلى من يساعده لنقل اللوحات التى توجد على جدران المعابد والآثار المصرية .

إقترحت زوجة الضيف عليه شابا يقيم فى قرية مجاورة هو « هوارد كارتر » .

التقى الاثرى « بكارتر » وتعاقد معه على الفور .

... وهكذا دخل كارتر إلى الآثار المصرية من هذا الطريق الغريب !

دربه نيوبرى ٣ شهور فى المتحف البريطانى فى لندن ثم جاء به إلى مصر عام ١٨٩٠ فى بعثة أثرية يمولها صندوق البحث عن الآثار المصرية التابع للمتحف البريطانى .

كان عمر « كارتر » أيامها ١٧ سنة .

ويتدخل الحظ مرة أخرى فى حياة كارتر ليعمل مع واحد من كبار علماء الآثار المصرية هو السير « ويليام فلاندرز بيترى » ٧ سنوات كاملة .

وينتهى المطاف بكارتر عام ١٨٩٩ ليعين - وعمره ٢٥ سنة - مفتشا للآثار فى صعيد مصر والنوبة ، ومقره الاقصر ، ليشرف على عديد من الحفريات ويشترك فيها . . وينقل الرسوم من جدران المعابد المصرية ، ويتقن اللغة العربية ، ويتعلم أسس اللغة المصرية القديمة لهيروغليفية .

وللمرة الثالثة يتدخل القدر فى حياة « كارتر » .

فى سنة ١٩٠٣ كان السير « بيترى » مع زوجته وثلاث من السيدات يساعدنه فى عمله بسقارة عندما إقتحم خيامهم فى المساء ثلاثة من الفرنسيين السكارى .

وأراد أحدهم أن يدخل خيمة النساء .

أسرع « بيترى » « فأرسل إلى هوارد كارتر » الذى جاء ومعه بعض معاونيه من المصريين العاملين فى مصلحة الآثار .

لم يتمالك « كارتر » نفسه . . ضرب أحد الفرنسيين وأوقعه على الأرض .

أسرع السكير إلى القنصل الفرنسى يشكو . خاف القنصل بولنيير أن

تنشر صحف فرنسا القصة وتثير أزمة حوله فطلب إلى كارتر أن يعتذر للفرنسيين .

رفض كارتر وتدخل مدير عام مصلحة الآثار الفرنسى فقال لكارتر :

ـ أرجوك . . قدم إعتذارا شكليا وتنتهى المشكلة .

ولكن هوارد كارتر رفض . . وأصر على ذلك قائلا إنه كان يؤدى واجبه وأن الفرنسيين أولى بتقديم بالاعتذار

طلب مدير الآثار من اللورد كرومر الحاكم الحقيقى لمصر التدخل .

إستدعى اللورد كارتر « وأمره » بالاعتذار .

ولدهشة كرومر أبى كارتر الاعتذار وأصر على ألا ينحنى للفرنسيين السكارى !

إضطر مدير الآثار إرضاء للقنصل الفرنسى إلى طرد « كارتر » من مصلحة الآثار ! الذى وجد نفسه عاطلا وعمره ٢٩ عاما ، فتوجه للاقامة فى الاقصر التى يحبها .

* * *

خلال السنوات الأربع التالية إضطر « هوارد كارتر » إلى العمل مرشدا للأفواج السياحية يقف على باب فندق ونتر بالاس يبيع رسومه المائية وإشتغل بتجارة الآثار والتحف

وفى وقت الفراغ يتجول باحثا عن قبور الفراعنة !

ساعده بيترى فأستأجره حينا . واستمر الصندوق البريطانى للبحث عن الآثار ينشر رسومه ويدفع ثمنها .

وحاول الحصول على ترخيص بالبحث عن الآثار ولكن الفرنسيين الذين طردوه من عمله ويرأسون مصلحة الآثار أبوا منحه الترخيص .

وينتقل كارتر حينا للعمل مع المحامى والمليونير الامريكى « تيودور دافيز » الذى حصل على ترخيص بالحفر فى منطقة وادى الملوك عام ١٩٠٢ . . وظل ١٢ سنة ينقب فوجد مقابر تحتمس الرابع ، وحور محب ، والملكة حتشبسوت ، والملك سيتى . . ولكن المقابر كانت خالية فإن اللصوص سبقوا المليونير الامريكى .

* * *

كان كارنارفون يبحث عمن يتولى عنه مهمة التنقيب .

وكان كارتر يبحث عن عمل فى وادى الملوك الذى نقب فيه كبار الأثريين والمغامرين .

درس كارتر كل الحفريات التى تمت فيه وعرف كل ما يمكن معرفته عن الملوك المدفونين فيه .

وكان لابد أن يحدث لقاء بين كارنارفون وكارتر فى وادى الملوك ، فإن مدير الآثار أصر على عدم تسليم الترخيص للورد إلا إذا إستخدم خبيرا يعاونه .

كانت العداوة قد زالت ، أو هدأت حدتها ، بين الانجليز والفرنسيين بسبب خوف الأثنين المشترك من الخطر الالمانى القادم ولم يعد مدير الآثار غاضبا على كارتر .

وكان يحب اللورد الذى يتحدث باللغة الفرنسية ولذلك قدم مدير الآثار كلا من الرجلين للآخر

وهكذا التقى الرجلان لا فى عزبة « هاى كليرك » التى يمتلكها

اللورد ، أو فى سوق الماشية فى قرية سوافهام البريطانية التى ولد فيها كارتر ، بل بين بقايا الحضارة المصرية القديمة فى الأقصر !

ويبقى اللورد والرسام متعاونيين ١٦ عاما نال عنها اللورد ١٦ سطرا أشادت به فى دائرة المعارف البريطانية بينما حصل كارتر على ١٨ سطرا فى هذه الدائرة و ٤٠٠ جنيه أجرا سنويا من اللورد !

بحث الاثنان فى الضفة الغربية للنيل فى الاقصر خمس سنوات كاملة من ١٩٠٧ حتى عام ١٩١٢ ونشرا فى ذلك العام كتابا عنوانه « خمس سنوات من البحث فى طيبة » .

وينتقل كارتر إلى سخا ولكن تظهر ثعابين الكوبرا لتطرده والعمال من المنطقة .

وتكون هذه مصادفة أخرى تدفعه إلى الاقصر ، فى الوقت الذى يدرك فيه اليأس دافيز من منطقة وادى الملوك . وبقى عامين لا يحفر فيها وظل كارنارفون ينتظر حتى تنازل دافيز عن الترخيص .

❋ ❋ ❋

تقدم « كارنارفون » عام ١٩١٤ إلى مدير مصلحة الآثار ـ يطلب ترخيصا بالتنقيب عن الآثار فى المنطقة التى تنازل عن إمتيازها تيودور دافيز . . وكان على مسافة بضعة أقدام من أخطر الاكتشافات الاثرية المصرية . . على الاطلاق .

وافق مدير الآثار على منح الترخيص الذى سلم للورد فى ١٨ أبريل عام ١٩١٥ لمدة عام ويجدد الترخيص سنويا حسب مشيئة المصلحة .

وفى عقد الامتياز هذه النصوص :

● الحفر والتنقيب على نفقة اللورد . والعمل يتم بعناية كارتر .

● إبلاغ باشمفتش الوجه القبلى فى الاقصر عند إكتشاف مدفن أو بناء آخر .

● المكتشف أول من يدخل المدفن أو البناء .

● منذ فتح المدفن ، وعند ظهور الحاجة ، يضع باشمفتش الآثار الحراس عليه .

● مومياوات الملوك والأمراء وكبار الكهنة وتوابيتهم ونواويسهم تبقى ملكا للمتحف المصرى وكذلك التحف ذات الأهمية التاريخية الكبرى .

* باقى التحف تقسم مناصفة بين مصلحة الآثار وصاحب الترخيص مكافأة لتعبه ، فيحصل على نصف الآثار أو نصف الثمن .

* المدفن السليم وجميع تحفه تؤول لمصلحة الآثار .

* كل مخالفة لهذه الشروط تؤدى ، بدون إعلان أو إجراءات لالغاء الترخيص ولا حق لصاحبه فى تعويض أو مكافأة .

وقال مدير الآثار للورد وهو يسلمه إمتياز التنقيب :

- لن تجد يا سيدى اللورد من الآثار ما يعادل نفقات الحفر .

* * *

بدأ كارنارفون وكارتر يستعدان للتنقيب . .

كانت عملية البحث عن الآثار يدوية . .

الحفر بطريقة بدائية . بالفؤوس والمعاول والسلال (القفف) والتراب ينقل بعيدا .

وكان الاثريون ينقبون بالوادى يزيلون التراب فإذا وجدوا ما يـدل على وجود قبر إستمروا فى الحفر ، وإذا لم يجدوا إنتقلوا إلى نقطة أخرى .

ولم يكن أحد يترك خريطة بالمنطقة التى حفر فيها !

وكان الحفر يتم فى فصل واحد .. هو فصل الشـتاء .. ويمتـد ٧ شهور ويسمى موسما . ويتقاضى العامل ٣ قروش يـوميا ويتـكلف تـأجير مئات العمال للعمل موسما واحدا ٥٠٠٠ جنيه .

وجد اللورد أنه دفن نفسه حيا فى مصر ، يمضى نصف السنة أو أكثر فى عشه أقامها بالطين والرمال على تل منعزل عند مدخل الوادى أشبه بقبر أغاخان الحالى فى أسوان ! ولا توجد حوله شجرة أو أعشاب ولا يـرى إلا سهل الوادى وجباله التى ترتفع ١٨٠٠ قدم .

أثرت حياة الوحدة الكئيبة فى الصحراء على اللـورد البـريطانى الـذى يمضى فيها معظم الشتاء والخريف .

كانت أيامه متشابهة رتيبة ..

يستيقظ فى الخامسة والنصف صباحا ليتناول أفطاره ثم يمتطى حماره إلى نقطة الحفر فيجد ٢٧٥ رجلا ينقلـون الـرديم إلى مـكان بعيـد . ويعملون يوميا عدا يوم الثلاثاء كما يحصـلون على نصـف يـوم الجمعـة كعطلة .

ويعود اللورد إلى العشة عند الغروب .

وخلال هذه السنوات عانى من الحر القاسى ، والحقيقـة المـظلمة التى كادت تجرده من الطاقة والأمل .

ولكن الحرب العالمية الأولى التى دخلتها بريطانيا فى ٤ من أغسطس

عام ١٩١٤ منعت الاستمرار فى الحفر . وإستقر اللورد فى بريطانيا بعد أن حول قصره إلى معسكر لتأهيل الجنود الجرحى .

* * *

رأى كارتر ـ الذى كان فى الحادية والأربعين ـ أن يعرض خدماته على الحكومة البريطانية فاختير ليكون حاملا للحقائب الدبلوماسية بين لندن والقاهرة .. بطريق البحر .

وكانت التعليمات صريحة تمنع حامل الحقيبة الذى يعمل فى خدمة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى من نقل شىء آخر .. أى منعه من التهريب !

قام كارتر بمهمته عدة مرات حتى وصل يوما إلى ميناء بور سعيد فسأله موظف الجمارك البريطانى عما إذا كان معه شىء آخر غير الحقيبة الدبلوماسية .

أجاب بالنفى .

ولكن موظف الجمارك قام بتفتيشه فعثر معه على علبة سجاير فضية .

سأله الموظف عن مصدرها فقال أن سيدة فى لندن توسلت إليه أن يحمل هذه العلبة هدية لابن أخيها فى مصر .

ولكن السيدة أبرقت لابن أخيها قائلة أن كارتر يحمل علبة السجاير .

وقعت البرقية فى يد الرقيب العسكرى الذى أبلغ السلطات فأعد الكمين لكارتر .. كما أعد قرار الفصل لمخالفة التعليمات أثناء الحرب ! !

وهكذا عاد كارتر إلى الاقصر فى خريف ١٩١٧ وبدأ يحفر فى وادى الملوك .

كان كارتر هاويا للحفر والتنقيب والآثار ، يشم رائحة الآثار عن بعد .

أعد كل شيء بحسابات دقيقة .

رفض أسلوب أغنياء الأجانب . وقرر أن ينقب إلى الأعماق حتى يصل إلى الصخور . وأعد خريطة شاملة للمنطقة قسمت إلى مناطق إذا إنتهى من الحفر فى إحداها إنتقل إلى منطقة أخرى وهكذا .

وتعلم من إستاذه نيوبرى حب الآثار . وظل يذكر دواما كلمات إستاذه .

قال له :

ـ من خلال الآثار نرى الماضى ، حافلا بالمعانى ، يرتفع أمامنا

والأرض يجب أن تحفر شبرا بعد شبر لنرى ماذا تخفيه . وكل أوقية من التراب لا بد أن تفحص فحصا دقيقا ، وكل قطعة من الفخار فيها مفتاح للتاريخ .

سجل كل ما تجده . وحذار من الملح على الآثار . وأحفظها فى الشمع خوفا من الهواء .

إن الحصول على الآثار شيء سهل ، ولكنه عمل ضائع إذا لم تحفظ هذه الآثار وتنقلها سليمة . وعشرين فى المائة من الوقت يضيع فى تعبئة الآثار .

وكان كارتر يحفظ هذه الكلمات التى إعتبرت ـ فى ذلك الوقت ـ ثورة فى علم الآثار !

بدأ كارتر يحفر عام ١٩١٧ فى منطقة مثلثة تمتد من قبر رمسيس السادس إلى ميرنبتاح ورمسيس الرابع .

وقرر أن يزيل التراب عن كل شبر ليصل إلى غايته فى هذا المثلث الذى يبلغ حجمه فدانين ونصف الفدان .

بدأ « كارتر » برأس المثلث عند مدخل قبر رمسيس السادس فحفر إلى عمق ١٥ ياردة فوجد أكواخا تشير إلى أنه كان يجرى بناء مقبرة .

وفى أكتوبر ١٩١٨ بدأ موسم الحفر الثانى .

وعدل بيير لاكو مدير مصلحة الآثار عقد الامتياز فى ١٨ ديسمبر دون مبرر . ولم يفطن ، اللورد أو كارتر ، لأهمية هذا التعديل أو لما سيلحقه بهما من أضرار .

نص التعديل على « الترخيص للورد أن يفتح ، وينبش ، قبرا إستكشف كارتر مدخله فى الوادى الكبير شمال وادى الملوك » .

وأقتصر التعديل على المادة التاسعة من الترخيص .

كانت هذه المادة تقضى بأن المقابر التى توجد سليمة تؤول كل تحفها إلى المتحف المصرى .

فجاء التعديل ليفسر معنى كلمة « مدفن سليم » .

قال « ليس المعنى بكلمتى » « مدفن سليم » انه مدفن لم يمس بتاتا ، بل المعنى بهما مدفن يشمل على أثاثه بحالة حسنة ، ويؤلف مجموعة صحيحة ، حتى ولو كان اللصوص قد دخلوه لأخذ الجواهر كما حدث فى مدفن والد الملكة تى ووالدتها » .

وكان الهدف أن تحتفظ مصلحة الآثار بمحتويات أية مقبرة حتى ولو

كان اللصوص قد نبشوها مادامت محتـويات المقبـرة سـليمة بصـفة عامة ! !

وكان هذا التعديل هو الأساس الذى إستندت عليه مصر فيما بعد !

ويتدخل القدر مرة أخرى . .

رأى كارتر لسبب غير مفهوم ابدا عدم الاستمرار فى التنقيـب فى ذلك المثلث وكانت قد بقيت قطعة صغيرة لم يحفر فيها .

وقال فيما بعد - إنه خشى أن يسد التراب قبر رمسيس السادس ويمنع السياح ، من دخوله . ويحـرم المـرشدين السـياحيين - وهـم أصدقاؤه - من دخولهم .

وأيا ما يكون السبب فانه ترك المنطقة ، وكان على بعد متر تقريبا من هدفه ، وأخذ يحفر بعيدا عن المنطقة الأولى .

لم يجد كارتر شيئا .

وظل يحفر بعـد ذلك ، كل مـوسم ، خمس سـنوات كاملـة دون الوصول إلى نتيجة .

ومع ذلك ظل إمتياز التنقيب يجدد سنويا ، وتم نقل ٢٠٠ ألف طـن من الرمال والحصى دون العثور على شىء .

* * *

أصبح اللورد كارنارفون فى السابعة والأربعين من عمره الا قليلا . . يجنح إلى الصمت ساعات طوالا . . يفكر فى الرحيل عن مصر لأنـه لـم ينجح . وفقد حماسه للعملية كلها .

إستدعى اللورد كارتر للقائه فى عزبته بإنجلترا فى صيف عام ١٩٢٢ .

وكان إجتماع الرجلين أخطر لقاء لهما منذ إلتقيا لأول مرة قبل ١٥ عاما .

كان الرجلان متشابهين فى كل شيء تقريبا ، طولهما متوسط ، شواربهما رفيعة ، شعرهما أسود ، ملابسهما متشابهة ، الجاكتة من التويد والقميص أبيض ، ويختلفان فقط فى القبعة .

ومن يراهما يحسبهما شقيقين أو ابنى عم أو أحدهما صورة متكررة للثانى .

إن كارتر هو الروح الأخرى لكارنارفون ، أو ما يطلق عليه قدامى المصريين « كا » .

ولكن كان هناك إختلاف أساسى بين الرجلين فى الطباع .

اللورد يكسب الأصدقاء بسهولة ، وكارتر يخسرهم بسهولة أكثر .

اللورد له أصدقاء كثيرون فى مصر من الباشاوات إلى الفلاحين فقد تعاطف مع آمال الشعب المصرى فى الاستقلال ولذلك أقام لسعد زغلول مأدبة عشاء فى عزبته بإنجلترا . . وكارتر إستعمارى .

اللورد يعرف المرونة وكارتر عنيد ، حاد الطباع عدوانى .

اللورد يرى الآثار صيدا وكارتر يراها لعبة حتى أنه قال :

- لو لم أكن أثريا لكنت بوليسا سريا .

وكان اللورد يكبر كارتر بسبع سنوات .

قال اللورد لكارتر إنه قرر التخلى عن البحث عن ملوك مصر فإن الازمة الاقتصادية فى أعقاب الحرب جعلت الاستمرار فى التنقيب اليائس ، أمرا غالى الثمن . لقد إنفقت ٥٠ ألف جنيه فى مواسم حفر جرداء إستمرت ١٥ سنة .

لم يحاول كارتر إنكار هذه الحقيقة بل قال إنه لا يزال يأمل فى العثور على قبر فرعونى سليم .

وأخذ يتكلم عن الشتاء القادم .

قاطعه اللورد قائلا :

ـ يجب أن نتوقف .

قال كارتر :

ـ إن الفشل حتى الآن لا يؤثر فى إقتناعى بأن هناك قبرا ملكيا واحدا ـ وليس قبرا عاديا ـ لم يكتشف بعد . . وهناك دلائل على وجوده وهو قبر الملك توت عنخ أمون الذى حكم مصر فى عصرها الذهبى قبل ثلاثين قرنا .

والأدلة على وجوده كثيرة ومؤكدة . أن اسكوتلنديارد لا تتخلى عن قضية بدعوى أن الأدلة ليست حاسمة .

ويبدو أن كارتر كان يتوقع الرفض فقد أخرج من جيبه خريطة لوادى الملوك طرحها أمام اللورد قائلا:

– توجد منطقة صغيرة أسفل قبر رمسيس حفرنا عندها أول موسم عام ١٩١٧ ثم تركناها حتى لا نمنع الزوار من زيارة القبر.

وأضاف قائلا :

ـ دعنى أبحث موسما واحدا فقط . وإذا لم توافق على التمويل فأنى مستعد لتحمل كل النفقات . . ولكنك صاحب الترخيص الذى ينتهى بعد عام فى ١٦ من نوفمبر ١٩٢٣ ولذلك يجب أن أستمر باسمك . .

وقال :

- لابد أن سيولا أو أمطارا غزيرة غيرت شكل المكان والوادى . وقد رأيت مثل هذه الأمطار فى وادى الملوك ٤ مرات خلال الـ ٣٢ سنة التى عشتها فى مصر فى سنوات ١٨٩٨ و ١٩٠٠ ومرتين عام ١٩١٦ .

وفض اللورد الموافقة على الاستمرار .

قال كارتر :

- إذا لم أجد شيئا فأنا الخاسر وإذا وجدت شيئا فإن الكشف سيكون بإسمك .

تأثر اللورد الرياضى من هذا العرض الكريم لأسباب كثيرة منها أنه خشى ضياع كل هذا الجهد والمال سدى ، ولأن كارتر وهب حياته كلها للحفر والتنقيب ورفض الزواج . . وأخيرا لأن اللورد كان يعلم أن كارتر يملك المال اللازم للتنقيب . . وأن متحف المتروبوليتان فى نيويورك مستعد لتمويل عمليات للبحث عن آثار مصر .

فى ظل ذلك وافق اللورد كارنارفون على أن يمول عملية البحث والتنقيب .

قال اللورد لكارتر :

- عام واحد بنفس الشروط والقواعد القديمة .

. . أن اللورد قرر أن يدفع كل النفقات .

* * *

ورغم ذلك بقيت تتردد فى رأس اللورد كلمات المليونير الامريكى دافيز وهو يتنازل عن ترخيصه عام ١٩١٤ قائلا :

- وادى الملوك . . خلا من الملوك !

نهـــــب مصـــــر

مصر من أوائل دول العالم التى توحدت تحت حكم ملك واحـد هـو الملك مينا عام ٣١٠٠ قبل الميلاد .

وحكم مصر القديمة ٣٦٠ فـرعونا يمثلـون ٣١ أسرة ملـكية خـلال ٣٠٠٠ سنة تقريبا إنتهت عام ٣٣٢ قبل الميـلاد عنـدما إحتـل الاسـكندر الأكبر مصر .

قبل الوحدة كانت نخب - الكاب الآن - عـاصمة جنـوب مصر . ومدينة بوتو - كفر الشيخ الآن - عاصمة الشمال .

وفى عهد مينا كانت منف - ميت رهينة - عاصمة مصر الموحدة .

وتنقلت العاصمة لمصر حسب الظروف السياسية التى عاشتها البلاد من طيبة - الأقصر - إلى إثيت تاوى - أهناسيا فى بنى سويف - إلى قنتير وتانيس - صان الحجر بمحافظة الشرقية ، و« سايس » - صا الحجـر بمحافظة الغربية - ثـم الأسـكندرية ، وأخيـرا الفســطاط فى العصر الاسلامى .

وكانت هناك عواصم دينية بـالاضافة إلى العـواصم السـياسية وهـى منف ، وطيبة ، وهليوبوليس وأبيدوس .

وتعتبر طيبة ، أو الأقصر ، من أشهر العواصم المصرية القديمة ، عـمة سياسية ودينية فى الوقت نفسه .

كانت مقرا للحكم فترة إمتدت ألف عام . بدأت سنة ٢١٠٠ ق . م

في عهد الأسرة الحادية عشرة ، ولكن ألمع فترات عظمتها كانت بعد نصف قرن عام ١٥٥٥ قبل الميلاد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة التى بدأت بالملك أحمس الذى إنتصر على الهكسوس وطردهم من مصر بعد أن ظلوا يحتلونها نحو ١٥٠ عاما .

وقد إشتهرت هذه الأسرة بملوكها المحاربين ، ففى عهدهم إمتدت الامبراطورية المصرية جنوبا فى السودان وشمالا حتى نهر الفرات .

وأقيمت المعابد الضخمة فى الأقصر وأشهرها معبد الكرنك الذى يمكن أن تضم أسواره عشر كاتدرائيات فى أوربا .

أما معبد آمون الذى يوجد داخل الكرنك فيمكن أن تضم جدرانه أشهر ٣ كاتدرائيات وكنائس أوربية وهى : كنيسة القديس بطرس فى روما ، وكاتدرائيه ميلانو الشهيرة ، وكنيسة نوتردام فى باريس .

وكان ملوك مصر يدفنون فى الجانب الغربى من المدينة وهو مقر الحكم أيضا .

ولكن ثالث ملوك الأسرة الثامنة عشرة تحتمس الأول رأى أن تكون مقبرته على الشاطىء الغربى للنيل . وظل المعبد فى الجانب الشرقى . قرر المحافظة على سرية مكان القبر .

وأصبح ذلك تقليدا لكل من حكم بعده . فقد إستمر ملوك الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين يدفنون فى ذلك المكان ١٥٠ سنة متصلة بإستثناء أخناتون الذى نقل عاصمته إلى تل العمارنة . . العمارنة الأن .

وإمتدت على مسافة خمسة أميال على حافة الصحراء تلك المنطقة

التى دفن فيها ملوك مصر ، وأسرهم ، والنبلاء ، والكهنة ، وكبار الموظفين ، وقد أطلق عليها أسم « وادى الملوك » .

والأسم ملىء بالرومانسية .

وبين جميع أسماء العجائب فى مصر . . لايوجد مايحرك الخيال كما يفعل هذا الأسم .

فى هذا الوادى المنعزل النائى البعيد عن أى أثر للحياة يرقد كثير من ملوك مصر بينهم أعظم ملك عرفته البلاد وهو رمسيس الثانى الذى حكم مصر ٦٧ عاما .

* * *

آمن المصريون بأن هناك حياة أخرى بعد الموت . وهذه العقيدة هى أساس كل الأديان السماوية ، وأن إختلفت فكرة المصريين فى الحياة الثانية عن أديان السماء !

رأى المصريون أن الخلود يتحقق إذا لم يتخلل الجسد الميت فقد إعتبروه قوقعة تستعمل إذا تمت المحافظة عليها

وقالت عقيدتهم أن الموت لايقطع الرابطة بين الروح والجسد فكل منهما يعتمد على الآخر .

وكل تآكل فى الجسد ، بعد الموت ، يسرق من الروح جزءا . وتحلل الجسد يعنى فناء الروح !

ومن هنا نشأ فن التحنيط .

حرص الشعب كله على حفظ الجسد بعد الموت .

وقال صامويل بيرش الذى ظل ١٩ عاما أمينا للقسم الشرقى

بالمتحف البريطانى ، عام ١٨٧٨ ، ان المصريين حفظوا ٤٢٠ مليون مومياء خلال ٢٧٠٠ عام من التاريخ المصرى .

ولكن علماء آخرين قالوا ان الحضارة المصرية امتدت ٤٧٠٠ عام ولذلك فأن عدد المومياوات يصل الى ٧٣١ مليونا .

وكانت المومياوات المصرية منذ العصور الوسطى تسحق وتباع كدواء لايقدر بثمن . وتستعمل مثل الاسبرين ـ ويضاف اليها بعض زيوت النباتات لعلاج الالتهابات .

وفى عام ١٧٧١ حذرت دائرة المعارف البريطانية الناس فى أوربا وامريكا من شراء مسحوق هذه المومياوات لان مايباع هو جثمان المجرمين لا المصريين !

وعندما تقدم العلم فى القرن التاسع عشر زالت فكرة العلاج ، بمسحوق المومياوات ، ليحل محلها استعمال المومياوات كسماد لخصوبة الارض .

وفى كتاب « ماك كون « مصر كما هى » الصادر عام ١٨٧٧ قال إنه قبل « خمس سنوات » كانت المومياوات أول الصادرات المصرية . . يصدر منها ١٠ الاف طن سنويا اغلبها لبريطانيا .

وفى امريكا احتاجوا للكتان والأكفان التى تلف بها المومياوات ليصنعوا منها الورق عام ١٨٠١ فكانت المومياء تستعمل سمادا ، والاكفان ورقا !

ونشرت الصحف الامريكية عام ١٨٥٦ اعلانات لمصانع تفاخر بأن ورقها صنع من اكفان مومياوات المصريين .

* * *

واذا كان شعب مصر قد حرص على حفظ الجسد من الموت ، فان ملوك مصر كانوا اكثر حرصا .

بنوا القبور كما بنوا القصور .

كان الملك يبدأ بناء قبره فى السنة الاولى لحكمه ويوسع القبر عاما بعد عام .

وكانت المقبرة تضم تماثيل الملك ، وحليه الذهبية ، وملابسه واسلحته ، وتعاويذه لانه يريد ان يكون ، حوله ، كل ماكان يحبه ويقدره فى حياته .

وامتلأت الآنية بصنوف الطعام المختلفة ليجدها الملك عندما يستيقظ من رقدته ، كما كانت عقيدة قدماء المصريين .

ولم يكن ذهب المقابر مجرد كتل أو قضبان يصعب التخلص منها ، لايوجد لها مشترون ، بل كان الذهب قطعا من الحلى ، أى سلعة تجارية يقبل عليها الناس عند طرحها للتعامل .

ومن هنا زادت السرقات لسهولة بيع المسروقات .

وخوفا من طمع اللصوص فى محتويات المقابر كانت الصلوات الجنائزية العلنية تقام فى القصور والمعابد فيشهدها الناس على الشاطىء الشرقى للنيل أما المقابر فعلى الشاطىء الغربى .

وفى أول الأمر دفن فراعنة مصر فى حجرات سرية داخل الأهرامات .

ولكن هذه المبانى الضخمة الواضحة دفعت اللصوص إلى سرقة محتويات المقابر رغم العقوبات القاسية .

ولذلك لجأ الفراعنة إلى جعل مقابرهم سرية ويسد القبر بالحجارة متخفى معالمه حتى لايتسلل إليه اللصوص .

لقد أراد ملوك مصر أن يكرموا فى مماتهم بهذا الثراء من حولهم . ولكن هذه الرغبة وذلك الثراء ، كان حافزا لامتهان مومياوات الملوك وسرقتهم ونهب قبورهم . . فأن الطمع فى الثروة كان أقوى من كل الأسرار !

حدث فى بعض الأحيان أن تولى إقامة القبور أسرى الحرب وقتلوا بعد ذلك منعا لارشاد اللصوص إلى أسرار المقابر .

ولكن الأسرى لم ينبشوا كل القبور . . كما أنهم افشوا - قبل وفاتهم - كثيرا من الأسرار ومن الواضح أن عمليات السرقة كانت مستحيلة دون رشوة الحراس وكبار الموظفين وإشتراكهم فى الجريمة .

***

تراخت سلطة الدولة فى عصر الأسرة ٢٠ و ٢١ حوالى سنة ١١٥٠ قبل الميلاد .

لم يبق لمصر كثير من عظمتها القديمة . أصبح العرش ضعيفا ، فأنتهز كبار الموظفين الفرصة وصار الحراس متهاونين .

وجد اللصوص الفرصة لسرقة المقابر .

لم يحترموا قداسة الموتى . ولم يخشوا الملوك . فنظموا العصابات وشكلت لجان للتحقيق لم تستطع الوصول إلى الجريمة .

وفى سجلات المحاكم القديمة وجد مايقطع بأن قبور أمنحتب الثالث ، وسيتى الأول ، ورمسيس الثانى قد نبشت .

وفى أوراق البردى المحفوظة بمتحف فينا ، من عهد رمسيس التاسع ، نجد قصصا كثيرة عن لصوص مقابر صدرت عليهم أحكام قاسية .

ونجد أحكاما أخرى غير رادعة فأن الحكام خافوا من الفضائح ولذلك تستروا على اللصوص . .

وعلى جدران المقابر والمعابد نجد نقوشا هيروغليفية تشير أيضا ، إلى جرائم نهب القبور .

ونقرأ أسماء عصابة من بينها نجار وناقل مياه ، وفلاح ، وعبد تستر عليهم عمدة المنطقة سرقوا قبورا وقبض عليهم فضربوا بالسياط وألقوا فى السجن بلا طعام وعذبوا حتى إعترفوا ثم صدرت عليهم أحكام بالأعدام بعد وفاة أخناتون بمائتين وخمس سنوات .

وهناك وصف تفصيلى لمحاكمة سارق وضعت عصابة على عينيه واقتيد إلى مكان الجريمة ليعيد تمثيلها ويعترف على زملائه .

* * *

عهد تحتمس الأول إلى كبير مهندسيه المعماريين اينني بأقامة قبره .

وتولى مائة من أسرى الحرب اقامة القبر وقد قتلوا جميعا .

ولكن الملك قاسى على يد اللصوص بعد سنوات من دفنه لأننا نجد حور محب فى السنة الثامنة من حكمه . يأمر كبار موظفيه بتجديد قبر ذلك الملك .

وقد إكتشف القبر عام ١٨٩٩ . وجد التابوت الحجرى الضخم ولكن لم تكتشف مومياء الملك الذى نقل إلى قبر أبنته حتشبسوت . . ثم نقل مرة أخرى مع مومياوات كثيرة إلى الدير البحرى .

* * *

ونقلت مومياوات الملوك بعد إكتشاف محاولات السرقة للحفاظ عليها .

نقل رمسيس الثانى إلى قبر سيتى الأول هربا من اللصوص ثم نقل الأثنان معا إلى قبر الملكة أنحابى . ونقل إلى هذا القبر أيضا رمسيس الأول .

ونقل رمسيس الثالث من قبره ٣ مرات .

ونقلت مومياوات أحمس ، وأمنحتب الأول ، وتحتمس الثانى ، ورمسيس الثانى العظيم .

ووجدت مومياء أمينوفيس الثالث والد اخناتون -الذى إشتهر بقتل الوحوش - ولكن وجد معه جثمان ملكين آخرين .

وحملت النقوش أسماء الملوك الثلاثة ولكن لم يعرف على وجه التحديد أسم صاحب كل مومياء !

وقال مدير مصلحة الآثار فيكتورلوريه أنه وجد فى قبر أمنحتب الثانى ، مومياء أمنحتب الثالث داخل تابوت رمسيس الثالث .

وكان على غطاء هذا التابوت الأخير اسم سيتى الثانى مما يدل على أنه تم نقل المومياوات والتوابيت من قبر إلى قبر !!

***

أصبح إخفاء المومياوات ، ثم العثور عليها ، وسرقتها مرة ثانية ، ونقلها ، لعبة وفى الوقت نفسه مأساة دامية .

ولكن اللصوص لم يهزموا سواء فى سرقة المقابر ، أو الآثار المصرية بصفة عامة ، لأنه من الصعب حماية ٤٠ ألف موقع أثرى فى البلاد !

***

كان فرانسوا لوريه مدير الآثار يبحث وينقب فى وادى الملوك عام ١٨٩٨ عندما وجد فى مقبرة أمينوفيس الثانى مومياوات من الأسرتين ١٨ و ١٩ منها تحتمس الرابع وأبنه أمينوفيس الثالث الذى دام حكمه ٣٦ عاما قبل ميلاد السيد المسيح من ١٤١٣ إلى ١٣٧٧ .

وفى عهد هذا الملك إمتد نفوذ مصر إلى الفرات وأثيوبيا .

ووجدت على صدره زهورا وضعتها أيد محبة له قبل ٣٤٠٠ عام .

ولكن كل مجوهراته سرقت !

***

وفى عهد حريحور نقل ماتبقى من مومياوات الملوك إلى مقبرة جماعية آمنة من اللصوص .

تم النقل ليلا بطريقة سرية وبمساعدة الكهنة المخلصين وأخفيت الجثث وبقيت فى مكانها ٣٠٠٠ سنة تقريبا .

***

أما أسوأ عهود السرقات فتمت فى أوائل القرن الثامن عشر .. واللصوص جميعا من الأوروبيين .

حفروا بأنفسهم ، أو عهدوا بذلك إلى المصريين ، أو أغروهم على السرقة ، بأثمان كانت تبدو مرتفعة فى ذلك الحين .

***

كان الغزو العثمانى وإحتلال الأتراك لمصر حائلا منع المغامرين واللصوص القادمين من الغرب من الوصول إلى مناطق الآثار حتى القرن السابع عشر .

ولما بدأ إنهيار الامبراطورية التركية وتولى المماليك حكم مصر بأسم

السلطان العثمانى ظهر أول لصوص الآثار وهو أسقف بريطانى اسمه ريتشارد بوكوك .

زار مصر عام ١٧٣٧ وعبر النيل إلى الأقصر .

وكان ينزل المقابر بسلم من الحبال فتنهال عليه الرمال ولكنه يرى جماجم كثيرة ـ مومياوات ـ فى وادى الملوك على ضوء الشموع فأخذ منها ماأخذ ! وكان المصريون ـ فى ذلك الوقت ـ يعتقدون أن الأوربى يستطيع بسحره أن يعثر على الكنوز ويرحل بها .

ورأى الناس سرقاته الكثيرة فهددوه بالقتل حتى إضطر إلى مغادرة البلاد . .

وظل كتابه « رحلات فى مصر » يجذب السياح والمغامرين واللصوص .

***

ولكن سرقة الآثار المصرية ونهبها على نطاق واسع بدأ بعد أن أصدر العالم والرسام الفرنسى دومنيك فيفان دينوف كتاب «وصف مصر» فى ٢٤ جزءا فإن هذا الأثر الأدبى جعل العالم يهتم بمصر، وجذب إليها اللصوص فى عصر والى مصر محمد على باشا الكبير الذى بدأ عام ١٨٠٥ وانتهى بوفاته سنة ١٨٤٢.

كان محمد على حائرا بين بريطانيا وفرنسا ، وهدفه إعلان إستقلال مصر .

وشغل ، بالتخلص من خصومه فى الداخل ، وفتوحاته فى الخارج ، عن حماية الآثار .

حرص والى مصر على إجتذاب قنصل بـريطانيا سـولت ، وقنصـل فرنسا دروفيتى .

وإنتهز القنصلان الفرصة فأخذا يسرقان آثار مصر على نطاق واسع .

وربما يكون محمد على قد عرف مايفعله الرجلان فتـرك لهمـا سرقـة « الماضى » مقابل أن يتركا له الحاضر والمستقبل !

وكانت النتيجة فى الحالتين أن سولت ودروفيتى ، فى ظـل الحصـانة الدبلوماسية ، وظروف مصر ، السياسية ، كانا أشهر لصـين لـلآثار فى تاريخ مصر الحديث .

عين سولت قنصلا عاما لبـريطانيا فى مصر عـام ١٨١٥ . وصـل إلى القاهرة فى السنة التالية .

قام بحفـائر كثيرة ليحصل على آثار للمتحف البريطانى ولـلاصدقاء الذين ساعدوه على تعيينه فى منصبه .

نقب ، وجمع كميـات ضـخمة للمتحف ، وكميـات أخـرى لحسابه .

قال فى رسالته الأولى للاصدقاء :

« سأبعث إليكم بآثار لم ترها العيون » !

وعندما غرقت الشحنة الأولى بعث إليهم معزيا يقول :

« الآثار المصرية كثيرة » !

نقل التمثال النصفى الضخم لـرمسيس الثـانى مـن طيبـة إلى الاسكندرية ومنها إلى لندن وقدمه للمتحف البـريطانى . ورأيتـه يتصـدر الجناح المصرى فى الدور الأرضى بالمتحف ورقمه ١٩ !

فى عام ١٨١٨ أرسل مجمـوعة ضـخمة للمتحف ولـكن الأوصـياء

أبخسوه الثمن وإشتروا الآثار بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه وهو يقل عن تكاليف الحفر والنقل ، ورفضوا تابوت سيتى الأول فاشتراه السيرجون سون الذى دفع ثمنا له ٢٠٠٠ جنيه أخرى ووضعه فى متحفه المعروف بأسمه فى لندن .

وإشترى مجموعة سولت الثانية - التى حصل عليها من مصر خلال الأعوام من ١٨١٩ حتى ١٨٢٤ - ملك فرنسا بمبلغ ١٠ آلاف جنيه . وبيعت المجموعة الثالثة فى مزاد إستمر ٧ أيام فى « قاعة سوثبى » للأعمال الفنية فى لندن بمبلغ ٧١٦٨ جنيها وتضم ١٠٨٣ قطعة أشتراها المتحف البريطانى . جمعها سولت خلال ٣ سنوات من ١٨٢٤ . ولكنها بيعت عام ١٨٣٥ بعد وفاته .

ونشر سولت عدة كتب عن « أعماله » !

وتدخل القدر ليموت فى دسوق عام ١٨٢٧ ويدفن بالاسكندرية .!

كان سولت يعمل وينقب ويشترى بنفسه ولكن كان له ٣ رجال يقومون بالعمليات القذرة ! وهم جيوفانى بلزونى الايطالى ، وبيركهارت السويسرى ، وجيوفانى كافيجليا وهو بحار من جنوا بريطانى الجنسية ، ويقيم فى مالطه .

***

أما بلزونى فهو ابن حلاق إيطالى فقير ولد عام ١٧٧٨ فى قرية صغيرة .

من أسرة ايطالية وقورة . أعد ليكون راهبا ولكن فى سن السادسة عشرة ذهب إلى روما يبحث عن الثروة . وعندما غزا الفرنسيون إيطاليا فى عهد نابليون تجول فى أوربا يقوم بألعاب السيرك . وساعده جسده

الضخم على أن يرفع فى الأسواق قضيبا من الحديد يحمل ١٢ رجلا .. ويجمع التبرعات من المعجبين !

وفى فترات عطلة السيرك درس الهندسة .

تجول فى البرتغال وأسبانيا . وإستقر فى مالطه يعرض على مندوب لمحمد على باشا الكبير نموذجا لساقية أجرى تجربتها أمام الوالى فى القاهرة فنجحت التجربة ولكن الباشا رفض إتمام الصفقة .

لم يجد بلزونى مايفعله فتحول إلى أثرى مع زوجته الايرلندية يبحث عن الآثار ويسرقها لحساب سولت ولحسابه الشخصى .

وكان أول من دخل الهرم الثانى

وكان دائما يقول :

- لن نحقق شيئا إذا لم نحاول !

وسرق لمتحف فيزوليم فى كامبردج جزءا من تابوت ضخم لرمسيس الثالث .

ووجد ٢٠ تمثالا لسخمت فى معبد توت فى الكرنك .

وعثر على قبر الملك آى فى الضفة الغربية للأقصر .

وأخذ من مقبرة القرنة كثيرا من أوراق البردى

وعثر على ٦ قبور ملكية فى وادى الملوك منها قبر سيتى الأول الذى وجد فيه التابوت الذى رفض المتحف البريطانى شراءه .

ارتاد بلزونى الواحات البحرية والفيوم وسيوة وإكتشف بيرنيس ميناء البطالسة على البحر الأحمر .

وسرق من كل هذه المواقع آثارا ، قدم ، عشرين منها ، للمتحف

البريطانى وأقام بالباقى معرضا فى القاعة المصرية فى بيكاديللى بلندن عـام ١٨٢١ .

وكان يحطم المقابر والمعابد ليحصل منها على مايريد . وقد أمضى خمس سنوات فى مصر والسودان .

ولم يخجل بلزونى مما فعله بل نشر جرائمه فى كتـاب يحمـل أسـم « حكاية » .

فى هذا الكتاب قال انه فى البداية ألقى بسلة مصرية فى النيل ظنـا منـه أن التيار سينقلها إلى الأسكندرية فلما غرقت أنقذها . .

وأهدى تمثالين مصريين لسخمت وضعا فى مجلس مدينة بادوا التـى ولد فيها !

وزار النيجر وفى طريقه إليها مات عام ١٨٢٣ .

***

روى بلزونى قصة دخوله إحدى المقابر المليئة بمـومياوات الفـراعنة قال :

« جعلنى الهواء الخانق فى ممر المقبرة على وشك الاغماء .

وملأ الغبار السرداب وتسرب إلى عينى وأذنى . وكانـت رئتـاى على وشك الانفجار من محاولة طرد الرائحة التى تنبعث من المومياوات وهـى ترقد فى أكوام مما يثير الفزع .

وبدا الفلاح شبه العارى الذى يمسك بالشمعة لينيـر الـطريق أمـامى كأنه بدوره مومياء .

وبعد الجهد الذى بذلته فى الممرات الخـالية مـن الهـواء أخــذت التمس مكانا أجلس فيه وعند إنحنائى وقعت مومياء أمامى .

سقطت فوقها . وتطايرت عظام ، وخرق وقطع خشبية فى عاصفة كثيفة من الغبار حتى عجزت عن الحركة .

وكان هناك ممر آخر يختنق بالاتربة فلم أستطع شق طريقى عبره ولم أتمكن من منع نفسى من مسح وجوه بعض المصريين من قدامى الموتى . وتحطمت مومياء أخرى وغطتنى بوابل من العظام .

كانت أغلب المومياوات تتراكم فوق بعضها . منها مايرقد معتدلا والأخر مقلوبا » .

ورغم هذه الصورة المرعبة فإن جيوفانى بلزونى .. سرق المومياوات !

***

أما السويسرى فهو جون لويس بيركهارت .

درس اللغة العربية فى جامعة كامبردج البريطانية . وأقام فى مصر ٣ سنوات من عام ١٨١٤ حتى عام ١٨١٧ . وكان يسمى الشيخ إبراهيم

سرق آثارا وألف كتابا أسمه « رحلات فى النوبة » . ومات فى سن الثالثة والثلاثين ودفن بالقاهرة !

وكان كافيجليا مالكا لباخرة فى البحر المتوسط ، وهو ربانها أيضا قام بحفائر عند أهرامات الجيزة وأبو الهول وإكتشف الممرات بين مخالبه ونقل الآثار المسروقة إلى إنجلترا

ولم يقصر كافيجليا نشاطه لحساب سولت بل عمل أيضا لحساب ضابط بحرى اسمه الكولونيل فايس الذى قدم أوراق البردى

للمتحف البريطانى . وهذا المتحف كان قصرا للورد مونتاج فى لندن .

صدر قانونه عام ١٧٥٣ ، وأدخلت عليه تعديلات كثيرة آخرها عام ١٩٦٣ . وقانونه يمنع التصرف فيما لديه من آثار . . أى أنه لايرد قطعة من الآثار حصل عليها بأية وسيلة إلا إذا كانت مزدوجة !

***

كان برناردينو دروفيتى قنصل فرنسا العام الدبلوماسى الثانى الذى سرق آثار مصر وهو إيطالى ولد قبل بلزونى بعامين .

تجنس بالجنسية الفرنسية وإشترك فى حملة نابليون فى مصر وعمل قنصلا عاما لفرنسا فى مصر فترتين .

الأولى منذ ولاية نابليون حتى عام ١٨١٤ والثانية تسع سنوات من عام ١٨٢٠ ، فقد فصلته الحكومة ثم أعادته للعمل لأنه كان صديقا لوالى مصر .

جمع دروفيتى أكبر مجموعة من أوراق البردى عرضها على فرنسا فرفضت شراءها . ولم يتردد - وهو قنصل لفرنسا - فى عرضها على ملك سردينيا الذى دفع ثمنا لها ٤٠٠ ألف ليرة ايطالية وقدمها لمتحف تورينو .

وتضم هذه الصفقة قوائم بأسماء ملوك مصر .

واشترى منه متحف برلين عام ١٨٣٦ مجموعة ثانية بمبلغ ٣٠ ألف ليرة أما المجموعة الثالثة فاشتراها شارل العاشر بربع مليون فرنك وقدمها لمتحف اللوفر فى باريس .

وهذا المتحف بناه لويس أغسطس ملك فرنسا ليكون مقرا لملوكها ومركزا للأكاديمية .

فلما قامت الثورة الفرنسية فتح عام ١٧٩٣ للجمهور . وبعد غزو بلجيكا فى السنة التالية قام نابليون بونابرت بتخزين القطع الفنية التى حصل عليها من الدول التى اكتسحتها قواته ، داخل القصر . وقدم الفنانون الفرنسيون عام ١٨٩٦ التماسا الى حكومة الادارة يقولون فيه إن حكومة فرنسا بقواتها واستنارتها وفنانيها هى البلد الوحيد فى العالم الذى يستطيع أن يضمن سلامة المتحف ، وكل شعوب العالم يجب أن تأتى وتقترض الفن من فرنسا .

وضمت أكبر مجموعه من التحف إلى المت[illegible] عام ١٨٠٦/٨ بعد أن وصلت إلى باريس كنوز ايطاليا التى استولى عليها الفرنسيون .

ومتحف اللوفر مثل المتحف البريطانى لا يرد الآثار !

والمجموعات الثلاث التى باعها دروفيتى تمثل أفضل وأروع الآثار المصرية فى أوربا بصفة عامة ومتحف اللوفر بصفة خاصة .

وكان دروفيتى صاحب نفوذ على محمد على الذى إعتمد على فرنسا لمساندته ضد الانجليز .

وفى آخر حياته عاقب القدر دروفيتى . . أو ربما تكون لعنة الآثار المصرية .

جن ونقل إلى ملجأ تورينو وعاش فيه حتى مات !

***

ولم تقتصر السرقة على قنصلى بريطانيا وفرنسا وحدهما . . ان كل قنصل إستطاع أن يمد يده لآثار مصر لم يتردد فى ذلك . . أبدا . .

وأشترك فى ذلك القناصل الفخريون أيضا .

جيوفانى أنسطاسى التاجر الارمنى الذى جاء من سوريا واستقر فى الاسكندرية وعمل قنصلا للسويد ،والنرويج ٢٩ عاما . جمع كمية من آثار سقارة والأقصر . وباع صفقة ضخمة للحكومة الهولندية عام ١٨٢٨ ومجموعتين للمتحف البريطانى عام ١٨٣٩ ومجموعة ثالثة لفرنسا سنة ١٨٥٧ !

وأهدى تابوتا من الجرانيت لمتحف أستكهولم . وتوجد مجموعة أوراق البردى التى حصل عليها فى متاحف لندن وليدن وباريس وبرلين .

وأوصى بالثروة التى جمعها من التجارة فى آثار مصر للأعمال الخيرية فى السويد . كما أوصى بأن يدفن فى مدينة الاسكندرية .

ومصطفى أغا عياط المصرى الذى ظل خمسين عاما قنصلا فخريا فى الأقصر لبريطانيا وبلجيكا وروسيا كان أكبر تاجر للآثار المهربة مستغلا الحصانة الدبلوماسية .

وقد إستنكرت حكومة بلجيكا عمليات تهريبه المستمرة لأوراق البردى فعزلته من تمثيلها !

وقد بلغت به الجرأة والاستهتار أن يبنى لنفسه بيتا داخل معبد الأقصر هدمته حكومة مصر بعد وفاته .

وقنصل الدانيمرك أرسل إلى متحف كوبنهاجن الوطنى عددا من آثار مصر عام ١٨٢١ .

وموظف من قنصلية السويد فى أستانبول أسمه ليدمان أرسل شحنتين لبلاده ظهرت أحداهما فى متحف أوبسالا والثانية فى متحف فوروونيز .

ودمرت شحنة أخرى فى إستانبول أثناء حريقها الشهير عام ١٨١٨ .

حاول جورج جليدون قنصل الولايات المتحدة فى الاسكندرية - وهو أول كاتب أمريكى عن مصر القديمة - إيقاظ الضمير الاثرى فنشر عام ١٨٤٩ كتابا اسمه « نداء إلى الاثريين فى الاوربا عن هدم آثار مصر » طلب فيه من الجميع الرفق بآثار مصر هدما وسرقة ! ولكن أحدا لم يستمع إليه .

***

بعد مجموعة القناصل بعشرين عاما . . جاء إلى مصر أخطر اللصوص جميعا كارل ريتشارد لسبيوس الألمانى . وهو من خبراء الكتابة الهيروغليفية ويعتبر أفضل علماء الآثار بعد شامبوليون . صحح بعض كلمات وقواعد اللغة التى إكتشفها شامبوليون نفسه !

قبل أن يجيء إلى مصر - ليرأس بعثة تنقيب - ظل ٤ سنوات يطوف متاحف إنجلترا وهولندا وإيطاليا يدرس مجموعات الأثار المصرية بها ليتعرف على صورها حتى يبدأ من نقطة جديدة .

زار مصر مرتين الأولى ٣ سنوات بدأت عام ١٨٤٢ .

وجاء للمرة الثانية عام ١٨٦٦ .

وتمت الزيارة الثالثة عام ١٨٦٩ ليشهد حفل إفتتاح قناة السويس .

جاء لسبيوس تحت شعار « نقل رسوم الآثار المصرية » .

نقب فى وادى الملوك والنوبة ، وسيناء ، والفيوم ، والسويس ، وشرق الدلتا أيضا !

وأصدر ١٢ مجلدا عن رحلاته والآثار التى جمعها . كما نشرت ٥ أجزاء أخرى بعد وفاته .

وفى هذه الكتب إعترافات بأنه أرسل لألمانيا ١٥ ألف قطعة من الآثار المصرية . ولم يقل انه سرقها ، أو هربها !

وباع لسبيوس بعض التحف للمتحف البريطانى فى لندن فأنه يبيع لمن يشترى ، ورأيه يتركز فى أن الآثار مصرية الجنسية أما المشترون فلاجنسية لهم !

وكوفىء لسبيوس على عمله بالاشتراك فى تصميم المتحف المصرى فى برلين وأختير مديرا له .

وظهر لصوص كثيرون فى معظم دول العالم الغربى .

أدوين سميث المغامر والتاجر الامريكى الذى أستقر فى الأقصر أبتداء من عام ١٨٥٨ لمدة ثمانية عشر عاما أقرض خلالها اللصوص والتجار المحليين على ذمة سرقة الآثار

حصل فى يناير من عام ١٨٦٢ على مجموعتين من أوراق البردى بيعت الأولى للألمان وأهدت إبنته المجموعة الثانية للجمعية التاريخية فى نيويورك وهى محفوظة الآن بأكاديمية الطب فى نيويورك أيضا .

واشتهر سميث الذى يعرف الكتابة الهيروغليفية بتزوير الآثار . وعلم المصريين كيف يزورونها !

وهنرى أدوارد نافيل السويسرى الذى زار مصر عام ١٨٦٥ وحفر فى ادفو وأماكن أخرى ونقل تمثال الجرانيت الضخم لأمنمحات الثالث للمتحف البريطانى . ونقل أعمدة حتحور إلى المتحف البريطانى ومتحف بوسطن الامريكى !

وأرنستو سكيا باريللى الايطالى ومدير متحف تورينو الذى كان يـرأس بعثة المتحف للتنقيب عن الآثار فى مصر ١٧ سنة بدأت عـام ١٩٠٣ نقـل كثيرا من آثار مصر ـ وأشهر مجمـوعة مـن أوراق البـردى إلى هـــذا المتحف .

وظهرت آثار مصرية فى تلك الفترة فى متحف بوردو بفرنسا

***

وصل إلى الاسكندرية عام ١٨٦٩ أمير ويلز الـذى جلس على عـرش بريطانيا باسم أدوارد السابع ومعه زوجته .

إتجه إلى الأقصر وطلب من القنصل البريطانى أن ينقب له عـن بعض الآثار المصرية خلال الفترة التى يزور فيها أسوان !

وكان مصطفى أغا عياط هو القنصل البريطانى فى الأقصر !

عاد الأمير من أسوان ليسمع أن مصطفى أغا قد اكتشف له ٣٠ تابونا فى وادى الملوك .

وتبين أن التوابيت جمعت من مناطق مختلفة عـن طـريق الحصـانة الدبلوماسية لمصطفى أغا لادخال السرور على قلب الأميـر الـذى عـاد إلى بلاده ومعه عشرون تابوتا فإحتفظ بما شاء ووزع الباقى هدايا على المتـاحف والاصدقاء . . وبقى تابوت أحمر من الجـرانيت لـم يســتطيعوا نقلــه لانجلترا إلا عام ١٨٨٥ بعد الاحتلال البريطانى لمصر !

وإكتشفت مجموعة من أوراق البردى فى منتصف القرن التـاسع عشر أراد اللصوص تقسيمها بالتساوى فقطعوها نصـفين وبيعـت أجـزاء منهـا للمتحف البريطانى والأخرى لمتحف ليفربول وقسم ثالث لمكتبة مورجان فى نيويورك .

ولم تعرف الصلة بين هذه المجموعات الثلاث . ولم يتمكن أحد من قراءتها مكتملة حتى قام العالم البلجيكى جان كابار بذلك عام ١٩٣٥ .

***

وقد سرقت الآثار المصرية بكل الطرق ..

كانت توجد فى معبد الأقصر ١٣ مسلة فأهدى محمد على مسلة إلى فرنسا ـ توجد الآن فى ميدان الكونكورد فى باريس ـ فجاءت بعثة بحرية إلى الأقصر عام ١٨٣١ لنقلها من مصر .

وأهدى محمد على مسلة أخرى إلى ملك بريطانيا جورج الرابع عام ١٨٢١ ، ولكنها لم تصل إلا فى عام ١٨٧٨ بعد رحلة طويلة وقد رحبت « التايمس » بوصولها فى مقال طويل بتاريخ ٨ اكتوبر من ذلك العام .

فقد انتظرت البعثة الفيضان لنقل المسلة عبر النيل . ولكن البعثة رأت ألا تضيع فترة الانتظار عبثا فنقبت عن الآثار المصرية فوجدت تابوتا اشتراه الدوق هاملتون البريطانى ودفن فيه !

وتوجد مسلة مصرية ثالثة فى حديقة سنترال بارك فى نيويورك .

وكل مسلة وزنها نحو مائتى طن .

ولاتوجد فى معبد الكرنك الآن سوى ٣ مسلات أما التسع الباقية فإنها هدمت .. أو سرقت !!

***

وفى العصر الحديث تعددت السرقات أيضا . .

وبلغت الجرأة باللصوص أنهم أطلقوا النار على رجال نابليون الأول عندما جاءوا إلى وادى الملوك فى أوائل القرن الثامن عشر .

***

عثر الأهالى فى منطقة دراع أبو النجا بالأقصر عام ١٨٦٠ على مومياء ملكة وعليها مجوهراتها .

أبلغ النبأ الى الخديو سعيد باشا ومارييت باشا الذى أمر بحفظ الآثار ولكن مدير قنا نقلها إلى بيته فلما جاء مفتش الآثار لم يجد إلا قليلا من الحلى بينها سلسلة من الذهب يزيد طولها عن متر أهداها الخديو إلى إحدى نسائه !

وكان يعيش فى مصر أمريكى اسمه باتون من جامعى التحف يشتريها ويهربها للخارج.

وفى يوليو عام ١٨٨١ أستطاع باتون أن يهرب من مصر ومعه مجموعة من أوراق البردى قال له أحد الخبراء إنها تنتمى إلى عصر الأسرة ٢١ وأنها هامة فى تفسير بعض جوانب تاريخ تلك الأسرة .

كتب باتون بذلك إلى جاستون ماسبيرو مدير مصلحة الآثار فبعث بأحد مساعديه إلى الأقصر ليتظاهرانه جامع تحف .

نجح المساعد فى الاتصال بلصوص المقابر وكسب ثقتهم وأمكن القبض على رئيس العصابة فى قرية « القرنة » وأسمه محمد عبد الرسول .

أحيل المتهم إلى داود باشا مدير قنا .

كان « داود باشا » يستدعى لصوص الآثار ، ويملأ زيرا بالماء ويجلس فيه ولاتظهر منه إلا عيناه وفمه . ويستجوب داود باشا ـ وهو فى حالته هذه ـ اللص الذى لايرى من الباشا إلا عينيه .

وكان « داود باشا » يعفو عن السرقة الأولى ! ثم يطلق الرصاص وهو جالس داخل الزير على اللص إذا أرتكب السرقة الثانية .

ولكن اللصوص الذين يرتكبون جرائم كبيرة كانوا يعترفون فورا لأنهم يظنون أن الباشا يعرف وأن الرصاصة . . ستنطلق !

لم يعترف محمد عبد الرسول رغم التعذيب والسجن شهرين كاملين .

وإشترك أهالى القرية فى الدفاع عنه والشهادة لصالحه وإنه لم يسرق ، وأنهم أيضا أبرياء . . أفرج عن محمد عبد الرسول ولكنه وعد بمكافأة ضخمة إذا أعترف .

***

أعترف محمد عبد الرسول ـ بعد الافراج عنه وحصل على ٥٠٠ جنيه مكافأة .

أرشد أميل بروكش باشا مساعد ماسبيرو إلى أوراق بردى من عهد الملكة نفرتارى .

وقاد بروكش إلى مقبره فى الدير البحرى عبر ممر طوله ٢٥٠ قدما، وتقع على عمق ٤٠ قدما.

وفى غرفة صغيرة ، وعلى ضوء الشموع رأى بروكش أكفانا ومومياوات ل ٣٢ من ملوك مصر وملكاتها وكهنتها وعلى كل مومياء اسم صاحبها بالكتابة الهيروغليفية . أمينوفيس الأول وتحتمس الثانى

وآموسيس الأول وتحتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى أعظم هؤلاء الملوك .

وتبين أن بعض المومياوات محطمه .

كما مزق كفن تحتمس بحثا عما قد يكون ملتصقا بالجثمان من الذهب !

ووجدت صور آثار سهم فى مومياء الملك سقنن رع ملك مصر الذى صد هجمات الهكسوس .

ولكن الأثرى لم يجد تابوتا واحدا .

ظن بروكش أنه يحلم فإن هذه كانت أكبر ضربة حظ فى حياته .

بقى فى المقبرة ساعتين لايحس خلالهما بالحرارة والهواء الساخن فى صيف شديد الحرارة تحت أعماق الجبل .

إنه أول أوربى دخل مقبرة الدير البحرى .

تحرك على الفور .

أستخدم ٣٠٠ عامل قاموا بنقل المومياوات والأكفان والتماثيل وسلال الفواكه والأطعمة إلى سفينة على النيل .

وصلت السفينة إلى القاهرة وقسمت المومياوات إلى مجموعتين الأولى تنتمى إلى الأسرتين ١٨ و ١٩ ملوكا وموظفين كبارا .

والثانية من الاسرة ٢٠ و ٢١ من عصر الملوك الكهنة وقيل أنهم من معاصرى النبيين داود وسليمان .

***

فى كتاب المهندس حسن فتحى « الهندسة المعمارية للفقراء »

روى حكاية قرية « القرنة » التى جاء منها عبد الرسول . قال « إنها أقيمت فوق مقابر مصر القديمة ، قرب الشاطىء الغربى للأقصر وقد دفع السكان وأباءهم للحياة فى هذه المنطقة قبور أجدادهم الغنية بالآثار . . ويعيش الأهالى منذ ذلك الوقت ، من التنقيب عن المقابر .

وهم يعتمدون فى كسب أرزاقهم على سرقة محتويات المقابر بصورة تكاد تكون كاملة خاصة وأن المزارع المحيطة بتجمعاتهم السكنية لاتكفى للوفاء بإحتياجات هذا العدد من السكان وهى - أيضا - مملوكة تقريبا لعدد محدود من أصحاب الأراضى .

وهؤلاء السكان أصبحوا خبراء لايشق لهم غبار فى الكشف عن المقابر السرية وهم لصوص أذكياء ومهرة ولكنهم لم يمارسوا السرقات بتعقل .

كانوا ينقبون عن الآثار بإهمال مما أدى إلى إستنزاف أثمن الكنوز الفنية قبل أن تعرف قيمتها الحقيقية .

وروى حكيم أبو سيف مفتش الآثار أن أحد القرويين عرض عليه عام ١٩١٣ جوالا مملوءا بالجعارين الأثرية مقابل عشرين قرشا رفضها أبو سيف !

ولم تقتصر عمليات السطو على المقابر على سرقة الجعارين فحسب .

وعندما إكتشفت سليمة مقبرة أمينوفيس الثانى من الأسرة الثامنة عشر قام أحد الحراس بسرقة قارب مقدس كان بالمقبرة .

وأشترى الفلاح بعد ذلك ٤٠ فدانا من الأرض الزراعية من حصيلة بيع الآثار .

لقد ألحق هؤلاء بالمقابر أضرارا جسيمة رغم مهارتهم ورغم أن الانسان يشعر بالحب نحوهم ورغم أنهم يعيشون فى ظل فقر لايستحقونه .

إنهم ينقبون ثم يبيعون ، دون أن يعرفوا قيمة ماأكتشفوه ، أو مصدره ، مما يعنى خسارة كبيرة لعلم المصريات .

وهم يفعلون - أحيانا - ماهو أسوأ فإذا وجد أحدهم بالصدفة قطعة أثرية مصنوعة من الذهب فإنه يصهرها .

وهكذا وجدت الحلى والصفائح الذهبية والتماثيل والقطع الذهبية التى لاتقدر بثمن طريقها إلى أوعية الصهر وأصبحت مجرد سبائك ذهبية تقل قيمتها كثيرا .

وبالطبع وقع هؤلاء الفلاحون فريسة لتجار الآثار الذين يستطيعون وحدهم الاتصال بالأجانب الراغبين فى الشراء والذين إنعدمت ضمائرهم فإستغلوا الوضع الحرج لسكان القرنة وإشتروا القطع القيمة المكتشفة بأسعار تقل كثيرا عن قيمتها الحقيقية .

إن سكان القرنة يتحملون المخاطر ويطورون مهارتهم ويقومون بالأعمال الشاقة بينما يجلس هؤلاء التجار فى أماكنهم آمنين ويشجعون هذا التهريب وتمتلىء بطونهم بفضل هذه الآثار التى يحصل عليها سكان القرنة بمجهودات شاقة » .

***

إكتشف جريبو مدير مصلحة الآثار ـ عام ١٨٩١ ـ مقبرة قرب الدير البحرى مملوءة بالمومياوات والتوابيت والأوانى والقدور والآثار والفـواكه من عهد الأسرة ٢١ .

أخذ فى نقل هذه الآثار يوم ١٥ من فبراير من العام نفسـه وذلك حتـى أوائل أبريل من العام التالى .

وعين مورجان مديرا لمصلحة الآثار فإقترح توزيع نحو مائة مـن هـذه الآثار ـ مجانا ـ على متاحف أوربـا وأمـريكا . والغـريب فى الأمــر أن حكومة مصر وافقت على توزيع هذه الآثار على متاحف العالم !

***

لم تتوقف سرقة الآثار .

فى ٢٥ من يوليو عام ١٩٧٢ نشر فيليـب بيــرتير مقــالا فى صــحيفة « الأورور » اليمينية الفرنسية يقول أن الفنيين السوفيت هربوا الآثــار مـن مصر فى حقائب ثقيلة . . دبلوماسية » !

وفى ٩ من أبريل عام ١٩٧٣ أذاعت وكالة الاسوشيتدبرس الأمـريكية أنه خلال الشهور الثلاثة الأولى من عـام ١٩٧٣ نهـب السـوفيت القبــور الأثرية من مصر ونزعوا ما على الجدران من رسوم وسرقوا أوراق البردى .

وعرضوا بعض مالديهم للبيع بمبلغ مليون دولار » !

ولم تذع أسرائيل ـ حتى الآن ـ ماأخذته مـن آثــار ســيناء أثنــاء إحتلالها بعد عام ١٩٦٧ !

قانون ماسبيرو !

استعملت الكتابة الهيروغليفية لآخر مرة فى ٢٤ من أغسطس عام ٣٠٤ ق . م فى جزيرة فيله عند حدود مصر الجنوبية .

واستعملت اللغة الديموطيقية - وهى نوع شعبى من اللغة الهيروغليفية كتبت به أوراق البردى - لآخر مرة بعد ٦٠ سنة تقريبا .

لم يحاول اليونان والرومان الذين احتلوا مصر فهم الكتابة الهيلوغليفية التى تعبر بصور الحيوانات والأدوات وجسم الانسان . . فصورة الصقر فى اللغة الهيروغليفية مثلا لا تعبر عن الصقر وإنما عن السرعة باعتبار ان الصقر من أسرع الطيور !

وبقيت مصر القديمة صامته نحو ١٣٧٠ عاما لأن فن ، أو علم ، قراءة لغتها القديمة ضاع فلا أحد يستطيع أن يقرأ اللغة ، أو الكتابة الهيروغليفية ، على آثار مصر من أوراق البردى ، والحجارة والفخار .

* * *

وجاء نابليون إلى مصر غازيا بـ٣٢٨ سفينة و ١٨٠٠ مدفع عام ١٧٩٨ يريد احتلال « بوابة الشرق » ومعه ١٧٥ عالما وخبيرا فى الفلك والجغرافيا والجيولوجيا والفلسفة والنبات والرسم والشعر .

وكان جنود نابليون يسمون هؤلاء العلماء « الحمير » و

« الاغبياء » ! ولكن نابليون كان يسميهم « جنود العلم » الذين يتطلع اليهم العالم لمعرفة التاريخ المصرى .

ونقل الانجليز حربهم ضد نابليون إلى مصر فحاصر القائد البحرى نلسون اسطول نابليون فى « ابى قير » ودمره فى ٧ من اغسطس عام ١٧٩٨ .

استطاع نابليون العودة إلى فرنسا سرا وزحف الانجليز إلى القاهرة بقيادة السير رالف ابركرومبى فى ربيع عام ١٨٠١ وهددوا باحتلال العاصمة المصرية فانتقل العلماء الفرنسيون إلى الاسكندرية وأخذوا معهم الآثار المصرية التى عثروا عليها . . ومنها حجر رشيد .

* * *

اكتشفه الضابط الفرنسى بيير فرانسسوا بورشار فى منتصف يوليو عام ١٧٩٩ فى جدار قلعة قديمة ، أراد الفرنسيون هدمه لتوسيع القلعة بمدينة رشيد .

لاحظ الضابط ان على الحجر ٣ كتابات أو ٣ نصوص كتبت بثلاث لغات مختلفة : اليونانية والهيروغليفية والديموطيقية .

أرسل الحجر إلى القاهرة ووضع فى المعهد الذى أنشأه نابليون ولم يعلن عن « الحجر » إلا فى سبتمبر من ذلك العام .

عقد اتفاق بين الانجليز والفرنسيين نص فيه على ان يسمح للفرنسيين بالانسحاب من القاهرة ومعهم كل ممتلكاتهم . ولو أن العلماء الفرنسيين ظلوا فى القاهرة لأخذوا معهم حجر رشيد طبقا للاتفاق بين البلدين . ولكن المعاهدة التى عقدت بين الانجليز والفرنسيين نصت فى المادة ١٦ على ان يسلم الفرنسيون فى الاسكندرية كل الآثار .

أصر الجنرال الفرنسي مينو على عدم تسليم حجر رشيد بدعوى أنه من الممتلكات الخاصة به . ولكن الانجليز أصروا على الحصول عليه فسلم لهم فى أحد شوارع الاسكندرية حتى لا يعرف بذلك الجنود الفرنسيون !

أسرع الجنرال البريطانى هانشنس بشحنه على باخرة حربية نقلته إلى ميناء بورتسمارث فى فبراير عام ١٨٠٢ .

وفى مارس من ذلك العام وضع الحجر فى مقر جمعية الآثار فى لندن وقدمه الملك جورج الثالث فى آواخر عام ١٨٠٢ إلى المتحف البريطانى .

رأيت هذا الحجر ـ طوله ١١٤ سنتيمترا وعرضه ٧٢ وسمكه ٢٨ ووزنه ٧٦٢ كيلوجراما ، وهو من البازلت الأسود ـ فى الجناح المصرى الضخم فى المتحف البريطانى بلندن . وهو القطعة الوحيدة من الأحجار المصرية فى هذا المتحف ـ التى أحيطت بحاجز يمنع الناس من لمسها .

وزعت بريطانيا نسخا من نصوص الحجر على الجامعات البريطانية وجامعات أوربا .

ولكن هذا الحجر بقى صامتا لا ينطق . ولم يستطع أحد من العلماء تفسير الكتابة الهيروغليفية التى نقشت عليه . وقال أحدهم أن مشكلة الكتابة الهيروغليفية لن تحل ولن تتكلم الآثار المصرية أبداً .

وعندما حاول علماء تفسير الكتابة الهيروغليفية عارضهم آخرون واتهموهم بالتزييف .

ولكن هذا الحجر وكل الآثار المصرية الصامتة ، استطاعت أن تتكلم وتنطق بفضل طفل عبقرى . والده بائع كتب

الأم تقرأ للصغير وعمره ٥ سنوات صفحات من الانجيل بصوت مرتفع . والطفل يحفظ الصفحات ويعيدها كلمة بعد أخرى .

خاف الأب من ذكاء ولده ، فمنع الأم من القراءة للطفل . ولكن الصغير سرق نسخة من الانجيل من مكتبة أبيه .

لم يكن الطفل يعرف القراءة والكتابة ولكنه يحفظ مكان الكلمات فى الصفحات ويقارن النطق بالحروف ! ويلتقط مجلة تهتم بآثار مصر وفنونها ويطالع فيها تقريرا ورسما لحجر رشيد ويصمم الطفل - وعمره ١١ سنه - على حل لغز الهيروغليفية وتفسير كلماتها فيدرس ، وعمره ١٧ سنة ، بأكاديمية العلوم الفرنسية فى جرينويل .

ويتعلم فى المدرسة عدة لغات منها اليونانية واللاتينية والقبطية والعربية والعبرية . ويضع فى سن السابعة عشرة خريطة تاريخية لمصر التى لم يزرها !

ويتعلق الشاب بالكتابة الهيروغليفية . ولكن فقره يحاصره فيمنعه من التفرغ لهذه المهمة ، ويبحث - عبثا - عن ألف فرنك ليشترى ورقة بردى لعلها تساعده على الحل فيبعث لأخيه يطلب قرضا ! كان فرانسوا شامبوليون عاطلا ، ملابسه ممزقه ، وحذاؤه بال ، لا يدفع الايجار ويمتد المرض إلى رئتيه فيؤجر حجرته للطلبة ويعطيهم دروسا ، ويصحح بروفات الكتب ليعيش .

ورغم هذه الظروف كلها يؤلف قاموسا قبطيا فلما وصل عدد صفحاته إلى ١٠٦٩ صفحة ، قال :

- القاموس يزداد « سمنة » وأنا أزداد هزالا !

ويقرأ يوماً أن عالماً حل لغز الكتابة الهيروغليفية فيسرع إلى المكتبة يشترى الكتاب بعد أن تعهد بدفع ثمنه فى المستقبل . فلما قرأه أخذ يضحك لأنه وجد الكتاب أكذوبة ضخمة !

ويصبح الشاب العبقرى عضوا فى أكاديمية العلوم فى فرنسا وأستاذا فى سن التاسعة عشرة يتقاضى ربع مرتب المنصب نتيجة حقد العلماء المنافسين !

وكان لابد أن تكتمل صورة هذا العالم الشاب بمنشورات ثورية يحررها ضد ديكتاتورية نابليون ! فنفى ١٨ شهرا بتهمة الخيانة .

وعندما يعود إلى باريس يستأنف العمل فى حجر رشيد للوصول إلى سره .

وينفتح اللغز أمامه . . تدريجيا .

بدأ يقارن الصور الهيروغليفية بالحروف اليونانية ، ويلاحظ تكرار الصور فيدرك أن الهيروغليفية لغة وليست رموزا .

ويفطن إلى أن بعض الصور الهيروغليفية تكون اسمى كليوباتره وبطليموس وبذلك يعرف لأول مرة بعض الحروف الهيروغليفية ، ثم الحروف جميعها .

ويكتب لأخية :

« فعلتها » !

وهكذا نجح شامبليون وعمره ٣٢ سنة فى حل رموز الكتابة الهيروغليفية بعد أكثر من عشرين عاماً من اكتشاف الحجر !

وقرأ شامبوليون هذا النص الذى كتبه الكهنة عام ٩٦ ق . م تكريما لبطليموس الخامس بلغات ثلاث يعلنون فيه أنهم قرروا إقامة تمثال للملك فى كل معبد لأنه قدم العطايا للمعابد المصرية .

ويزور شامبوليون مصر سنة ١٨٢٨ وعمره ٣٩ عاما فيستقبله المصريون بترحيب بالغ ويقيمون له الحفلات ويهتف الفلاحون لأنه الرجل الذى استطاع « قراءه الكتابه التى وجدت على أحجارهم القديمه » !

ويظل الرجل فى مصر ٣ سنوات يطوف المعابد يقرأ ما كان سرا مغلقا ويبحث عن الحضارة التى اندثرت .

ويموت عام ١٨٣٢ العبقرى الذى جعل آثار مصر كتابا مفتوحا .

وبعد ٨ سنوات من وفاته يصدر أول قاموس للكتابة الهيروغليفية وأول كتاب عن قواعدها .

وإذا كان جان فرانسوا شامبوليون قد فرض اسمه على الكتابة الهيروغليفية فإن فرنسا فرضت ـ بذلك ـ نفسها على الآثار ومصلحة الآثار المصرية نحو مائة عام .

فى عهد محمد على باشا الكبير ، وإلى مصر ، صدر أول أمر عال ينظم قواعد حماية الآثار يوم ١٥ من اغسطس عام ١٨٣٥ وينص على أن آثار مصر ، جزء من تراث البلاد ، وهى ملك الدولة .

وقضت القوانين الصادرة منذ ذلك الحين بأن تبقى الآثار ذات الأهمية التاريخية ، والأعمال الفنية المتميزة ، داخل البلاد دليلا على عظمتها وحضارتها .

وفى عصر محمد سعيد باشا ، وموافقته على مشروع فرديناند دلسبس بأنشاء قناة السويس أخذ النفوذ الفرنسى يزداد ، وبالذات فى ميدان الآثار فان دلسبس تدخل لدى الوالى سعيد باشا لانشاء مصلحة الآثار وتشجيع البحث عنها .

ومنذ انشاء مصلحة الآثار وتعيين ماريت مديرا عاما لها عام ١٨٥٨ احتكر الفرنسيون منصب مدير عام هذه المصلحة ونصف الوظائف القيادية حتى عام ١٩٥٢ . وكانت البداية غزو نابليون لمصر الذى فشل عسكريا . . ونجح « أثريا » ! !

* * *

استمر الفرنسيون يديرون مصلحة الآثار حتى بعد الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ .

وأيدت بريطانيا حق الفرنسيين فى هذا المنصب فى الاتفاق الودى الذى عقد بين البلدين فى ٨ من أبريل عام ١٩٠٤ .

والاتفاق الودى ينهى التنافس بين البلدين فى البحر المتوسط لمواجهة الخطر الالمانى القادم .

وكانت الأمور قد اضطربت فى مراكش التى تحتلها فرنسا . وهناك دولتان فقط تستطيعان التدخل فى مراكش الأولى اسبانيا ولكنها مثقلة بنتائج حربها مع الولايات المتحدة ، وبريطانيا التى لا ترغب فى زيادة اعبائها .

ومن هنا اتفقت الدولتان على تبادل حكم مصر ومراكش ، أو اتفقتا على مقايضة مراكش بمصر ! !

تعهدت فرنسا بألا تطالب بالجلاء عن مصر .

وبريطانيا تطلق يد فرنسا فى مراكش فلا تطالبها بالانسحاب .

ووقع الاتفاق اللورد لانسدون وزير خارجية بريطانيا وكامبون سفير فرنسا فى لندن .

والاتفاق سياسى فى المقام الأول مفروض فيه الا يبحث شئون الآثار وأن تكون آخر موضوع يتناوله مثل هذا الاتفاق !

ولكن المادة الأولى تقول بأن بـريطانيا لن تغيـر الحـال السـياسية فى مصر ، وفرنسا لن تعرقل عمل بريطانيا العظمى ولن تطلب تحديد مـوعد للجلاء عن مصر .

وأصرت فرنسا ـ فى المـادة الأولى ـ على أن يتـولى منصــب مــدير مصلحة الآثار ـ كما كان فى الماضى ـ عالم فرنسى !

وهذا النص ، بهذه الطريقة ، يبين أهمية مصـلحة الآثـار فى نـظر الفرنسيين فهم يعترفون بأن نفـوذهم السـياسى تـلاشى أو ســيتلاشى فى مصر . ولكن نفوذهم فى مصلحة الآثار ينبغى أن يستمر !

وعلى هذا الأساس استمر الفرنسيون فى ادارة مصلحة الآثـار واعـطاء تراخيص التنقيب !

* * *

شغل ستة من الفرنسيين منصب مدير عـام مصـلحة الآثـار . منـذ انشائها حتى عام ١٩٥٢ .

كانوا جميعا محبين لمصر وآثارها . أغلبهم درس الهيروغليفية والقبطية والحبشية والعبرية وألفوا عشرات الكتب ، وألوف المقالات ، عن مصر وتاريخها القديم ، وأدبها ، وموسيقاها ، ونباتها ، وحيواناتها وقواعد الكتابة الهيروغليفية ونقبوا فى مواقع كثيرة بحثاً عن الآثار .

ولكن اختلفت سياسة كل مدير للمصلحة عن الآخر بالنسبة لملـكية الآثار .

ظل فرانسوا أوجست فردينال مارييت باشا مديرا عاما لمصلحة الاثار

٢٣ عاما متصلة حول خلالها مسجدا وبعض العشش لتصبح متحف بولاق للآثار .. قبل انشاء المتحف الحالى عام ١٩٠٠ .

وقام بالحفر والتنقيب فى ٣٥ موقعا امتدت من النوبة وأسوان حتى البحر المتوسط وكشف عن آثار البدرشين ومعابد الاقصر وادفو وإبيدوس ودندرة وعشرات من الاهرامات التى بنيت على هيئة مصاطب .. الخ .

وكان لديه ٢٧٨٠ عاملا يقومون بهذه المهمة . وبذلك سجل رقما قياسيا للحفر والاكتشافات فى الشرق الأدنى كله .

وضع ماريت قاعدة عدم خروج أى أثر من مصر إذا لم يكن له نظير فى البلاد .

حدث عام ١٨٦٦ أن طلب نابليون الثالث من الخديو اسماعيل بعض الآثار المصرية لتعرض بالمعرض المقام فى ذلك العام بفرنسا فرفض ماريت إلا إذا تعهدت فرنسا بإعادة تلك الآثار إلى مصر . فأعيدت الآثار .

سيطر ماريت على عالم الآثار . واستعان بعمال الخبرة للحفر والتنقيب . وسمح الخديو سعيد واسماعيل بضرب لصوص الآثار بالسياط ونسف المبانى بالديناميت لاكتشاف الآثار وأعادتها للمتحف .

وفى عام ١٨٧٩ عندما وقعت الأزمات المالية التى أدت إلى عزل الخديو اسماعيل عين مندوبان ماليان للأشراف على شئون مصر المالية الأول كرومر البريطانى الذى تولى الاشراف على شئون وزارة المالية والثانى دى بلينيير الفرنسى الذى تولى الاشراف على وزارة الاشغال ، وكانت مصلحة الآثار تتبع هذه الوزارة .

ومن هنا زاد اهتمام الفرنسيين بآثار مصر .

وعندما توفى ماريت فى يناير عام ١٨٨١ دفن بحديقة المتحف المصرى وحوله مشاهير مديرى مصلحة الآثار .

خلف جاستون كامى شارل ماسبيرو الفرنسي الراحل ماريت فى ادارة مصلحة الآثار عام ١٨٨١ ، مدة خمس سنوات ، قسم خلالها مصلحة الآثار إلى ٥ مناطق يشرف على كل منها مفتش .

وماسبيرو درس اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية وعلوم الآثار والتاريخ المصرى وأصبح استاذا للآثار المصرية فى كلية فرنسا وعمره ٣٠ سنة .

وعرضت عليه وظائف كثيرة فى عدة دول بأمريكا الجنوبية وايطاليا .

وعندما انشأت فرنسا مدرسة للآثار الشرقية فى مصر ليدرس فيها الراغبون عام ١٨٨١ أوفد ماسبيرو للعمل استاذا بها . . ثم اختير مديرا للمدرسة ثم مصلحة الآثار .

ويفاخر ماسبيرو بأنه حافظ على الآثار المصرية من السرقة والنهب أثناء الثورة العرابية ولكن الواضح ان أحدا من المصريين خلال الثورة لم يفكر فى اقتحام المتحف المصرى فى بولاق وسرقة آثاره !

نشر ماسبيرو عدة كتب عن مصر وآثارها . وجمع القصص الشعبى القديم فى كتاب عام ١٨٨٢ . وظل ١٤ سنة يجمع الأغانى الشعبية فى مصر وأصدرها فى كتاب عام ١٩١٤ .

ومن المؤكد أن ماسبيرو كان محبا لآثار مصر ولذلك رأى ضرورة تشجيع البحث والتنقيب عنها .

ومن هنا وجد ان عمليات التنقيب التى يقوم بها الأجانب تعتبر خدمة لمصر فهم يقومون بعمل لا تستطيع المصلحة القيام به ، كما أنهم

يحرسون المنطقة التى يعملون بها . ويعتبر من السخافة حرمان البلاد منها !

وفى البداية كانت نصوص ماسبيرو متشددة بالنسبة لتصدير الآثار ..

قال الأمر العالى الذى اصدره الخديو محمد توفيق فى ١٦ من مايو ١٨٨٣ باعتبار « دار الانتيكات المصرية ومحتوياتها من أملاك الحكومة ذات المنفعة العمومية » !

ونص فى أول تصريح منح للتنقيب عن الآثار - عام ١٨٨٤ - بأن تبقى فى مصر جميع القطع التى يعثر عليها مهما يكن نوعها ، وقيمتها والعصر الذى تنتمى إليه » .

فى هذا التصريح قيل صراحة ان الآثار تبقى ملكا للحكومة المصرية وتودع فى « متحف بولاق »

ولكن ماسبيرو ارتكب أكبر خطأ عندما حاول التوفيق بين الفرنسيين والانجليز فوعد البريطانيين بأن يقدم لهم خديو مصر بعض الآثار التى يعثر عليها المنقبون البريطانيون كهدايا ونفذ هذا الوعد !

وأهدى الخديو المستكشفين البريطانيين بعضا من آثار تل المسخوطة .

وكان كل ما تكلفه الانجليز للحفر فى هذا التل ٦٠٠ جنيه !

وتمادى ماسبيرو فى تيسيراته للأجانب .

رخص لمدير الآثار بأن يسمح للمستكشف بالحصول على جزء من القطع التى يعثر عليها والتى يمكن التنازل عنها ولكن بشرط أن تقوم مصلحة الآثار بفحصها أولا لتعويض المنقبين عن نفقات الحفر .

وكانت هذه بداية سرقة آثار مصر بنصوص قانونية صريحة !

ولكن ماسبيرو عاد إلى فرنسا عام ١٨٨٦ بسبب حالة زوجته الصحية وظل فى باريس ١٣ سنة فخلفه فى البداية يوجين جريبو ست سنوات من عام ١٨٨٦ حتى عام ١٨٩٢ .

عادى جريبو كل الأجانب عدا الفرنسيين .

وأخذ يتشدد فى منع التصدير

وقال الأمر العالى الذى اصدره الخديو محمد توفيق فى ١٧ من نوفمبر عام ١٨٩١ بمنع الحفر الا برخصة من مدير عموم دار التحف والحفر .

ووضعت شروط ونصوص محددة فى كل ترخيص .

« كل الآثار تبقى ملكا للحكومة المصرية . . تختار منها ما تريد فان بقى شىء يترك للقائم بعملية التنقيب بشرط أن يقوم ـ بدوره ـ باهداء القسم الاكبر منها للمتاحف العامة . . بلا مقابل .

وكان الهدف ان تكون آثار مصر فى متاحف العالم للدعاية ولا يستفيد بها المكتشفون !

وحدث الصدام بين الانجليز وجريبو فاضطر للاستقالة عام ١٨٩٢

وتولى ادارة مصلحة الآثار جاك جان مارى دى مورجان خمس سنوات ليقوم بحفائر فى أهرامات دهشور ويكتشف مجوهرات الاسرة ١٢ ، ومصطبة سقارة ، ويقود أول بعثة لاكتشاف آثار سيناء ثم يستقيل ليسجل أهم اكتشافات عمره فى ايران !

وجرت تيسيرات اخرى عام ١٨٩٣ . .

اعترفت اللائحة الجديدة بأنه يجوز تعويض بعثات التنقيب بالتنازل لها عن نصف القطع المكتشفة .

وبقى للحكومة الحق فى الحصول على كل القطع الخاصة بملوك مصر . . دون تعويض ودون اقتسامها مع المكتشفين .

ساعدت هذه التيسيرات على تدفق البعثات الأجنبية على مصر. ولكنها كانت كارثة على الآثار المصرية فقد سمحت بنهبها على نطاق واسع !

وجاء فيكتور لوريه عام ١٨٩٧ مديرا للآثار ليبقى عامين فقط ويطاح به لنفس الأسباب التى اطاحت بسلفه جريبو فاضطر للاستقالة .

ولكن فى عهد لوريه تم الحفر فى وادى الملوك فاكتشف قبر امنحوتب تحتمس الثالث وامنحوتب الثانى الذى وجدت فيه ٩ موميات .

وظل حب لوريه للآثار المصرية مستمرا حتى بعد عودته لفرنسا فأنشأ مدرسة للآثار المصرية فى مدينة ليون وأصدر قاموسا للغة الهيروغليفية من جزءين ضما ٢١٧٩ كلمة .

وعاد ماسبيرو لادارة مصلحة الآثار عام ١٨٩٩ ليبقى ١٥ سنة أخرى مديرا لهذه المصلحة .

فى العهد الثانى لماسبيرو تدفق الاجانب للبحث عن آثار مصر بصورة لم يسبق لها مثيل .

* * *

رفع ماسبيرو شعار تشجيع البحث عن آثار مصر فأعد مشروع قانون عجيب يدور حول هدف واحد وهو تقسيم الآثار مناصفة بين المصلحة والمكتشف .

ووافق اسماعيل سرى باشا وزير الاشغال ـ الذى تتبعه مصلحة الآثار ـ على المشروع وأقره مجلس الوزراء برئاسة محمد سعيد باشا

ووقعه الخديو عباس حلمى الثانى عام ١٩١٢ . فتدفق الأجانب للبحث عن اثار مصر .

وكانت مصلحة الآثار كريمة غاية الكرم مع صاحب الترخيص ، بينما فى بلاد كاليونان لها تاريخ قديم لا ينال المكتشف شيئا من اثار البلاد لأنه يجب الاحتفاظ بها فى موطنها الأصلى .

وأمثله الاستيلاء على الآثار المصرية ـ طبقا لقانون ماسبيرو ـ لا تنتهى .

نص المشروع على ان تؤول إلى مصلحة الآثار مومياوات الملوك ، والأمراء ، وكبار الكهنة ، وأعضاء البلاط الملكي وتوابيتهم وأكفانهم .

وتؤول للمصلحة أيضا محتويات المقابر السليمة التى لم تمس ، أى لم ينبشها اللصوص .

وإذا وجدت مقبره تسلل اليها اللصوص ، ولم يسرقوها بالكامل ، فأن مصلحة الآثار تحتفظ بالمومياوات والتوابيت ذات الأهمية الكبرى من الناحيتين الأثرية والتاريخية وما يتبقى بعد ذلك من الآثار القابلة للنقل تقسم مناصفة بين المصلحة والمكتشف .

وتقوم مصلحة الآثار بعملية القسمة إلى مجموعتين يختار المكتشف احداهما أو يحصل على ثمن مجموعته من مصلحة الآثار .

وإذا لم يقبل المستكشف نصف القيمة التى تحددها المصلحة يكون لها أن تأخذ التحف أو تتركها بأن تدفع ، أو تأخذ ، نصف القيمة التى يحددها المكتشف نفسه .

وجرى العرف والتقاليد على حصول المكتشف على معظم الآثار العادية وأقل من نصف الآثار الهامة !

* * *

فى أول ابريل عام ١٨٨٢ ، قبل الاحتلال البريطانى بعشرة اسابيع أعلن فى لندن عن تشكيل جمعية التنقيب المصرية للبحث عن الآثار .

كان من بين الأعضاء المؤسسين اللورد كارنارفون - الأب - رئيس جمعية الآثار .

أما الهدف الأول للجمعية فهو محاولة الوصول إلى حقيقة الفترة الضائعة فى تاريخ مصر وهى الـ ٤٠٠ عام التى عاشها اليهود فى مصر وطريق خروجهم منها .

والهدف الثانى أن يحصل المتحف البريطانى على نصيب من آثار مصر ، بطريقة قانونية سليمة لأن متحف اللوفر الفرنسى ملىء بالآثار المصرية ، كما أن هذه الآثار تملأ متاحف برلين وتورينو وفلورنسا .

وكان من الطبيعى أن يكون هناك غطاء لأهداف الجمعية ورسالة معلنة وهى المحافظة على آثار مصر !

تعاونت الجمعية مع السير ارنست واليس بادج الامين المساعد للقسم المصرى فى المتحف البريطانى والسير اراسموس ويلسون الجراح البريطانى الشهير الذى مول الجمعية وتبرع لها بعشرة آلاف جنيه - وهو رقم ضخم بمقاييس ذلك الزمان - لنقل مسلة كليوباترا من الاسكندرية إلى انجلترا لتستقر على ضفاف نهر التيمس .

وبدأت الجمعية عملها بالتنسيق مع ماسبيرو بطرق شتى ! !

تبادلت اميليا ادواردز الكاتبة الصحفية التى زارت مصر الرسائل مع

ماسبيرو عندما كان استاذا شابا فى كلية فرنسا بباريس عام ١٨٧٦ !

وبعد أن تولى منصب مدير مصلحة الآثار استمرت الجمعية تتعاون معه فوافق على اهدائها أول مجموعة أثرية من « تل المسخوطه ـ قرب الرقازيق ـ عام ١٨٨٣ .

ويعدل ماسبيرو القوانين لصالح الجمعية فيسمح بتصدير الآثار عام ١٨٨٤ .

ويحتضن ماسبيرو عمليات التنقيب التى يقوم بها ماثيو فلندرز بيترى البريطانى وكل ما اشترطه ان تذهب آثار كل المجموعات التى يكتشفها بيترى إلى متحف بولاق وأن توضع فى صناديق الآثار المكررة التى يريد تصديرها ويبلغ بها ماسبيرو ليفحصها ! ويوافق عليها .

وكان ماسبيرو يوافق عادة . وكان بيترى يسجل فى رسائله للجمعية كرم ماسبيرو !

وفى لندن كانت الجمعية تعرض الآثار الواردة من مصر لتحصل على تبرعات ثم تكتب لبيترى وغيره من الذين ينقبون باسم الجمعية تطلب مزيدا من الآثار للمتاحف المحلية فى بريطانيا !

وبعد أن تولى جريبو ادارة مصلحة الآثار اتهم بيترى بتصدير « سرقة » ٥٠٠ ألف قطعة من الفخار المصرى بلا ترخيص !

وفى التقرير الذى نشرته الجمعية عام ١٩٨٢ عن أعمالها فى مائة سنة اعترفت بأن المتحف البريطانى كان أول من أفاد من الجمعية ثم متحف بوسطن فى الولايات المتحدة لأنه كان يتبرع للجمعية ، ومتاحف أمريكا ، وليفربول ، وشفيلد ، وادنبره ، ومدرسة حكومية بريطانية فى هارتر هاوس !

وفى تقرير الجمعية انها عندما توقفت عن الحفر فى طيبة بسبب ضعف الميزانية تبرع أمريكى اسمه « لافان » بألف جنيه مقابل أن يأخذ حصة الجمعية فى نصف الآثار المصرية فوافقت الجمعية .

واقترحت الجمعية على الحكومة البريطانية اصلاح المعابد المصرية وأبواب مقابر وادى الملوك فوافقت لجنة فى وزارة الاشغال مقابل ان يقوم المتحف المصرى ببيع التحف ! ! والحصول على ثمنها لتنفيذ هذه الاصلاحات .

وهكذا ساعدت الجمعية على نهب آثار مصر !

* * *

استمرت عملية تقسيم الآثار بين المصلحة والمكتشفين طبقا لقانون ماسبيرو .

● وهذه بعض الامثلة . .

● فى عام ١٩٠١ . . وجد قنصل فرنسا الفخرى فى الاقصر اسكندر بك مقبرة لبعض الاعيان فحصل على نصف ما اكتشفه من آثار .

● وفى نفس السنة أخذ تيودور دافيز الآثار المكررة من قبر تحتمس الرابع .

● وفى عام ١٩٠٣ أخذ دافيز تابوتا من اثنين وجدهما فى قبر الملكة حاتاس وسلم التابوت لمتحف المترو بوليتان فى نيويورك .

● وأخذ دافيز أيضا آثارا من قبر حور محب ، وآوانى فخار من قبر اخناتون .

وقدرت تكاليف الحفر التى أنفقها دافيز للوصول إلى مقبرة اخناتون

٧٥٠٠ جنيه . أما قيمة الآثار التى حصل عليها من هذه المقبرة فقد زادت على ٢٠ ألفا من الجنيهات .

ولم يعارض اسماعيل سرى باشا ـ وهو من اكفأ المهندسين المصريين ـ فى تنفيذ نصوص القانون وتقسيم الآثار خلال السنوات الطويلة التى أمضاها فى وزارة الاشغال .

لقد ظل يشغل هذا المنصب فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى ، والسلطان حسين كامل ، والسلطان أحمد فؤاد ، الذى أصبح ملكا ، وبقى وزيرا ١٢ عاما فى وزارات بطرس غالى ، ومحمد سعيد ويوسف وهبه ومحمد توفيق نسيم .

عين فى منصبه منذ ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ وبقى فيه حتى ١٥ من مارس ١٩٢٣ باستثناء ٣ سنوات تقريبا .

قال الانجليز فى تقاريرهم الرسمية السرية ان اسماعيل سرى « رجلنا فى مصر » !

وكانت مصلحة الآثار تتبع وزارة الاشغال !

* * *

ظل وادى الملوك يمثل عالما من السحر والغموض والخيال لعاشقى الآثار ولصوصها وهو أيضا مكان موحش منعزل تحوم حوله الاشباح .

وصفه اللورد كارنارفون بأنه صخور ، ورمال ، ورديم ، وحفر مملوءة بالمومياوات ، جوه خانق مخيف بلا طيور أو حشرات ولا يعكس أى مظهر للحياة .

أنه شاهد على الجميع . . الرواد واللصوص معا ، يعكس الطمع والجشع والفضول الانسانى الذى انتصر وتفوق على كل حذر !

دخله أحد العلماء بحماره . . فلم يعرف طريق العودة إلا بصعوبة بالغة .

اكتشف فيه ٦٤ قبرا فقط اكبرها قبر سيتى الأول الذى يمتد فى أعماق الأرض ١٨٠ قدما وطوله ٤٧٠ قدما .

فشلت السرية فى الحفاظ على قبور الملوك ، وفشلت العلانية أيضا نتيجة ضعف العرش واستهانة اللصوص من الحراس والموظفين المرتشين ، بالملوك الاحياء . . والموتى .

وهكذا نهبت القبور أو أغلبها .

* * *

بعد أن زار عالم الآثار الالمانى كارل ريتشارد ليسبيوس وادى الملوك عام ١٨٤٢ قال :

ـ هذا المكان خال من المومياوات والآثار .

ولكن اميليا ادواردز الكاتبة البريطانية ، وأول سيدة درست علم الآثار ، قالت :

ـ هذا المنجم لا يخلو ابدا .

* * *

وبقى قبر توت عنخ آمون !

الكشـــــف

وجد سكياباريللي أمين متحف تورينو الايطالى باب مقبرة ذات مقبض برونزى يلمع بعد أن أزيل من فوقه التراب ، فوضع يده فى جيبه ثم أخرجها خاوية يردد لمعاونه :

ـ أسف . . لقد نسيت المفتاح .

فان الاثرى ظن أن المقبض اللامع يدل على باب جديد بنى حديثا .

وهذا مثال يدل على روعة الآثار المصرية .

قال هيرودوت :

ـ المصريون أول شعب حفظ تاريخه ، وهم المؤرخون الأوائل فى العالم لأن ماضيهم يتمثل أمام عيونهم فى الآثار الكثيرة .

وفى السنة الأولى لمجيء كارتر إلى مصر ، عندما جاء إليها وعمره ١٧ سنة ، قال له أستاذة العالم الاثرى بيترى :

مصر كلها متحف . الحرارة جعلت الجو نقيا جافا بلا رطوبة وعزلت مناخ البلاد عن المناطق المجاورة وحفظت الألوان والرسومات على الجدران كأنها رسمت بالأمس ، أو للتو واللحظة .

وعرف كارتر وهو يعمل مع أستاذه فى تل العمارنة عاصمة أخناتون الكثير عن توت عنخ أمون .

لقد توج فى تل العمارنة ، ولكنه نقل عاصمة الملك إلى طيبه ـ

الأقصر ـ أوبعبارة أدق أعاد العاصمة إلى الأقصر ، كما كانت قبل أخناتون .

ولكن لم يجد بيترى فى تل العمارنة قصرا ، ولا قبرا لتوت عنخ أمون ، مما يرجح أنه دفن فى وادى الملوك .

* * *

وهناك فراعنة كثيرون أرادوا إعادة كتابة التاريخ بإزالة أسماء من سبقوهم مثل حتشبسوت وهى أيضا من الأسرة الثامنة عشرة التى ينتمى إليها توت عنخ أمون .

ويوجد نظير لهذه الظاهرة فى دول أخرى .

فى الصين بعد ١٥٠٠ سنة من وفاة حتشبسوت أمر الامبراطور بحرق الكتب على نطاق واسع .

وفى انجلترا رأى كرومويل ان كل السجلات القديمة يجب أن تحرق ليبدأ التاريخ .. جديدا

* * *

وكتبت كريستيان دى روشنوبل كور أمينة القسم المصرى فى متحف اللوفر أن هذا الملك تعرض لحملة منظمة من قبل قائده وخليفته فى الملك ، حور محب ، لطمس إسمه وإزالته .

ولكن آثارا كثيرة للملك توت عنخ أمون أفلتت من مطارق حور محب فان المصريين عرفوا أشياء كثيرة عن هذا الملك منذ مجىء نابليون إلى مصر .

ودلت بعض الآثار عليه :

* حجر من معبد عليه شعاره الملكى وجد فى الأقصر .

* كتل من الحجارة عليها شعاره ، وأعيد إستعمالها للبناء فى الأقصر أيضاً .

* * *

إكتشف ٦٤ قبرا فى وادى الملوك من الأسرة الثامنة عشرة أكبرها قبر سيتى الأول الذى يمتد ١٨٠ قدما تحت الأرض وطوله ٤٧٠ قدما .

وبقيت ٣ قبور من ملوك هذه الأسرة لم تكتشف ، وهى قبر أخناتون الذى مات فى تل العمارنه وقيل أن جثته قد مزقت ، وحور محب الذى دفن فى ممفيس - ميت رهينة - وأخيرا توت عنخ أمون .

وكان كارتر يرى ان هذا القبر لم ينبش ، ولم ينهب ، ولا توجد فى أية سجلات ما يدل على ذلك .

ورأى كارتر أن أمطارا غزيرة نزلت على منطقة القبر فغيرت معالمه وسدت مدخله فتعذر على اللصوص الاهتداء إليه .

* * *

درس كارتر نتائج جمع الحفائر التى تمت من عام ١٨٧٥ .

ورأى أن اللصوص سرقوا بعض التحف النادرة من مقبرة الملك توت عنخ أمون ولكنهم لم يسرقوا كل ما فى المقبرة ولم يصلوا إلى مومياء الملك .

وجد جورج ليجران وهو عالم آثار فرنسى وكان كبيرا لمفتشى المصلحة بالأقصر « نب خبرورع » - وهو الأسم الملكى لتوت عنخ أمون - على نصب تذكارى فى معبد الكرنك عام ١٩٠٥ ، ونشر ذلك بعد عامين .

واكتشف تمثال له وهو جالس بالحجم الطبيعى نحت من حجر قاتم اللون لا يبعث منظره على السرور .

وعثر على بقايا أو شظايا فى الكرنك طمست بعض نقوشها تصور القارب الشمسى الخاص للملك .

وإكتشفت إشارات إليه فى قبر أحد موظفيه تقول بأن قبائل معينة فى سوريا والسودان خضعت له ودفعت الجزية .

* * *

هنا تلعب المصادفات أخطر أدوارها ويتحقق كشف أثرى هام لا فى الأقصر وإنما فى نيويورك !

حدث عام ١٩٠٨ ان زار هربرت وينلوك الأمين المساعد للقسم المصرى لمتحف المتروبوليتان الذى يرأس بعثه المتحف للتنقيب فى الأقصر ، مقر المليونير الأمريكى دافيز ، ورأى أباريق وأقداحا وقطعا فخارية وقطعا من القماش ملقاه بلا عناية عثر عليها دافيز فى حفرياته فى وادى الملوك .

سأل وينلوك .. المليونير عن هذه الآثار فقال انه عثر عليها عام ١٩٠٧ فى غرفة صغيرة على مسافة ٧ أمتار تحت الأرض فى وادى الملوك تبعد ٤٥ مترا تقريبا من قبر رمسيس السادس . ويعتقد انها كل مخلفات قبر توت عنخ أمون ، وأن القبر نهب ، وان حراس القبور القدامى دفنوا هذه المخلفات ، من جديد ، فى هذا القبر أى تلك الحفرة ! .

وقال دافيز أيضا انه يعتقد أن هذه الغرفة هى التى بقيت من قبر توت عنخ أمون ونشر كتابا بذلك إشترك معه فى تأليفه ثلاثة من الأثريين تحفظ

أحدهم وقال ، أنه يحتمل ، أو يقال ، أو يظن أنه قبر الملك توت عنخ أمون .

طلب وينلوك من دافيز هذه القطع لمتحف المتروبوليتان فى نيويورك فوافق ، وظلت هذه الآثار حبيسة ، مهملة فى القسم المصرى بالمتحف فى نيويورك لم يطلع عليها أحد ١١ سنة كاملة .

ودون مقدمات أو أسباب وقعت صدفة جديدة فى تاريخ البحث عن قبر توت عنخ أمون .

تذكر وينلوك هذه القطع فأخذ فى دراستها .

فحص وينلوك الأوانى الفخارية العشر البيضاء ليجد انها مليئة بالأقمشة يحمل بعضها إسم توت عنخ أمون وكذلك أكياس القش ، وأكياس النطرون ، وقناع شبيه لانسان من الجص والقماش ، وكثير من أنواع الآنية المختلفة ، التى كان بعضها مكسورا بطريقة متعمدة ، وعظام طيور وحيوانات ، وبعض أكاليل الزهور ، ومكنستان . وقارورة نبيذ مغلقة ومختومة بخاتم المقابر الملكية وعليها إسم توت عنخ أمون .

قام وينلوك بتجميع الرقائق الذهبية فشاهد ملامح لتوت عنخ أمون وهو يمارس هواية الصيد فوق محفة . وحملت رقائق ذهبية أخرى أسماء توت عنخ أمون و« عنخسن أمون » و« آى » .

وصورته صفائح أخرى وهو يجهز على سجين مقيد بالأغلال وبجواره الملكة .

وكتبت على صورة الملكة عبارة بالكتابة الهيروغليفية تقول « كل وسائل حمايته فى الحياة توفرت له تماما كالشمس » .

أدرك وينلوك أهمية هذه القطع وأن بعضا منها يشكل المواد التى

استخدمت فى تحنيط مومياء توت عنخ أمون ، وشكلت الآثار بقايا مأدبة ، حضرها نحو ثمانية أشخاص أقيمت وقت جنازة توت عنخ أمون ، وفقا للعرف السائد .

وكشف الطين الجاف شكلا من المرمر غير المنقوش ، وعن صندوق خشبى مكسور .

وتوصل وينلوك إلى أن بعض هذه القطع خاصة بالاحتفالات التقليدية لتحنيط تمثال الملك وأن بعضها الآخر أدوات طعام فى الحفل الجنائزى الذى أقيم فى نهاية عملية التحنيط داخل المقبرة قبل إغلاقها على مومياء الملك لآخر مرة !

وصار واضحا لوينلوك أن هذه الأشياء سرقت فى وقت قديم من مقبرة توت عنخ أمون الحقيقية وتم إخفاؤها فى تلك الغرفة التى عثر عليها دافيز .

وأيقن وينلوك ان هذا هو مفتاح التهانى لحل اللغز الملكى وأن توت عنخ أمون دفن فى وادى الملوك .

* * *

قال كارتر : « بدأ اليأس يتسلل إلى نفوسنا شيئا فشيئا. وكنت مستعدا لمغادرة وادى الملوك وتجربة حظنا فى مكان آخر ».

. . ولكن فى هذا الوقت بالذات يبرق وينلوك برأيه إلى كارتر . وكانت هذه أكبر رسالة تشجيع تلقاها كارتر .

* * *

عبر كارتر بحر المانش إلى فرنسا . واستقل السفينة إلى ميناء الاسكندرية ودفع مقابل هذه الرحلة ١٤ جنيها بالدرجة الثانية .

وكان السفر بالدرجة الأولى من ليفربول إلى الاسكندرية يتكلف ٦٠ جنيها .

ووصل كارتر إلى الأقصر يوم ٢٨ من أكتوبر قبل موسم السياحة بشهرين ، وهى المهلة الزمنية التى أتيحت له للحفر فى المنطقة الوحيدة التى لم يحفر فيها من قبل وامتنع عن التنقيب فيها مرتين : الأولى عندما كان يعمل مع المليونير الأمريكى دافيز والثانية فى السنة الأولى لعمله مع اللورد كارنارفون .

* * *

عاش كارتر فى مصر ، ٣٢ عاما أعزب لا يؤنس وحدته أحد فى العشة التى بناها فى وادى الملوك وأطلق عليها إسم « قلعة كارتر » .

وقبل أن يسافر إلى لندن قال للجميع أنه لن يعود إلى مصر وحده بل سيعود ومعه رفيق .

واعتقد الجميع أنه سيتزوج . ولكن عندما رست به السفينة الفرنسية فى ميناء الاسكندرية كان معه عصفور « كنارى » ذهبى فى قفص ! .

تفاءل خادمه بغناء العصفور وقال :

- سنجد قبرا مليئا بالذهب .

واستأجر كارتر فريقا من العمال للتنقيب قبل تدفق السياح .

* * *

كان أمام كارتر مثل أعلى هو المليونير الالمانى العصامى هاينريش شليمان الذى إكتشف مدينة طرواده القديمة - حصارليك الان - فى الاناضول (تركيا) وتبعد ستة كيلو مترات ونصف كيلو متر شرقى مدخل الدردنيل .

أبوه قسيس فقير .

وهاينريش عمل مساعدا لبقال وعمره ١٤ سنة . وقرر الهجرة إلى أمريكا فغرقت سفينته ولكنه نجا وإستقر على الشاطىء الهولندى .

وفى هولندا وجد عملا .

وخلال فترة قصيرة تعلم معظم اللغات الأوربية وأضاف إليها اليونانية القديمة والحديثة . وأصبح ناجحا كرجل أعمال . سافر إلى روسيا ، ثم إلى كاليفورنيا ، وحصل على الجنسية الأمريكية .

وعندما أصبح فى السادسة والأربعين قرر أن يهب حياته وثروته لعلم الآثار فذهب إلى اليونان عام ١٨٧٠ بعد ان قرأ اشعار هومير ، أو هوميروس ، للبحث عن مدينة طروادة التى وردت فى أشعاره .

وظل شليمان يبحث عن طروادة خلال عامين فلم يجد شيئا .

وعاود البحث فى فترات متقطعة ، ثم بتركيز بالغ خلال السنوات من ١٨٧٦ حتى ١٨٧٨ للعثور على مدينة طرواده التى قاد اجاممنون الحملة الاغريقية ضدها فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد .

لم يجد شليمان شيئا حتى اليوم قبل الأخير .

فى هذا اليوم رأى قطعة كبيرة من النحاس ولكنه لمح بريقا يلمع تحتها فأخذ وزوجته يحفران بأيديهما ليجدا ١٦,٣٥٣ قطعة من الذهب والسلاسل والتيجان والاساور وأوراقا من الفضة وأشياء كثيرة عجيبة .

وهكذا أصبحت قصة هذا الهاوى الموهوب حافزا لكل الأثريين ومنهم كارتر وكارنارفون .

وفى أول نوفمبر إتخذ كارتر قرارا مفاجئا . . ان يعود إلى التنقيب فى نفس المنطقة التى توقف عندها فى عام ١٩١٧ عند مدخل قبر رمسيس

السادس . . ليجد أكواخ العمال الذين إشتركوا فى بنـاء ذلك القبـر . .
وكان قد شاهدها قبل ٥ سنوات تبعد ١٢٠ ياردة عن الحفرة التى وجد فيها
دافيز بعض آثار عنخ أمون .

وربما تكون أكواخ العمال التى اقيمت فـوق قبـر رمسـيس السـادس
جعلت الكثيرين يمتنعون بدعوى ان هؤلاء العمال لابد قـد بحثـوا تحـت
هذه الأكواخ قبل إقامتها ، ولم يجدوا شيئا . . وأنه مـن المسـتحيل ان
يكون موظفو مدينة الموتى قد سمحوا بإقامة أكواخ للعمال فوق قبر فرعون
مصر !

* * *

بعد ٣ أيام ـ يوم ٤ من نوفمبر وصل كارتـر ، على ظهـر حمـاره إلى
منطقة الحفر ليجد العمال صامتين على غير عـادتهم . أسرع إليـه رئيس
العمال صائحا .

ـ وجدنا درجة ، أى سلمة منحوته ، وسط الصخور .

ومعنى ذلك ان هناك أملا فى أن تقـود هـذه الـدرجة إلى سـلالم
أخرى . . . أى إلى قبر . .

وفى ظل هذا الأمل إستمرت عملية الحفر بجنون .

فى الصباح التالى ـ ٥ من نوفمبر ـ اكتشفت ٤ درجات أخـرى فـزاد
الأمل فى وجود قبر من الأسرة ١٨ تحت الصخور . . فهذه طريقة الـدفن
فى عصر تلك الأسرة .

وإستمر الحفر . . ليزداد ظهور السلالـم .

وفى المساء أصبح عدد السلالـم ١٦ درجة .

شاهد كارتر حطام ممر يحدد المدخل فقام بتطهيره .

لمح الجزء العلوى لباب من الحجارة عليه خاتم هيروغليفى بحجم اليد هو خاتم مدينة الموتى فى وادى الملوك .

إيقن كارتر أنه وجد قبرا لم يسرق . فعاد إلى مدينة الأقصر ليبرق يوم ٦ من نوفمبر إلى اللورد قائلا : « اخيرا . إكتشاف رائع فى الوادى . مقبرة بأختام سليمة . كل شيء مغلق إنتظارا لوصولك . تهانينا » .

ولو أن كارتر واصل الحفر لوجد ختم توت عنخ أمون وإسمه الملكى « نب خبرورع » . . ولكنه إهتم بتوسيع المكان لرؤية أجزاء السلالم . ونزل ٣ درجات أخرى فوجد حائطا من الأسمنت وعليه الخاتم الملكى لتوت عنخ أمون .

إتصل اللورد تليفونيا بعالم الآثار السير الان جاردنر الذى كان يتناول الغداء مع زوجته فى لندن وقال له بصوت متهدج .

- تلقيت برقية من كارتر

وتلا اللورد نص البرقية وقال لجاردنر :

- هل تسافر معى إلى مصر لابد أن هناك نقوشا هيروغيلفية تحتاج للدراسة .

قال جاردنر :

- أتمنى ذلك . ولكنى أريد قضاء عيد الميلاد مع أولادى . سأسافر إلى الأقصر فى أوائل العام الجديد .

أبرق اللورد إلى كارتر بعد يومين بأنه سيعود إلى مصر فورا مع ابنته .

ولو أن ذلك حدث هذه الأيام لكان اللورد قد وصل إلى مصر بالطائرة خلال ساعات . ولكن الرحلة كانت تستغرق أسبوعا على الأقل عام

١٩٢٢ فأن المسافر يستقل السفينة من إنجلترا إلى فرنسا عبر بحر المانش .

ويستقل القطار من الساحل الفرنسي الغربى إلى مدينة مارسيليا . ثم الباخرة مرة أخرى إلى الاسكندرية ، ومنها إلى الأقصر بالقطار !

وخلال الأيام التالية منذ بداية إكتشاف المقبرة فى ٤ من نوفمبر حتى جاء اللورد عاش كارتر فى قلق .

- هل ستتكرر تجربته مع قبر تحتمس الثالث .

لقد إكتشف ذلك القبر ثم وجده خاليا لأن الملك بدأ فى بنائه ثم عدل عنه .

- هل سيكون هذا مجرد مخزن لبعض حاجيات الملك أو مومياء كما حدث لعشرات من المنقبين .

أم سيجد قبرا من أسرة ملكية .

انه - أى كارتر - جاء إلى مصر لأول مرة عام ١٨٩٠ وبدأ يحفر لحساب اللورد ١٥ عاما بدأت سنة ١٩٠٧ فهل سيجد أخيرا ما يبحث عنه .

وهل ستأتيه ضربة الحظ التى عاش ينتظرها .

بقى كارتر أسبوعين ينتظر حضور اللورد وابنته من لندن يوم ٢٠ من نوفمبر . . وينتظر مصيره الاثرى !

* * *

صل اللورد كارنارفون وابنته الليدى ايفلين - ٢٠ سنة - وحدهما إلى ميناء الاسكندرية أما زوجته فمنعها المرض من الحضور .

فى محطة سكة حديد الأقصر كان فى إستقبال اللورد وكريمته يـوم ٢٣ من نوفمبر مدير قنا .

وإستقل الثلاثة . . الحميـر ٦ أميـال حتـى وصـلوا إلى وادى الملوك .

وواصل العمال الحفر يوم ٢٦ من نوفمبر لينزلوا ٣٠ قدما أخرى بعد الباب الأول .

ويتدخل « ركس انجلباك - كبير مفتشى الآثار فى الوجه القبلى - ليقول انه تلقى تعليمات من بيير لاكو مدير مصلحة الآثار بأن يحضر دخول المكتشفين إلى المقبرة .

. . ورغم ان الترخيص ينص صراحة على حق الباحث فى أن يدخل وحده الا أن « انجلباك » رفض ذلك تماما .

ويستمر الحفر حتى المساء .

وصل العمال إلى الباب الثانى وهو يشبه تماما الباب الأول . ولكن على هذا الباب الجديد . . ختم توت عنخ أمون .

وصف كارتر مشاعره فى تلك اللحظة ، فقال :

مدخل مختوم . اذن فالأمر صحيح !

ان سنوات عملنا الدؤوب سوف تكلل بالنجاح فى النهاية . .

انها لحظة مثيرة بالنسبة للحفار .

وجدت نفسى وحدى - بإستثناء العمال الذين ينتمون إلى بلدى - بعد سنوات من العمل العقيم على شفا ما يمكن أن يتضح عن يقين انه إكتشاف عظيم .

أى شيء . . أى شيء بالمعنى الحرفى للكلمة . . قد يكون وراء

هذا الممر أو المدخل . تطلب الأمر ان استعين بكل طاقتى للسيطرة على نفسى حتى لا احطم الباب وأفحص هنا وهناك .

بعد ثلاثين قدما أسفل الباب الخارجى ، وصلنا إلى باب ثان مختوم يكاد يكون نسخة من الباب الأول ..

ببطء . . وبدا لنا انه بطء يائس أخذنا نشاهد إزالة بقايا حطام ممر تسد الجزء الأسفل من المدخل إلى أن وجدنا ، فى النهاية ، الباب كله أمامنا بغير عائق » .

ويجد كارتر من الشواهد ما يدل على ان أجزاء من هذا الباب قد فتحت بعد ١٠ أو ١٥ سنة من وفاة الملك وأعيد إغلاقها مرتين فان وجود خاتم الموتى يقطع بانه وضع بعد إكتشاف السرقة ,

فرح كارتر بذلك لان فيه دليلا يساعده على إقتسام نصف الآثار طبقا للترخيص الذى أصدره ما سبيرو . . أما اذا كان القبر سليما فان كل الآثار تضيع على كارتر .

تصرف كارتر بذكاء . .

بعث بمذكرة مقتضبة إلى « مفتش الآثار » « ركس انجلباك » يبلغه فيها ان كل شيىء أعد لدخول المقبرة فى الصباح التالى .

ولم يرسل المذكرة إلى مقر إقامة المفتش انجلباك . . بل أرسلها إلى مصلحة الآثار مساء حيث لا يوجد أحد .

* * *

انصرف العمال مساء ٢٦ من نوفمبر عام ١٩٢٢ بعد أن وجدوا الباب الثانى الذى يدل على أنه المدخل الحقيقى لمقبرة الملك توت .

وبقى كارتر واللورد وابنته وأحد المساعدين وهو كالندر .

أخذ كارتر عصا من الحديد وأخذ يدق بها على الباب .

قال كارتر فى كتابه :

جاءت اللحظة الحاسمة .

بأيد مرتعشة صنعت ثقبا صغيرا فى الزاوية العليا على يسار الباب . . . ظلمة وفضاء شامل فى المساحة التى يمكن ان يصل إليها قضيب حديدى نستخدمه فى تحسس المكان . . هذه الظلمة والفضاء كشفا انه بصرف النظر عما يوجد خلفهما . . فهو فراغ وليس مملوءا مثل الممر الذى فرغنا من تنظيفه .

لم تكن الكهرباء قد وصلت إلى المنطقة فأمسكت شمعة أشعلتها .

تم تطبيق اختبارات كأجراء إحتياطى ضد إحتمال وجود غازات سامة .

وتم توسيع الثقب قليلا . ودفعت الشمعة . وأطللت برأسى .

فى البداية لم أر شيئا وتسرب هواء ساخن من الحجرة تسبب فى إهتزاز لهب الشمعة .

أما الآن ، وعيناى تتكيفان تدريجيا مع الضوء بدأت تفصيلات الحجرة فى الداخل تتضح ببطء بين الضباب . . حيوانات غريبة ، تماثيل وذهب ،

فى كل مكان رأيت بريق الذهب .

وفى اللحظة الراهنة لابد أن يكون الخلود قد تجلى أمام الأخرين الذين وقفوا على مقربة من المشهد .

أصابنى الذهول بشلل فى لسانى .

وعندما عجز لورد كارنارفون عن تحمل الاثارة أكثر من ذلك سألنى فى قلق : !

« هل تستطيع ان ترى شيئا » ؟

عجز لسانى الا أن يقول :

ـ نعم ، أشياء مذهلة .

. . وعلى ضوء الشمعة المضطرب رأيت ما لم يره إنسان على إمتداد ثلاثة الآف وخمسمائة عام انه أعظم ما اكتشفه رجال الآثار .

كان يوم الأيام . أروع أيام حياتى . ولا أعتقد انى سأراه مرة أخرى » .

* * *

كان القبر على مسافة قريبة جدا من حفرة دافيز وعلى نحو متر واحد تقريباً من المنطقة التى توقف عندها كارتر قبل خمس سنوات .

لقد تعذب ، وكان النجاح قريبا منه مرتين .

لقد إنفتح أمامه أخيرا الكنز أو ـ كما قيل ـ كهف على بابا .

انه أول من وجد قبرا ملكيا كاملا .

* * *

تسرب نبأ الكشف إلى الصحافة .

نشرت الأهرام صباح ٢٨ من نوفمبر :

« إكتشف اللورد كارنارفون من أغنياء إنجلترا أثناء بحثه عن الآثار

فى صحراء مقام الملوك فى الشاطىء الغربى للنيل بالأقصر ، حفرة لملك من فراعنة مصر » .

لم تهتم حكومة مصر بحفرة لفرعون قديم !

نشرت قرينة اللورد مقالا فى صحيفة « ويكلى ديسباتش » التى تصدر فى لندن تحدثت فيه عن تضحية كارتر بفنه كرسام للبحث عن القبر . وروت قصة الكشف فقالت إنها وزوجها إعتادا قضاء فصل الشتاء سنويا فى مصر للتنقيب وذلك منذ عام ١٨٩٨ بأستثناء فصلين فقط وسنوات الحرب أيضا .

وقالت « لا يستمتع بلذة الحفر الا من كان هاويا للآثار وهو مثل البحث عن ماسة ثمينة تعلم أنها فى البيت ولكنك تقلب كل شىء رأسا على عقب وبعد أن تيأس تماما .. تجدها أمامك » .

وقالت :

« التنقيب عمل شاق للعمال الذين يحفرون من الفجر حتى الغروب فى الصخور والحجارة والرمال .. وهؤلاء الذين عرقوا يسعدهم هذا الكشف » .

ولم تذكر السيدة الميا أن العامل كان يتقاضى ثلاثة قروش يوميا مقابل هذا العرق !

* * *

كان اللورد كارنارفون قد طلب إلى الماريشال اللورد اللنبى المندوب السامى البريطانى ايفاد أحد رجال البوليس الحربى البريطانى إلى الأقصر لنقل خيمتين أخذهما اللورد من الجيش البريطانى ليجلس فيهما نهارا، لمراقبة العمال.. أثناء الحفر.

اختير جاويش اسمه ريتشارد ادامسون - ٢٥ سنة - للقيام بهذه المهمة لابعاد ادامسون عن القاهرة.

وكان الجاويش يتولى حراسة متهم اسمه إبراهيم حسن مسعود كاتب حسابات اتهم بمحاولة اغتيال توفيق نسيم باشا رئيس وزراء مصر فى ١٢ من يونيو عام ١٩٢٠.

وإستطاع الجاويش ان يستدرج الشاب وأن يعرف منه أسرارا كثيرة عن الجهاز السرى الذى يغتال البريطانيين والمتعاونين مع الانجليز .

وقد صدر الحكم بإعدام الطالب المتهم فشنق . وخاف الانجليز أن يتعقب الشباب الوطنى ، الجاويش فأبعد إلى الأقصر فى مهمة مؤقتة .

وظن ادامسون أنه سيعود إلى القاهرة فى وقت قريب ، ولكن عثر على المقبرة فطلب منه كارتر البقاء خارجها للحراسة . . طوال الليل .

ظن الجاويش أنه سيقضى أياما فى الأقصر ثم يعود إلى القاهرة . ولم يدرك أبدا أن حياته سترتبط بهذه المقبرة ، وانه سيقيم داخلها - وحده مع الآثار - أحيانا للحراسة . وانه سيبقى ملازما لها عشر سنوات كاملة !

سأله كارتر :

- ماذا تطلب ؟

أجاب :

- طعاما . . وفونوجراف ، وبعض الاسطوانات من فندق « ونتربالاس » .

وأرسل له كارتر . . ما طلب . .

وبدأت تدوى فى الوادى ، لأول مرة منذ آلاف السنين ، الموسيقى الصاخبة !

التسلل .. خلسة !

فى مذكرات كارتر وأحاديثه قال أن المكتشفين الأربعة ظلوا يسلطون الضوء على قطعة أثرية بعد أخرى . فشاهدوا على الحائط آثارا تدل على وجود باب مغلق وانهم انسحبوا بعد ذلك وغادروا المنطقة كلها وعادوا إلى الأقصر . . ليكتب رسالة إلى « انجلباك » مفتش آثار الوجه القبلى ليشهد عملية دخول المقبرة طبقا لترخيص التنقيب .

وروى قصة تلك الدقائق السحرية فقال إن الأربعة ظلوا ساعات طويلة خلال الليل يتجادلون حول الباب الجديد وما يمكن ان يكون وراءه ويتساءلون :

- ترى هل وصل اللصوص إلى حجرة الدفن نفسها .

وقال إنهم لم يناموا إلا قليلا .

* * *

كان انجلباك فى مهمة بقنا ولذلك تخلف عن الحضور فى اليوم التالى ، وجاء بدلا منه موظف صغير فى مصلحة الآثار اسمه إبراهيم حبيب أفندى .

ولكن الشكوك ثارت فى نفس انجلباك لهذه الخدعة . إذ المقرر أن يحضر ممثل لمصلحة الآثار افتتاح أية مقبرة .

أسرع إلى الأقصر بعد أن تلقى رسالة كارتر وهبط إلى منطقة الحفر فى وادى الملوك .

وجد فجوة فى الباب الخارجى .

أسرع إلى كارتر قائلا :

- هذا خرق للعقد .

حاول كارتر أن يتخلص من المسئولية قائلا :

- لقد أحدثنا فتحة صغيرة فقط لننظر منها إلى الداخل . ولم يتم المساس بالاختام فى أعلى الباب .

. . .

قال انجلباك :

- ولكن أحد الأختام الموجودة على الركن الأسفل نزع وأعيد لأنه لم يتلف .

لم يرد كارتر .

رأى انجلباك أن يكتفى بهذه الملاحظة ولا يفعل شيئا آخر .

ولكنه أبلغ شكوكه إلى ويجين السكرتير بدار المندوب السامى عندما إلتقيا يوم ٧ من فبراير ١٩٢٣ فى الأقصر .

وسجل ويجين شكوك انجلباك فى مذكرة رسمية تضمنت نص الحديث وهى محفوظة بمركز الوثائق البريطانية فى منطقة حدائق كيو بضواحى لندن .

وفسر ويجين عدم قيام انجلباك بإتخاذ عمل حاسم بأنه لم ينظر إلى الأمر على أنه تم دخول المقبرة والاستيلاء على بعض ما فيها من اثار بل ظن ان ما جرى هو مجرد استخفاف شخصى به .

وقدر ويجين حقيقة المشكلة بأنها تكمن فى نزعة الغيرة الشريرة بين الاثريين . أى بين كارتر وانجلباك .

وقد تكون هناك غيرة بين الاثريين .

ولكن الحقيقة أن انجلباك كان غيورا أيضا على آثار مصر .

* * *

انه مهندس بريطانى لعبت المصادفة دورا هاما فى حضوره إلى مصر .

جاءها للنقاهة مثل كارنارفون عام ١٩٠٩ وعمره ٢١ عاما فعشق الآثار وقرر الاقامة بمصر ودرس الهيروغليفية والقبطية والعربية .

عمل مساعدا للأستاذ بيرتى فى بعض حفائره . وجند فى الحرب العالمية الأولى ثم أرسله اللورد اللنبى إلى سوريا وفلسطين لدراسة المواقع الأثرية .

وأختير عام ١٩٢٠ مفتشا للآثار فى الوجه القبلى .

وفى عام ١٩٣١ أختير أمينا للمتحف المصرى وبقى فى هذا المنصب عشر سنوات حتى إستقال . وقد إستطاع أن يضع سجلا لمائة ألف قطعة من الآثار يضمها هذا المتحف . وعاش انجلباك حتى سن الثامنة والخمسين .

وفى تقرير ويجين سكرتير دار المندوب السامى عن انجلباك عام ١٩٢٣ قال ويجين :

« ذهلت لمقدرة انجلباك وحماسته فى علم الآثار وهو غيور على مهنته » .

ولكن الغيرة لم تكن ـ وحدها ـ مصدر شكوك انجلباك فى كارتر .

وكانت الحقيقة شيئا آخر غير ما ذكره كارتر ! !

فى مذكرات ميرفن هربرت - وهو أخ غير شقيق للورد كارنارفون - قال ان ايفلين ابنة اللورد قالت له انها وأباها ، ليلة الكشف ، دخلا الحجرة الثانية من حجرات المقبرة - حجرة الدفن - وأنهما فتحا ثقبا فى جدار المقبرة ، قاما بسده بعد ذلك .

وروت ايفلين « لعمها » أن العمال يعرفون ذلك ولكنهم لن ينطقوا بحرف .

وقالت المذكرات أيضا ان اللورد كارتر كان عصبيا للغاية يوم إفتتاح غرفة الدفن خوفا من إكتشاف الثقب . وبدأ اللورد كتلميذ صغير .

وروى هذه الحقيقة أيضا توماس هوفنج بالوثائق والمستندات فى كتابه « توت عنخ آمون : القصة التى لم تنشر من قبل » .

وتوماس هوفنج عمل بمتحف المتروبوليتان أكثر من ستة عشر عاما . وكان مديرا له عشر سنوات .

وهو الذى نظم عرض ٥٥ قطعة من آثار الملك توت عنخ آمون فى ٦ مدن بالولايات المتحدة عام ١٩٧٧ بمناسبة مرور ٥٥ عاما على إكتشاف المقبرة .

وقد رغب فى معرفة دور متحف المتروبوليتان ومساعداته لكارتر فى تصوير ، وترميم ، وحفظ ، ونقل ، الآثار فاطلع على كل أوراق المتحف ومستنداته فاكتشف دور المتروبوليتان فى شراء آثار الملك الفرعونى التى سرقها اللورد أو كارتر أو الاثنان معا .

ورأى هوفنج أن ينشر قصة السرقة فى التقويم - الكاتالوج - الذى

يعده المتحف للقطع الـ ٥٥ التى جاءت من مصر ليضاعف الدعاية للمتحف ولأن الحقيقة لابد أن تقال ولأنها مشوقة ومثيرة !

ولكن مجلس الادارة رفض ذلك بالاجماع .

وقد إستقال هوفنج من منصبه . وأسس شركة مع زوجته ثم ألف كتابه عن توت عنخ آمون وعرضه على اشتون هوكنز نائب رئيس مجلس ادارة المتحف للشئون القانونية فوافق على النشر فصدر الكتاب فى العام التالى .

وقد أختير هوفنج عام ١٩٨١ ـ رئيسا لتحرير مجلة « كونويسير » الأمريكية الشهيرة .

قابلته فى مكتبه بالمجلة فقال لى ان متحف المتروبوليتان يضم أكثر من ٣٥ ألف قطعة من الآثار المصرية بعضها ، سرق ، وهرب من مصر .

إنتقل هوفنج إلى لندن وقرأ مذكرات هوارد كارتر التى كتبها فى ٣ مجلدات بخطه وهى تتضمن قصة هذا الاكتشاف الهام ، والوحيد ، فى حياته .

وتوقف هوفنج عند لقطة واحدة ، أو عبارة واحدة جاءت فى مذكرات كارتر :

قال كارتر « انه عندما فتح باب المقبرة وأطل عليها . . أغلقها ثانية حتى الصباح التالى حتى لا يدخل المقبرة وحده . . بل ليكون فى صحبته مفتش من مصلحة الآثار .

وقال هوفنج « انه شك فى صدق هذه الكلمات لأنه ـ أى هوفنج ـ كان ينقب عن الآثار فى جزيرة صقلية عندما وجد ألف قطعة أثرية فى بطن

الأرض فلم يتمالك نفسه وأخذ يزيل التراب بيديه العاريتين ليرى الآثار .

وفى هذا الكتاب قال توماس هوفنج ان هوارد كارتر كان صادقا فى شيء واحد وهو أنهم لم يناموا إلا قليلا . . أما فيما عدا ذلك فان ما قاله كارتر كان أكذوبة ضخمة لأن الثلاثة أمضوا الليلة كلها داخل المقبرة !

* * *

صور هوفنج ما جرى فى تلك الليلة داخل المقبرة على نحو ما استخلصه من روايات ومستندات كثيرة .

وطبقا لرواية هوفنج فان مجرى الأحداث كان على النحو التالى :

أخذ اللورد كارنارفون يدفع كارتر ويجذبه قائلا :

- دعنى ألقى نظرة .

ولكن كارتر لم يتحرك . . تجمد فى مكانه أمام الثقب .

وأخيرا انتزعه كارنارفون من مكانه كما تنتزع « الفلة من الزجاجة » وأخذ اللورد ينظر إلى الحجرة وبعده الليدى ايفلين ، وأخيرا بيكى كالندر الاثرى البريطانى مساعد كارتر .

ان المكتشفين الأربعة لم يصدقوا عيونهم . . وشعروا بالحيرة لأنهم اخترقوا محرابا أغلق ٣٠٠٠ سنة .

وبدأ كارتر يزيد الثقب إتساعا بينما أسرع مساعده كالندر ليأتى بمصابيح كهربائية .

ومن المؤكد أن « كارتر وكارنارفون » لم يصدقا أنهما سيعثران على كل تلك الاكتشافات داخل الحجرة الصغيرة التى بدت كأنها متحف كامل إمتلأ بالكنوز .

وربما يكون اللورد هو الذى أقنع كارتر بإزاحة بعض الحجارة ليتسنى لهم الدخول .

وربما تكون ايفلين هى التى ألحت على كارتر . .

ان أحدا لن يعرف هذه الحقيقة أبدا . .

ان اللورد كتب مقالا - لم ينشر - ذكر فيه ان كارتر أوجد فتحة تتسع لدخولهم إلى المقبرة بصعوبة .

دخلت ايفلين أولا لصغر حجمها وتبعها الباقون .

* * *

ويستطيع الانسان أن يتخيل القصة . .

مئات ومئات الأشياء كل منها يساوى موسما كاملا من الحفر سبعة شهور كاملة .

ان هذا الكشف كان مفاجأة سعيدة بعد سنوات من اليأس والاكتئاب والمواسم العارية منذ عام ١٩٠٧ حتى عام ١٩٢٢ .

ان مساحة الحجرة ١٢ قدما عرضا و٢٦ قدما طولا وإرتفاع السقف ٧ أقدام ونصف قدم .

ان عصورا مرت دون أن تطأ قدم انسان المكان الذى يقفون فيه الآن . . ومع ذلك يبدو الأمر كما لو كان بالأمس فقط .

لقد تحققوا أنهم صنعوا تاريخا ، وأنهم على وشك حل أكبر لغز فى علم الآثار وتاريخها كله . . بالاضافة إلى التوتر الذى أصابهم بإعتبار أنهم صائدو كنز . . وكانوا أيضا خائفين أن يضبطوا متلبسين .

بإختصار كانوا فى حيرة . . إنهم علماء . . ويجب أن يكونوا حذرين . . ولكنهم لا يستطيعون مقاومة إغراء جمع هذه التحف .

لقد أحسوا أنهم اقتربوا كثيرا من مشاعر قدامى اللصوص الذين سرقوا مقابر الفراعنة من قبل .

فتنتهم رائحة القبر . . العطور القديمة والزيوت . . ورائحة الأخشاب والورود التى إحتفظت بأوراقها . . وأمامهم كل شىء . . التماثيل والمقاعد . . والسلال ، والمصابيح ، والذهب ، والمجوهرات . . والقلادات ، والأوانى ، وكل شىء .

دخل كارتر الممر . . ثم إلى حجرة الدفن حيث تابوت الملك .

وأخذ الجميع ما أخذوه من القبر وأغلقوه ثانية ، ثم عادوا إلى الأقصر على ظهر الحمير . . صامتين .

* * *

وهكذا ينتهى هوفنج إلى نتيجة هامة وهى إن كارنارفون وإبنته وكارتر سرقوا فى تلك الليلة بعض آثار مقبرة توت عنخ آمون .

ولكن ما هو الدليل .

* * *

إن آثار توت عنخ آمون ظلت تشد انتباه العالم منذ عام ١٩٢٢ حتى اتخذت مصر خطوة هامة بنقل بعض هذه الآثار لتعرض فى الخارج وتراها الشعوب .

وقد عهد إلى توماس هوفنج تنظيم عرض هذه الآثار فى المدن الأمريكية . ومن هنا كان إتصاله بالملك توت .

. . بدأ توماس هوفنج يفتح الصناديق القادمة من مصر ليكتشف صدفة عجيبة . . أو عدة صدف .

وجد بعض آثار توت .. تشبه مجموعة من الآثار المحفوظة بمتحف المتروبوليتان .. ولا خلاف بينهما أبدا ..

أخذ الرجل يشك .. ويقارن .. ويصور .

وحتى يزيح الشك أخذ يفحص كل الأوراق والمستندات والعقود الخاصة بالآثار الموجودة فى نيويورك .

ومع كل ورقة بدأ الشك يتضاعف .

وجاء هوفنج إلى مصر ورأى الـ ٥٠٠٠ قطعة من آثار توت عنخ آمون المحفوظة فى المتحف المصرى . كما شاهد المقبرة فى الأقصر .

ومن هذه البداية كان البحث والتنقيب الذى أوصله إلى حقيقة هامة وهى أن مساعدا لوزير الخارجية الأمريكية فى السنوات من ١٩٢٢ حتى ١٩٢٤ كان مهتما بأمور المتحف المصرى .

وهذا المساعد هو « ألن دالاس » الذى أصبح بعد ذلك مديرا للمخابرات الأمريكية وهو شقيق « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكى الشهير الذى سحب تمويل السد العالى عام ١٩٥٦ .

وطلب قراءة المجلدات المحفوظة فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك وفيها كل الوثائق الخاصة بآثار توت عنخ آمون .

ولكن قيل له :

ـ لا تطالع هذه المجلدات .. إنها خاصة بلعنة الفراعنة .. وقد تصيبك !

ولكنه وجد ان المجلدات تضم المراسلات ، والصور ، والأكاذيب ، التى أحاطت بعملية شراء متحف المتروبوليتان لآثار توت عنخ آمون .

* * *

وهناك أدله أخرى على أن كارتر دخل المقبرة.ليلا :

الدليل الثانى يوجد فى ٣ مقالات نشرت فى المجلة العلمية لمصلحة الآثار المصرية إبتداء من عام ١٩٤٢ بواسطة الفريد لوكاس وهو بـريطانى جاء به المرض أيضا إلى مصر مثل اللورد كارنارفون فإن مصـادفات كثيـرة كانت وراء إكتشاف قبر توت عنخ امون وترميم اثاره !

. . . ظل الفريد لوكاس ٨ سنوات يعمل مساعد كيمائى فى معـامل لنـدن الحكومية حتى أصيبت رئته فنصحه الأطبـاء بـالسفر إلى القـاهرة ليـكون كيمائيا بمصلحة الآثار ومديرا لمعامل مصلحة المساحة .

كتب ونشر ٦٥ بحثا عن الآثار المصرية .

وكان لوكاس قد حصل على أجازة مدتها ثلاثة شهور قبل الاحـالة إلى المعاش فتفرغ للعمل مع كارتر فى ٢٠ من ديسمبر عام ١٩٢٢ ، بعد شهر من إكتشاف المقبرة . وظل ١٠ بسنوات يقـوم بـالعبء الأكبـر فى تـرميم الآثار والمساعدة فى نقلهـا سـليمة مـن وادى الملـوك إلى المتحف بالقاهرة .

وقد مات لوكاس فى سن الثامنة والسبعين .

ولكن لوكاس كتب ٣ مقالات فى مجلة مصلحة الآثار المصريـة يـرد بها على مذكرات كارتر ومجلداته . . بعد وفاة كارتر .

قال لوكاس :

إن كارتر كتب يقول ان لصـوص مقـابر الفـراعنة تسـللوا إلى المقبرة . . وهناك سر غامض يحيط بهذه العملية .

عندما دخلت الحجرة لأول مرة يوم ٢٠ من ديسمبر ١٩٢٢ لاحـظت طريقة إخفاء الثقب الذى قيل ان اللصـوص تسـللوا منـه . . ان اللـورد

كارنارفون وإبنته ايفلين وكارتر دخلوا هذه الحجرة . . يقينا قبل إفتتاحها الرسمى الذى تم بعد ٣ أيام . . أى فى ٢٩ من نوفمبر .

ان الثقب فى حجرة الدفن ليس مشابها للثقب فى الباب الأول . . ولا يوجد ما يقطع بأن موظفى المقابر الرسميين فى عهد الفراعنة هم الذين أعادوا إغلاق الثقب بعد أن إكتشفوا وصول اللصوص إليه .

وقد أشرت إلى ذلك فى حديث مع كارتر بعد إنضمامى للبعثة فاعترف لى أنه فتح حجرة الدفن » .

وفى عدد آخر من المجلة كتب لوكاس يقول انه « رأى صندوق العطور فى بيت كارتر قبل إفتتاح حجرة الدفن . . وقد أعاده كارتر إلى حجرة الدفن بعد إفتتاحها رسميا وسجل بين اثارها » .

ويقول هوفنج ان السبب فى عدم إهتمام أحد بالمجلة العلمية لمصلحة الآثار المصرية يرجع إلى عدم رغبة العلماء فى هدم سمعة هوارد كارتر ولأن المجلة مجهولة لا يدرسها إلا أساتذة الآثار المصرية . . أو ربما لم يصدق العلماء أن مثل هذا العمل يحدث عام ١٩٢٢ ويعترف به أحد المشاركين فيه بعد ربع قرن كامل .

وفى المجلد الأول لكارتر عن قبر توت عنخ امون . . يقول « إن المجموعة ـ أى كارتر واللورد وإبنته والمساعد كالندر ـ توجهوا إلى القبر فى ساعة مبكرة من صباح ٢٧ من نوفمبر أيضا .

وعندما جاء موظف مصلحة الآثار ـ إبراهيم أفندى حبيب ـ كانت آثار إقتحام المجموعة للمقبرة قد أخفيت أو أزيلت تماما .

والدليل الثالث مقال كتبه اللورد كارنارفون لصحيفة « صان » ـ الشمس ـ البريطانية ولم ينشر ، وجده هوفنج فى أوراق اللورد .

فى هذا المقال يروى اللورد دخول أو إقتحام الحجرة وما رآه فيها .

وهناك دليل رابع :

رسالة كتبتها الليدى ايفلين ـ إبنة اللورد كارنارفون ـ إلى كارتر يوم ٢٧ من ديسمبر ١٩٢٢ أى بعد ٣١ يوما من دخول المقبرة .

فى هذه الرسالة المحفوظة قالت الليدى الشابه ـ التى فتنت بكارتر ـ كلمات إعجاب ضخمة وقالت إنه عندما يعاود المرض أباها تعيد له قصة دخول المقبرة ليلا : وكيف سمح لها كارتر بذلك ، وأن هذا هو الحادث الوحيد الذى لا يمكن أن ينسياه أبدا . .

ومن سطور الرسالة يتضح غرام الشابه المؤقت بالاثرى القديم . . وكانت ايفلين فى العشرين . . وكارتر فى التاسعة والأربعين .

وهناك دليل خامس على دخول الأربعة المقبرة ليلا .

سافر اللورد كارنارفون ـ فى ديسمبر ـ إلى لندن بعد إعلان الاكتشاف فأستقبل كالفاتحين لانه بعد ١٦ سنة من البحث إستطاع الوصول إلى قبر سليم لأحد فراعنة مصر .

وبعد يومين من وصول اللورد إلى لندن إستقبله ملك بريطانيا جورج الخامس فى قصر باكنجهام .

وبعد المقابلة صرح المتحدث الرسمى باسم القصران « اللورد ابلغ صاحب الجلالة أنه سيكتشف جثمان الملك بعد فتح التابوت » .

ولم تكن حجرة الدفن التى يوجد بها التابوت قد فتحت بعد . مما يثبت ان اللورد دخل الحجرة الأولى . . وحجرة الدفن الملكية أيضا ! . . بل ان اللورد صرح للصحافة البريطانية بأن مومياء الملك ستبقى فى مكانها داخل المقبرة ! ! !

* * *

كان عبد الخالق ثروت يرأس الوزارة . ويتولى حسين واصف باشا منصب وزير الأشغال .

وكان ثروت باشا مهتما بإصدار الدستور . أما الملك أحمد فؤاد فيجد أن هذا الدستور يحد من سلطاته .

ومن هنا بدأ الملك يضيق بثروت باشا « ويختلق » الفرص للتخلص منه .

نقلت إلى صاحب الجلالة إشاعة تقول إن رئيس وزراء مصر على إتصال بخديو مصر السابق عباس حلمي الثاني الذى خلعه الانجليز عن العرش عام ١٩١٤ . ولا يزال هذا الخديو يرى أنه أحق بالعرش وأولى .

وأخذت الصحف تنشر الاشاعة ليعلم رئيس الوزراء أن الملك غاضب منه .

ولم يجد عبد الخالق ثروت باشا بدا من الاستقالة فقدمها يوم ٢٩ من نوفمبر ١٩٢٢ . وهو اليوم الذى إختاره اللورد كارنارفون موعدا لافتتاح المقبرة .

ولذلك لم توجه الدعوة لرئيس وزراء مصر أو وزير الأشغال حسين واصف باشا الذى شغل المنصب عشرة شهور فقط لاستقالتهما .

ووجهت الدعوة للورد اللنبى المندوب السامى البريطانى فى مصر فيعتذر عن عدم الحضور دون أن يذكر السبب وهو أن أية أزمة وزارية تلزم المندوب السامى البريطانى البقاء فى القاهرة ليتابع الأحداث ويكون له رأى فى تشكيل الوزارة الجديدة .

وتحضر قرينة اللورد اللنبى وحدها حفل الافتتاح مع عدد محدود من

الشخصيات المحلية بينهم عبد العزيز فهمى مدير ـ محافظ ـ قنا ، وكين بويد مدير الادارة الأفرنجية بوزارة الداخلية ومحمد بك فهمى مأمور مركز الأقصر الذى عين قوة لحراسة المكان .

* * *

لم تبلغ مصلحة الآثار بموعد الافتتاح .

ولم توجه الدعوة إلى بيبرلاكو مدير مصلحة الآثار ، وبول توتنهام مستشار وزارة الأشغال للشئون الثقافية والأثرية .. يوم الافتتاح بل فى اليوم التالى ٣٠ من نوفمبر .

وربما يكون السبب فى عدم توجيه الدعوة للاكو وزميله إهمالا .

وربما يكون السبب ان كارنارفون وكارتر يعتبران المقبرة .. مقبرتهما ، لأنهما ، صاحبا الكشف وهما اللذان مولا العملية .. ووصلا إلى هذه النتيجة بجهدهما .. وحدهما .

وتجاهل الرجلان صحافة مصر كلها .. وصحافة الدنيا كلها ووجها الدعوة لصحفى واحد فقط لحضور حفل الافتتاح ودخول المقبرة .. وهذا الصحفى هو آرثر ميرتون مراسل صحيفة « التايمس » البريطانية فى مصر وصديق كارتر .

ونشرت « التايمس » ، وحدها دون صحف العالم ، نبأ إكتشاف مقبرة توت عنخ آمون .

وقالت إنها أحرزت هذا السبق الصحفى « بعداء جرى من وادى الملوك إلى مقر مكتب التلغراف التابع لشركة ايسترن بالأقصر .

وقال ميرتون إنه « أهم إكتشاف مثير فى القرن العشرين » وأعظم إكتشاف أثرى مصرى « وأن الآثار تقدر بملايين الجنيهات » .

وأذاعت وكالة الاسوشيتدبرس للأنباء على العالم في اليوم نفسه ٢٥٠ كلمة قالت فيها نقلا عن جريدة التايمس البريطانية إن هوارد كارتر إكتشف بعد ٧ سنوات من الحفر والتنقيب في وادى الملوك قبر الملك توت عنخ آمون .

* * *

نشرت صحيفة التايمس البريطانية النبأ في الصحفة رقم ١١ وهى صفحة الاخبار الهامة ، فان التايمس كانت تخصص الصفحة الأولى للاعلانات الصغيرة ، أو ما يسمى في مصر الاعلانات المبوبة !

ولم تنشر « التايمس » الأنباء في الصفحة الأولى إلا ٣٢ مرة في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر في مناسبات قومية مثل انتصار بريطانيا في معركة الطرف الأغر بقيادة نلسون ضد نابليون في ٧ من نوفمبر ١٨٠٥ واثناء الحرب العالمية الأولى وبالذات ايام الآحاد .

وجرت صحف لندن على هذه القاعدة .

ولكن « الديلى تلجراف » نشرت الانباء في الصفحة الأولى عام ١٩٣٩ و « الجارديان » سنة ١٩٥٢ ، أما « التايمس » فقد نقلت الاخبار الى الصفحة الأولى بدلا من الاعلانات ابتداء من ٣ من مايو عام ١٩٦٦ .

أما صحيفة « نيويورك تايمس » التى نقلت نبأ الكشف عن التايمس البريطانية فانها نشرته في الصفحة الأولى .

* * *

حققت برقية « التايمس » اثارة لم تهدأ أبدا ، ولم تتوقف قط !

وأقامت حاجزا من العداء بين كارنارفون ومصلحة الآثار المصرية

وصحافة العالم ، ولم يستطع المليونير والآثرى هدم هـذا الجـدار فقـد نشرت بعض الصحف المصرية والعالمية ان مصـلحة الآثـار عـرفت نبـأ الكشف من الصحف !!

* * * *

ولم تعرف صحافة مصر تفصيلات الـكشف التـى انفـردت بهـا التايمس .

نشرت صحيفة « الأهرام » المصرية فى ٣٠ مـن نـوفمبر ١٩٢٢ . انه وجدت فى المقبرة اشياء آثرية عظيمة لا تقدر بمـال . . لملك عـرف ان اسمه « تهوتان » مـن ملـوك الاسرة الثـامنة عشرة أو « تـويتان خيمن » ـ يقصد مراسل الصحيفة توت عنخ آمون .

ويقال ان قيمة هذه الآثار التاريخية تقدر بثمانية ملايين من الجنيهات تقريبا .

* * * *

أوفدت الصحف المصرية مندوبيها مـن القـاهرة لمتـابعة الـكشف فكتبوا يقولون : « لم ندخل المقبرة » !

ونقلت صحافة القاهرة الأنباء من الـذين دخلـوا المقبـرة سـواء المدعوون الرسميون او العمال .

وقالت إنه تم اكتشاف ملك وملكة وابنهما .

ورددت الصحف مرة اخرى اسم الملك بأنه « توتان خيمن » .

وقال مراسل مصرى فى قنا انه يلفت نظر الرأى العـام لـذلك ويـطلب من الحكومة ان تنتدب مندوبين لحصر الكنز والاستيلاء عليـه لأنـه يقـدر بملايين عديدة من الجنيهات

وتدفق الصحفيون الاجانب على الاقصر يريدون نصيبهم من اخبار المقبرة !!

ولكن اللورد كارنارفون منع رجال الصحافة وكبار اعيان الأقصر وبعض الموظفين من مشاهدة الكنز الآثرى الأعظم ميراث اجدادهم !!

* * *

فى اليوم نفسه الذى اعلن فيه الكشف اعدم فى اليونان خمسة من رؤساء الوزارات السابقين واحد الجنرالات بتهمة الخيانة العظمى .

وكان الاتهام الحقيقى الموجه اليهم انهم المسئولون باعمالهم ، عن انتصار الاتراك على اليونان .

وتدخل الوزير البريطانى المفوض لدى حكومة اليونان لمنع الاعدام ولكن رفض تدخله فقطعت بريطانيا علاقاتها باليونان .

ونصح القائم بالاعمال الامريكى حكومة اليونان ولكن احدا لم يستمع لنصيحته .. وكان القائم بالأعمال الأمريكى شابا اسمه جيفرسون كافرى الذى أصبح سفيرا للولايات المتحدة فى مصر عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

ولم يستطع الملك جورج ملك اليونان وقف تنفيذ احكام الاعدام فطلب الرحيل من بلاده ولكنه اسر داخل قصره .

ورغم خطورة هذه الاحداث واهميتها لأوروبا وامريكا فان نبأ اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون غطى على اخبار اليونان .

وتراجعت انباء عالمية هامة وقعت فى ذلك اليوم مثل مظاهرات الهند ، والثورة فى ايرلندا ، والصراع داخل الكرملين ، ومعارك العرب والصهاينة فى فلسطين والحرب الأهلية فى الصين وأزمة وزارة البرتغال ،

وضعف الفرنك الفرنسي . ، وادانة ناشر صحفى امريكى لأنه اعلن عن كتاب لتنظيم النسل . . واعتبار نظرية داروين غير شرعية وغير قانونية فى ولاية فلوريدا .

وكلما توالت انباء الكشف غطت اخبار المقبرة على احداث عالمية كبرى شهدها العالم فى ذلك العام مثل زحف موسولينى على روما ، وتشكيل حكومة فاشية ، واعلان مصطفى كمال للجمهورية التركية واستقالة رئيس بولندا ، واغتيال الفيلد مارشال البريطانى السير هنرى ولسون واعلان قيام اتحاد الجمهوريات السوفيتية وقيام جمهورية ايرلندا الحرة واعدام واحد من أشهر سياسييها وكتابها وهو ارسكين تشيلدرز .

ان الفرعون المصرى الذى رحل قبل ٣٠٠٠ عام جعل مصر تزحف الى الصفحة الاولى من صحف العالم وفرض اسمها على الدنيا التى اصبحت تهتم بمقبرة بمدينة الأقصر بصعيد مصر دفن فيها توت عنخ آمون !!

صاحب الجلالة

ركزت الصحف المصرية ـ فى صفحاتها الاولى ـ أهتماما بالغا بالتاريخ المصرى القديم .

ونشرت الصحف العالمية حكايات كثيرة عن مصر القديمة وحضارتها العظيمة المستمرة وأهمية طيبة ، أو الأقصر ، لأن معظم الاثار المصرية الخالدة وجدت فى مدينة الموتى أو « وادى الملوك » بينما خلف المصريون القدماء قليلا من أثارهم فى منفيس .. « ميت رهينة » .

***

عرف المصريون الاستقرار السياسى منذ توحدت بلادهم فى عهد مينا عام ٣١٠٠ قبل الميلاد باستثناء فترتى أنتقال .

الاولى أستمرت حوالى ١٢٨ سنة فقد أنقسمت البلاد الى أقاليم تحكم محليا .

وفى بعض هذه السنين وجد ٧٠ ملكا حكموا سبعين يوما !

أما فترة الانتقال الثانية فقد دامت حوالى ٢٤١ عاما . .

وخلال هذه الفترة أحتلت مصر بحكام أجانب هم الهكسوس .

وكان الهكسوس قد تغلبوا على جيش مصر باختراعين حربيين جديدين فى ذلك الحين : العجلة ، والسهام المركبة .

وجاءت المملكة المصرية الحديثة فى عهد الاسرة الثامنة عشرة التى ينتمى اليها توت عنخ لآمون .

كان عدد سكان مصر مليونى نسمة .

ومتوسط عمر الفرد ٣٠ سنة .

وعرف الشعب بالنظافة . الفرد وحتى الفقير ، يستحم مرة واحدة فى اليوم ، ولو بالقاء نفسه سابحا فى النيل والكاهن يستحم ٤ مرات .

وكان الناس يطلقون على مصر « الارض السوداء » إشارة إلى تلك الرقعة الضيقة المزروعة التى أمتدت على جانبى نهر النيل .

وتميزت مصر ، عن غيرها من البلاد ، بأن المرأة تكاد تتساوى بالرجل فى المركز الاجتماعى وفى كل الحقوق .

أجرهما متساو .

ولها حق التصرف فى أملاكها بالبيع والشراء واقامة الدعاوى .

وكانت الزوجة تلقب بالأخت احياناً تعبيراً عن المحبة .

وكان ملوك مصر القدامى يتزوجون بناتهم ، والاخ يتزوج أخته ، للاحتفاظ بنقاء دم الالهة كما يرون ، لأن الملوك جميعا من الالهة .

ولكن الملك لا يتزوج بأمه .

حكمت الاسرة الثامنة عشرة مصر فى القرن الخامس عشر نحو ٢٥٠ سنة .

بدأت عام ١٥٥٥ ق . م .

وأنتهت عام ١٣٠٤ قبل الميلاد .

وكان عدد ملوك هذه الاسرة ١٤ ملكا بدأت بالملك أحمس الذى طرد الهكسوس ، وحرر مصر من الاحتلال .

ولكن أحمس أستطاع تدريب المصريين على أستعمال السهام المركبة والعجلات الحربية وزود الجيش بوحدات من العجلات الحربية يجيد جنودها أستعمال السهام الجديدة .

وقسم جيش المشاة إلى ٢٥ وحدة تضم كل منها مائتين من الجنود .

وأصبح للجيش قيادتان أحداهما فى منفيس والاخرى فى طيبة .

وخلال المائة والخمسين عاما الأولى من حكم هذه الاسرة ، تحققت أنتصارات عسكرية مدوية وتوسعت الامبراطورية المصرية على يد ملوك محاربين عظام . . وأستمرت هذه الامبراطورية ٨٤٣ عاما . . أى بعد الاسرة الثامنة عشرة !

أحمس قاد ٣ حملات فى النوبة .

وأمنحتب قام بحملات ضد الليبيين والاسيويين .

وتحتمس الاول قاد الجيوش المصرية فى النوبة ، وفلسطين ، وسوريا ، ووصل بها إلى نهر الفرات .

والملكة حتشبسوت أشهر ملكة مصرية فى ذلك العصر شهد حكمها ٤ حملات أحداها ضد النوبة .

أما أشهر ملوك تلك الاسرة فهو تحتمس الثالث الذى حكم مصر نحو ٤٦ سنة وحارب الاسيويين وأنتصر عليهم ١٧ مرة وأمتد نفوذه إلى ملك أشور وبابل والحيثيين فى آسيا الصغرى وأخضع هذه الدول له ثم السودان .

وعين امراء جددا على ممتلكات مصر الجديدة وجاء بابنائهم

وأشقائهم الى مصر ليتعلموا فأما أن يحبوا مصر ، أو يصبحوا ، بطريقة غير مباشرة ، رهائن .

وقد سماه المؤرخون المعاصرون بأنه شبيه نابليون لانه أخضع النوبيين فى الجنوب والاسيويين فى الشمال والشرق ، والليبيين فى الغرب ، وبعض جزر البحر المتوسط . . أيضا .

وأقام ملك آخر هو امنمحات الثالث منطقة عازلة من حلفائه تفصل بينه وبين أعداء مصر.

وأصبحت طيبة أشهر مدينة فى العالم القديم . ومصر أول امبراطورية .

* * *

فى عهد هذه الاسرة شاع الرخاء كان الذهب كالتراب من المناجم ، فى مصر والنوبة . وكان الملوك يقومون بتخزين الذهب ويستوردونه ايضا ويطلبونه من أعدائهم فدية وجزية ويمدون به حلفاءهم .

ولم يكن معروفا قيمة واردات مصر فمعظمها يصل مصر تقربا وخوفا .

وكان مظهر الرخاء واضحا فى المعابد الكبيرة ، والتماثيل الضخمة ، التى بنيت فى عهد هذه الاسرة .

ولم يتميز عهد هذه الاسرة بالانتصارات العسكرية فحسب . . ففى زمنها تحققت أول حركة للاصلاح الدينى ، وأول محاولة للتوحيد فى العالم القديم !

تولى امنحتب الرابع الذى عرف باسم أخناتون ملك مصر وحكم ١٧ سنة .

لم يكن حاكما أداريا أو قائدا عسكريا بل كان شاعرا حالما أتهم بـأن به مسا من الجنون تزوج فى سنة حكمة الأولى من نفرتيتى .

* * *

وكان كل حكام المصريين يؤمنون بتعدد الآلهة، عدا واحد فقط، أخناتون ومعناه «المفيد لاتون» أو «سرور آتون».

وكانت لدى أبية ، من قبل ، مجرد ميول نحـو التـوحيد ، ولـكن امنحتب الرابع صمم على أن يحقق الثورة الدينية التى بدأها أبوه على نطاق ضيق جدا . الغى الديانة القديمة (أمون) . واغلق معابد أمـون ومحا أسمه من الأثار .

وبدلا من مجمع الالهة الذى كان قائما ، أمـر بعبـادة الـه واحـد فقط ، هو اتون اله الشمس . لذلك اعتبرت حركتة للاصلاح الدينى ، أول حركة للتوحيد ، فى العالم

وكان أخناتون يقول :

« الله وحده . يودع الارواح فى الاشباح . أنت الخالق . تخلـق ولا تخلق . خالق السموات والأرض » .

ويقول : « ما أعظم اعمالك التـى عملتهـا » . أنهـا خـافية على الناس

انت الاله الأوحد . لا شريك لك فى الملك .

لقد خلقت الدنيا كما شئت !

وأعلن الملك أنه لا يرى أن طيبة ، معقل عبادة آمون ، جديرة بأن تكون عاصمة ملكه ، بل تكون العاصمة على ضـفاف النيـل بيـن طيبـة ومنفيس

وأختار ارضا صحراوية لم تطؤها قدم اشترك فى بنائها ١٠٠ ألف فنى ومهندس وعامل فى عامين لتضم ١٠٠ ألف نسمة وتكون مدينة الحب ، والفن ، والجمال وتمثل عالما أسعد .

وأقام المصانع فى هذه المدينة لتقدم أدوات البناء .

قال الخبراء انها أول مدينة مصرية اقيمت بتخطيط دقيق وأن اساس مبانيها القوى الذى اقيم بالحجارة المنحوتة من الصخور لا يزال يحتفظ بمكانته حتى الآن وأنها أشبه بعاصمة البرازيل « برازيليا » التى بنيت فى القرن العشرين .

وأقام الملك قصره الضخم على أرض طولها ٨٠٠ ياردة وعرضها ٢٧٥ ويقع فى نهاية الطريق الملكى الذى يمر بكل المبانى الهامة .

وأختير اللون الاصفر ـ لون الشمس ـ لطلاء كل حجرات القصر .

. . وانتقل اخناتون فى سنة حكمه الخامسة الى عاصمته الجديدة تل العمارنة . . أو العمارنة الآن .

وقرر الملك تغيير أسمه الى اخناتون . .

احدثت القرارات . . تغيير الديانة والعاصمة واسم صاحب الجلالة ـ اضطرابات واسعة ، وهاجم البعض الكهنة فى معابد أمون .

ورفض الجنود أطاعة أوامر ضباطهم .

واتسعت أعمال الشغب وهوجمت النساء فى المعابد . .

لم يسمح الملك لرعاياه بالركوع أمامه .

ولم يؤمن اخناتون بتعدد الزوجات فألغى نظام الحريم .

ولكن نفرتيتى لم تنجب الا ٦ أناث .. ثلاث منهن فى السنوات الثلاث الاولى للزواج .

وأدرك اخناتون أن ذلك سيحدث تعقيدات فى وراثة العرش ، فتزوج من محظية أنجبت له ولدين : سمنخ كارع وتوت عنخ أمون .

ولكن قبل ان ينقضى وقت طويل ، كان معظم أنصار اخناتون قد هجروه وتخلوا عنه . بل حتى نفرتيتى تحولت ضده أيضا . وأنهار الزواج الذى كان كاملا . وتبعها فى موقفها الكاهن الاكبر .

صمد اخناتون

ولكن القضية أصبحت خاسرة ، تحدد مصير الملك وبدا أنه مقضى عليه .

بدأت المؤامرات على اخناتون . وكان من بين المتآمرين طبيبه الخاص . وقيل انه أعطاه دواء مسموما ليموت .

قال علماء الآثار : ربما يكون اخناتون قد ترك وحده فى تل العمارنة بينما قام ابنه سمنخ كارع بمهمة الوصاية على العرش وحكم باسم اخناتون - أثناء حياته - فى طيبة .

وكان سمنخ كارع مريضا تزوج فى الرابعة عشرة من أخته غير الشقيقة مريت أتون ، ابنة نفرتيتى ، وهى فى الثالثة عشرة من عمرها .

وقد اكتشفت مقبرة اخناتون فى التلال المطلة على الوادى . وكانت تحمل نقوشا تقول :

« كنت أرغب فى أن أدفن فى تلال الى الشرق - لا الى الغرب - كما كان معتادا .. فان الشرق كان مملكة أتون المشرق » !

* * *

قال المؤرخون ان اخناتون مزق الدولة وجعلها تتدهور . وعند وفاته تحققت المؤامرات والدسائس التى كان يخشاها .

كان كهنة أمون يريدون أن يولوا كبيرهم ميكانكوس العرش ، ولكن نفرتيتى وأنصارها هزموهم ووضعت نفرتيتى على العرش الابن الباقى توت عنخ أمون ، الذى تزوج اخته غير الشقيقة عنخسن أمون (وهى ثالثة بنات نفرتيتى) .

وكان الملك الصغير فى التاسعة من عمره ، وزوجته فى التاسعة من عمرها .

* * *

لا يوجد شيء محدد يكشف الستار عن حقيقة توت عنخ أمون ، كل ما يقال عنه يبدأ دائما بكلمة « ربما » و « من المحتمل » و « يعتقد » و « يظن » الى أخر الكلمات والتعبيرات التى تثير الشكوك .

كان الملك العاشر من ملوك الاسرة الثامنة عشرة .

جلس على العرش وعمره ٩ سنوات ، وحكم ٩ سنوات من عام ١٣٣٩ الى ١٣٤٨ قبل الميلاد لذلك أطلق عليه لقب « الملك الطفل » .

وقيل انه حكم من عام ١٣٥٢ أو ١٣٥١ الى عام ١٣٤٤ أو ١٣٤٣

ظل زواج توت عنخ آمون و « عنخسن آمون » عقيما .

وفى السنوات الأربع الاولى ظلت العاصمة فى تل العمارنة ثم نقلها الى طيبة .

وأعاد عبادة آمون وتغير اسمه من توت عنخ أتون الى توت عنخ أمون

« ولذلك سمى بعد ذلك بالمتمرد الذى قاد الثورة المضادة ضد عبادة الشمس .

وقد فرح شعب مصر باعادة الديانة القديمة .

وربما يكون قراره هذا من تلقاء نفسه وربما يكون الوصى على العرش « آى » أو الكهنة قد ضغطوا عليه لا عادة العاصمة الى طيبة واعادة ديانة أمون .

وهناك احتمال صراع بين الملك والكهنة الذين نجحوا فى استعادة سلطانهم ونفوذهم . . وسمحوا للملك الصغير بالبقاء على العرش ، ولكن بعد تغيير اسمه الى توت عنخ آمون ، وزوجته الى عنخسن آمون بدلا من عنخسن آتون .

ولكن هذا التحول من ديانة الى اخرى تم بطريقة سليمة . فلم يحاكم توت عنخ أمون اولئك الذين عبدوا ، أو استمروا يعبدون ، آتون ـ اله الشمس ـ وعرف عهده بالتسامح الدينى .

واذا كان الوزير « آى » قد محا اسم اخناتون فأن توت عنخ آمون لم يشترك فى ذلك . ولهذا يعتبر أكبر انجاز له أنه ترك آثار اخناتون وبذلك كتب عنه المؤرخون وعلماء الآثار أكثر من أى فرعون مصرى آخر .

وعرف المؤرخون أنه فى مصر نشأت أول ديانة للتوحيد فى العالم القديم . . وان هذا الملك اختار عقيدة دينية يقبلها المصريون وغير المصريين . . أى تتجاوز حدود مصر . . ولكن نتيجتها انهيار ممتلكات مصر فيما وراء البحار ، أو ضياع المستعمرات وتبديد الامبراطورية المصرية .

* * *

اختلفت الأراء فى سياسة الحكم فى عهد الملك توت عنخ أمون .

قال البعض انه كان دمية يحـركها أخـرون ، أقـوياء ، مجـربون وضعوه على العرش .

وقالوا انه كان يهتم بصيد الوحوش والاسماك والنعام وأنه جمع حوله اكبر كمية من الذهب وأضخم مجمـوعة مـن التحف والأثـاث جمعهـا فرعون مصرى .

وبينما قيل انه حاكم ضعيف . قيل ايضا انه شـيد معـابد فى النـوبة وأقام هياكل فى الاقصر وكان يصدر فى كل يوم قـانونا لـلأرض . وحقـق العدل وبنى سفنا محملة بالذهب تسير فى النيل لتلقـى عليـه الاضـواء . وكان الشعب يرقص فرحا .

ومن الرسوم التى وجدت على جدران مقبرة توت عنخ أمون ، ومـن اللوحات ، والقطع الاثرية التى وجدت فيها نعرف أن توت عنخ أمون قام بحملة عسكرية فى فلسطين ولبنان بقيادة القائد حور محب .

وجىء بالأسرى والرقيق من هذه الحملة لبناء المعابد .

ويحتمل أن الملك نفسه اشترك فى الحرب رغـم صـغر سـنه فـان امنمحعت الثانى حارب فى آسيا وعمره ١٨ سنة .

وفى المقبرة دفنت مع الملك سهام مركبة ربما يكون قد أستخدمها فى القتال .

ولعل أهم ما فى المقبرة ، اذا تركنا الذهب والفن جانبا ، ٣ قطع - منها الخنجر - صنعت من الحديد اشارة الى أن مصر فى عهده انتقلت من عصر البرونز الى عصر الحديد .

ودلت الزهور التى وجدت على التابوت ، وهى ازهار العنبـر وتفـاح

الجن ، وقد احتفظت ببعض الوانها ، على أن توت عنخ أمون مـات فى مارس أو ابريل وهو موسم ظهور تلك .. الزهور !

ولابد أن الملكة هى التى وضعت زهور الوداع فهى أخر من غـادرت المقبرة .

وقد ضمت الجثمان بين زراعيها فلصقت به الاتربة التى عفرت بهـا الملكة والأرملة ثيابها ثم انشدت :

أنا زوجتك ، أيها العظيم ، فلا تهجرنى .

أيسرك ، أيها الأخ ، أن ابتعد عنك .

وكيف أبتعد عنك وحدى ؟

أقول ، ساصحبك . أنت الذى كنت تحب أن تحادثنى .

وفى الرسوم على كرسى العرش آثار حب عظيم ربط بين الملك والملكة ، نلمسه رغم فاصل الزمن الضخم بيننا وبينه .

ها هى الملكة تضيف اللمسة الاخيرة فى زينـة الملك قبـل ان يبـاشر مهامه فى القصر .

وها هى الملكة - أثناء الصيد - تقدم لـه سـهما وتشـير الى بـطة سمينة .

وها هى الملكة تحيط الملك بذراعيها فى قارب اثناء رحلـة فى النيـل وكأنها تخفف عنه متاعب الدولة والحكم .

وفى اللوحات والأثار التى تركها الملوك فى مقابرهم نجد أن توت عنخ أمون يتميز ويتفوق عليهم فى أن هناك لمسه أنسانية فى أثاره .

* * *

فحص اثنان من الاطباء مومياء توت عنخ آمون فى نوفمبر عام ١٩٢٥

وهما الدكتور صالح حمدى مدير الصحة بالقومسيون البلدى بالاسكندرية والدكتور ارشيبالد دوجلاس ديرى استاذ علم التشريح بكلية الطب بالجامعة المصرية بالقاهرة .

قرر الطبيبان عمر توت عنخ آمون بأنه حوالى ١٨ سنة ، أو بالقطع أقل من عشرين سنة .

وكان تقديرهما ايضا أن طوله وهو على قيد الحياة كان خمس أقدام وست بوصات .

وعلى شاكلة اخناتون . . فان توت عنخ آمون له جمجمة عريضة ولها قاعدة مسطحة اذا نظرنا اليها من جانبها تشبه حبة الفاصوليا .

ووجد هذا الشكل غير الطبيعى لدى المرضى الذين يعانون من مرض اسمه « باجيت » .

وفى حالات اخرى مرتبطة باللين فى عظام الجمجمة .

ومع ذلك فان هذا الشكل الغريب للجمجمة ليس دليلا نهائيا على مرض فى الجهاز العصبى المركزى .

ولاحظ تقرير الطبيبين ان جميع أطراف توت عنخ أمون ملفوفة برباط كل على حدة وان جميع اصابع يديه وقدميه لفت فى أربطة كل على حدة .

وتركت العينان مفتوحتين الى حد ما ، والرموش طويلة جدا وسليمة تماما . وتجويف الجمجمة فارغ .

والأنف جزء منها أصبح مسطحا نتيجة ضغط أربطة الرأس - ووضعت فيه مواد نباتية بالطريقة التى يستخدمها صناع التحنيط بعد استخراج محتويات المخ عبر العظمة الأنفية كما لاحظ هيرودوت .

ولاحظ الفاحصون فى اخر فقرة من التقرير

« على الخد الأيسر . . وفى مقدمة شحمة الاذن يوجد منخفض مستدير يملؤه الجلد ويشبه ندبة الجرح » .

وقالوا« ليس ممكنا القول ما هى طبيعة الاذى الذى اصاب صاحب الجلالة » .

* * *

ان الطبيبين لم يحددا طبيعة الجرح أو اسبابه أو علاقته بالوفاة .

قال الدكتور صالح حمدى بك فى حديث مع الدكتور محمد حسين هيكل باشا رئيس تحرير جريدة « السياسة » :

* تحديد السن عرف من اتصال رؤوس العظام .

* التصاق الجثمان بالتابوت المصنوع من الذهب الخالص لم يسمح باستغلال الاشعة - اى الفحص بالأشعة - كما أن ظهور العظام بين للعين المجردة كل ما كانت فى حاجة لرؤيته والعين المجردة . . أدق نظرا وأصدق نتيجة .

* حفظت حالة الوجه شكلها أكثر من باقى الجثمان . وهذا يدل على أن أهل تلك العصور كانوا يضعون صور الوجه على التابوت ، مطابقة لصورة الميت .

* * *

ومما يذكر أن مدير تحرير جريدة « النيويورك تايمس » فان اندا - الذى يعرف الكتابة الهيروغليفية سهر ليلة ٢٩ من نوفمبر عام ١٩٢٢ يشاهد صور آثار المقبرة التى جاءته من القاهرة ليكتشف تزويرا عمره ٤٠٠٠ سنة !

وجد أن حور محب محا أوأمر أحد رجاله أن يمحو ـ أسم توقيع الملك توت ـ ووضع اسمه ـ أى حور محب ـ مكانه .

قال « فان اندا » على الفور ان هذا يدل على جريمة قتل . . وأن حور محب لا شك قتل الملك واحتل مكانه ، وذلك ليس غريبا فى مصر القديمة .

ووضع مدير تحرير الصحيفة استنتاجاته أمام الدكتور فيليب حتى عالم المضريات الذى يقوم بالتدريس فى جامعة برنستون فأيدها . ونشر فان اندا ذلك فى صحيفة النيويورك تايمس

وقال عالم الأثار الفرنسى الدكتور ليجران انه اشتبه فيما فعله حور محب ولكنه لم يصل الى جريمة القتل .

وفى عام ١٩٦٨ جرى فحص مومياء الملك بجهاز أشعة متنقل داخل المقبرة .

التقط الدكتور رونالد هاريسون استاذ التشريح بجامعة ليفربول ومساعده الدكتور كونوللى خمسين صورة للمومياء . . حددت ـ كما يقولون ـ سر وفاة صاحب الجلالة .

قال الدكتور هاريسون ان الوفاة ليست نتيجة السل ، أو مرض فى خلايا المخ ، أو التهاب الشرايين بل نتيجة حادث او اغتيال او صدمة عنيفة بضربة من هراوة او سقوط من مكان مرتفع أو اصابة فى الجانب الايسر من الجمجمة . وربما يكون قد سقط من فوق حصان أو وقع على الأرض ، أو ربما يكون القتل سببا للوفاة كما قال فان اندا مدير تحرير نيويورك تايمس .

ومع ذلك يوجد رأى آخر يقول ان الاصابة ربما تكون قد حدثت عقب الوفاة .

وفى تحليل الدم المتجلط فوق الاصابة تبين أنه من فصيلة نادرة وهى نفس فصيلة أخناتون مما يرجح رأى هوارد كارتر - قبل نصف قرن تقريبا - وهو أن الملك توت ابن غير شرعى لاخناتون ، فقد لاحظ كارتر التشابه القوى ، وغير العادى ، بين صورة توت عنخ آمون واخناتون

ومعروف ان نفرتيتى لم تنجب لاخناتون سوى ٣ بنات تزوج توت عنخ أمون احداهن

ونظرا لوفاة الملك المفاجئة فقد دفن فى هذا القبر الصغير الذى يبدو أن وزيره « آى » قد أعده لنفسه . . لأن مدة التحنيط وهى سبعون يوما لا تكفى لاعداد القبر المناسب .

وقد جرت التقاليد على تكريم الوزراء وأسرهم بدفنهم فى وادى الملوك .

ولأن الصدف كثيرة فى وفاة ، أو اكتشاف ، قبر توت عنخ آمون فان احدى الصدف ايضا أنه دفن فى هذا القبر الصغير ليسهل الكشف عنه سليما فان باقى القبور الملكية - الضخمة - نهبت قبل اكتشافها . . سواء فى عصور ما قبل الميلاد ، أو فى العصر الحديث .

* * *

بعد وفاة توت عنخ آمون ارسلت ارملته الى ملك « الحيثيين . » « شوبيلوليوما » - الذى يحكم سوريا ، وصاحب النفوذ الضخم فى آسيا .

قالت رسالة الملكة الارمله :

« مات زوجي وليس لى ابن . ويقولون ان لك ابناء كثيرين . فاذا ارسلت الى ابنا من ابنائك فانه سيصبح زوجا لى .

ولن أقبل بحال من الاحوال ، الزواج من أحد رعاياى لأنى اكره ذلك .

قال العلماء انها لا يمكن ان تطلب زوجا الا اذا كانت هناك صلات بين مصر والحيثيين ولا يمكن ان تطلب الزواج من ملك اجنبى الا اذا كانت تخاف حقيقة ـ على عرشها .

شك ملك الحيثيين فى الامر وظنه خدعة فبعث رسولا أيقن من صدق الملكة التى كتبت رسالة ثانية للملك قالت : :

« لماذا تقول أنهم يريدون خديعتى .

اذا كان لى ابن فهل اكتب إلى اجنبى واكشف عن مصيبتى ومصيبة بلادى .

انك أهنتنى بقولك هذا . ان زوجى قد مات وليس لى ابن . فهل يتحتم على أن أتزوج من أحد رعاياى .

انى لم أكتب لأحد سواك » .

ارسل ملك الحيثيين ابنه ليتزوج الارملة وليمد نفوذه إلى مصر .

ولكن حور محب أمر رجاله فقتلوا الزوج المنتظر !

وتعتبر هذه الرسالة دليلا على أن « عنخسن آمون » لم تكن مجرد زوجة عادية بل انها أرادت أن تكون ملكة تحكم !

وربما يكون الملك « آى » قد تزوج « عنخسن آمون » ليعطى نفسه حقا شرعيا فى حكم مصر ٤ سنوات !

وربما تكون الارملة قد عاشت لترى زوجها الجديد « آى » يحاول أن يمحو آثار اسلافه ومنهم توت عنخ آمون ولكنه ترك القبر الذى دل عليه !

وفى راى كارتر ان أهم ما فى حياة توت عنخ آمون ، أنه مات ، وأنه دفن ، وأن قبره قد اكتشف .

ولكن ادوارونت استاذ علم المصريات فى المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو قال ان القطع الذهبية ، والثراء غير العادى ، الذى وجد فى قبر توت عنخ آمون والذى تجمع خلال فترة قصيرة من وفاته المفاجئة جاء من تبرعات وهبات من شعب مصر لا من القصر الملكى والأسرة المالكة وحدها .

وقد يكون ذلك تعبيرا عن الأسى لوفاة ملك شاب .

وقد يكون تعبيرا عن العرفان بالجميل من شعب مصر لاعادة عبادة آمون .

ولم يقل العالم الامريكى انه ربما يكون السبب ان اكتشاف هذه المقبرة وحدها كاملة لم تنبش ولم تنهب ولم تسرق لأنها ليست لملك بل لأنها عطاء وميراث شعب مصر . . !

حكومة فى حكومة !

عجز اللورد كارنارفون عن مواجهة السيل المتدفق من الصحفيين وفى الوقت نفسه أراد الحصول على الدعاية وعلى المال لتعويض ما أنفقه خلال عشر سنوات من البحث والتنقيب .. وليحصل أيضا على ربح .

فكر اللورد فى فيلم يصور المقبرة يكسب فيه ٢٠ ألفا من الجنيهات ، وعرض الامر على شركتى « باتى و مترو جولدوين ».

قدمت الشركتان للورد سيناريو خصب الخيال ، يقارن بين الماضى والحاضر . ويظهر فيه المصريون المعاصرون الذين يشبهون أسلافهم من عهد الملك توت عنخ أمون !

وفكر اللورد فى إصدار كتاب من أربعة أجزاء يباع الواحد منها بثمن يتراوح بين ثمانية جنيهات ونصف جنيه والطبعة الشعبية بنصف الجنيه . وتكون حقوق النشر للورد وحده .

وفكر أيضا فى عقد مزاد بين الصحف . وتحصل على حق النشر الصحيفة التى تدفع مبلغا أكبر . ولكن خشى اللورد أن يتهم بالاستغلال والتجارة .

ورأى أن جريدة « التايمس » البريطانية أفضل صحيفة بالنسبة له تتولى عنه إذاعة أخبار الكشف وصوره .

قصد اللورد إلى مقر الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن يسأل عن تفصيلات الاتفاق بين « التايمس » والبعثة التى وصلت إلى قمة جبل « إيفرست » ليجد أن الصحيفة دفعت ١٥٠٠ جنيه لافراد البعثة مقابل ١٥٠ برقية طويلة . وحصلت الصحيفة - وحدها - على حقوق نشر كل الاخبار . .

وفكر كارتر - من ناحيته - فى أن يكون الامتياز لصحيفة لاتحجب عنه حقه فى نشر مذكرات وكتب ومحاضرات وصور .

* * *

أدرك جوفرى دوسون رئيس تحرير صحيفة « التايمس » أهمية الكشف فتوجه ، دون موعد ، إلى عزبة اللورد كارنارفون يعرض عليه يوم ٢٣ من ديسمبر ١٩٢٢ أن تكون الصحيفة وكيلة عن اللورد وممثلة له ونائبة عنه ومحتكرة لحق أخبار الكشف وصوره .

وقال دوسون للورد :

- ستتعامل فى هذه الحالة مع صحفى واحد هو مندوب « التايمس » مما يوفر وقتك ووقت كارتر ومعاونيه فيتفرغون للحفر والتنقيب وترميم الاثار المكتشفة بدلا من الاجابة على الاسئلة نفسها كل يوم لعشرات الصحفيين .

تذكر اللورد قصة زميل له جاء خادمه - أثناء أزمة سياسية - يقول :

- سيدى يوجد ثلاثة من الصحفيين بالباب ، ورجل مهذب - جنتلمان - من صحيفة « التايمس ».

أى أن ممثل التايمس يختلف عن مندوبى الصحف الاخرين .

تذكر اللورد هذه القصة فوعد بدراسة الموضوع .

ولكن « أسماك القرش الصحفية » ـ على حد تعبير اللورد ـ تابعته فى عزبته وانهالت عليه المكالمات التليفونية تطلب مزيدا من أخبار الملك توت فقد انطلق السباق الجنونى نحو المقبرة واللورد وكارتر . . وتوت عنخ أمون .

* * *

وجد اللورد كارنارفون فى النهاية أنه لا مفر له من التعاقد مع التايمس فى ١٠ من يناير ١٩٢٣ على إحتكار حق نشر كل سبق صحفى عن مقبرة توت عنخ أمون وبتولى الصحيفة بيع الاخبار والصور لمن تشاء من الصحف ووكالات الانباء وتحصل مقابل ذلك على ٧٥ ٪ من الثمن ويحصل اللورد على ـ الـ ٢٥ ٪ الباقية *

دفعت « التايمس » للورد ـ مقابل ذلك ـ مبلغ ٥٠٠٠ جنيه .

وبعد وفاة اللورد فى ٥ من إبريل ١٩٢٣ تعاقدت « التايمس » مع أرملته لاستمرار إحتكار الاخبار مقابل ٢٥٠٠ جنيه أخرى .

وتحملت الصحيفة نفقات إيفاد إثنين من المراسلين وأحد المصورين إلى الاقصر وكلفها كل ذلك ٨٦٥٠ جنيها .

وكان إيراد الصحيفة من بيع الاخبار والصحف ٥٩٠٣ جنيهات وتحملت الفرق وقدره ٢٦٥٧ جنيها ولكنها سبقت غيرها من الصحف بأنباء الكشف الاثرى ٨ سنوات كاملة .

وفى الوقت نفسه باع اللورد لشركات أخرى حق إصدار الكتب ، والصور ، وأفلام السينما . . الخ فان كل شىء خاص بالملك توت عنخ أمون كان يباع !

أن هذا العقد جعل « التايمس » تفوز باكبر وأهم سبق صحفى عن الاثار فى القرن العشرين !

* * *

كتب اللورد كارنارفون إلى كارتر فى يوم الاتفاق مع التايمس يقول :

« أخشى أن تكون قد عانيت من الصحافة وقد حزمت أمرى أن عرض « التايمس » أفضل شيىء فهى أول صحيفة فى العالم وتحظى بقوة ، وتسهيلات ، أكبر من أية صحيفة أخرى » .

وبعث كارتر إلى أرثر ميرتون يطلب منه الانضمام إلى فريق الكشف ليصبح واحدا من أعضائه يدخل ويخرج من المقبرة وقتما يشاء .

رد ميرتون قائلا :

« أقبل العرض بالانضمام إلى هيئة تحريركم .

وكما تم الاتفاق بيننا ، فانى سأمثلك فى وادى الملوك فى جميع أمور النشر المتعلقة بالعمل فى مقبرة توت عنخ أمون ، طبقا للاتفاق الذى عقد بين اللورد كارنارفون والصحيفة » .

ولم يبلغ اللورد مصلحة الاثار باتفاقه مع التايمس إلا بعد إتمام التعاقد !

إحتجت الصحافة المصرية والعالمية على الاتفاق الذى قصد به إحتكار « التايمس » لنشر الاكتشاف التاريخى العظيم .

وكان أول من إحتج جيرالد ديلينى مراسل وكالة رويتر للانباء وهو صاحب نفوذ قوى لصلته بوزراء مصر وبالمندوب السامى أيضا .

طلب ديلينى من اللورد اللنبى المعتمد البريطانى فى مصر التدخل .

ولكن اللورد كان يعرف مدى قوة « التايمس » واتصالها بالدوائر

الحاكمة فى لندن فاعتذر وابلغ اللورد كارنارفون بذلك صراحة !

وتوجه مندوب صحيفة « مورننج بوست » التى تصدر فى القاهرة باللغة الانجليزية إلى لاكو مدير مصلحة الاثار يسأله أخبار الكشف .

رفض لاكو أن يتكلم أو ينطق بحرف مما دعا الصحيفة إلى شن حملة ضد الاحتكار الصحفى .

وظلت صحافة مصر تطالب لاكو بان يسمح لها بدخول المقبرة المصرية . . ورجا لاكو كارتر أن يتخذ موقفا لينا مع صحافة البلد التى ينتمى اليها الملك . .

قال لاكو لكارتر .

ـ خصص يوما واحدا ، مرة واحدة لزوارنا ومعهم الصحفيون المصريون .

رفض كارتر . . بغطرسة .

* * *

قالت صحف مصر إنها حرمت من أن تنقل لقرائها أخبار كنز أجدادهم العظماء . . فالآثار مصرية ، خلفها فرعون مصرى وموجودة فى أرض مصرية . . ومع ذلك فان صحافة مصر مضطرة أن تكتفى بالتقاط ما تتكرم به عليها جريدة غير مصرية وهى « التايمس » الانجليزية .

وأخذت الصحف المصرية تتكلم عن سرقة الاثار المصرية بواسطة هوارد كارتر وتطالب بحقها فى دخول مقبرة الموت المقدسة . . وتثير قضية الاستعمار البريطانى بواسطة كارتر والمندوب السامى البريطانى اللورد اللنبى ، والعجز الفرنسى ، والضعف المصرى رغم أن تصريح ٢٨ فبراير ٢٢ الخاص باستقلال مصر قد صدر . . ولكن مصر ليست

مستقلة بدليل أن صحفيا مصريا واحدا لا يستطيع دخول مقبرة ملك مصر !

ولكن كارتر ظل يرفض أن يلين .

وهبط إلى مصر مراسلو الصحف الاجنبية من أوربا وأمريكا فوجدوا أنفسهم - كما قالوا - أمام جدران صامته لاتنفتح أمام وجوههم ، وأمام رؤوس كأنها فقدت النطق . وليس لديهم سوى بيانات مفككة يتضمنها البلاغ المقتضب الذى تنشره إدارة المطبوعات .

وقال الصحفيون لو أن هذه الآثار كانت قد إكتشفت فى بلاد غير مصر لكانت الحكومة قد دعت المراسلين الاجانب على نفقتها لاستجلاء تلك الكنوز للفت نظر العالم إلى الامة التى تملك تلك الآثار .

وقال مراسل وكالة « رويتر » للأنباء أنه لم يجد جوا فاسدا كجو الاقصر منذ دخوله الصحافة قبل عشرين عاما .

وتلقى مراسلو الصحف فى الاقصر برقيات من صحفهم بخرق حصار كارنارفون وجماعته مهما كلفهم الامر وأن يبذلوا فى سبيل ذلك مايريدون . . لأنها معركة تمثل نضال الصحافة فى سبيل حريتها ضد جماعة أرادوا العبث بها .

* * *

بدأت حملة ضخمة فى الصحف المصرية والبريطانية بالذات ضد إحتكار « التايمس » .

حملت الصحف العالمية والمصرية على الحكومة المصرية وإعتبرتها مسئولة عن تخلف صحافة مصر والعالم - عدا « التايمس » - عن نشر أنباء ما فى المقبرة من عجائب !

وعقد الصحفيون الاجانب إجتماعا عاصفا بحجرة مراسل « الديلى إكسبريس» فى فندق ونتر بالاس بالاقصر وقرروا وضع الخطط التى تكفل منع مندوب التايمس من الانفراد وحده بأخبار الكشف .

حضر الاجتماع « مورتون » من « الديلى إكسبريس » « وأرثرويجال » عن « الديلى ميل » « وأوفارل » عن « الديلى تلجراف » وفالنتين وليامز عن وكالة « رويتر » للأنباء ، وتايلور عن « سفنكس » وهؤلاء جميعا من الانجليز . .

ومن الأمريكيين برادستريت عن نيويورك تايمس والدريخ من نيويورك تريبيون .

أبرق الصحفيون إلى بيير لاكو مدير عام مصلحة الأثار محتجين على حتكار التايمس وقرروا الاتصال باللورد كارنارفون يطلبون تسهيلات لهم . كماإتصلوا بالمندوب السامى البريطانى وهاجموا « علم الأثار التجارى » الذى يحمل لواءه كارنارفون وصحيفة التايمس ! .

ولجأ الصحفيون إلى كل الوسائل لعرقلة مراسل تلك الصحيفة .

* * *

كتبت صحيفة «الديلى إكسبريس» البريطانية أن «تحول العلم إلى تجارة يعتبر دعارة»!

. . وكتبت تحت عنوان « شركة توت عنخ أمون ليمتد » .

« بينما نكن تقديرا للأخلاص والاصرار اللذين أسفرا عن ثمار هامة ـ لأعمال اللورد كارنارفون فمن الصعوبة قبول الطريقة التى رآها مناسبة لاستغلال إكتشافه » .

إن المقبرة ليست ملكا خاصا له .

انه لم يحفر بحثا عن عظام أجداده فى جبال ويلز بل عثر على فرعون فى أرض المصريين .

وعندما أعطى إحتكارا لصحيفة بالذات عن كل أخبار المقبرة فانه أثار ضده كل الصحف ذات النفوذ فى العالم » .

* * *

وصل إلى مصر أرثر ويجال عالم الأثار البريطانى .

قام بعدة حفائر مع كارتر لحساب المليونير الأمريكى دافيز وألف عدة كتب عن مصر القديمة منها « حياة أخناتون فرعون مصر » و « حياة كليوباترا » و « أمجاد الفراعنة »

وقد عمل مفتشا للأثار المصرية تسع سنوات ولكنه أرغم على الاستقالة فى ظروف غامضة فقد اتهم بالاشتراك فى صفقات أثرية مريبة وجاء إلى مصر بعد الكشف عن مقبرة توت عنخ أمون ليكتب مقالات لصحيفة « ديلى ميل » البريطانية .

بعث ويجال بمذكرة إلى أموس المستشار القضائى للحكومة المصرية قال فيها :

« أن العقد الذى أبرمه كارنارفون مع « التايمس » يشكل خطرا على علم المصريات ، وسيؤدى حتما إلى فضيحة ، وربما إلى وقف الحفائر الاوربية أو الأمريكية ومن مصلحة العالم ألا يتكرر مثل هذا الخطأ .

أن اللورد كارنارفون تلافى خلال سنوات عمله فى مصر تحقيق كسب ، وكان عمل اللورد علميا وفوق مستوى الانتقادات ، ولكن

إكتشافه أثار اهتماما عاما . أضبح « خبطة » صحفية غير عادية على الاطلاق .

وقد حول إكتشافه كله إلى مكسب تجارى .

أنه سيطلق على مصر مجموعة من المتلهفين على النهب من الحفر . ولمواجهة ذلك ستضطر الحكومة المصرية إلى إصدار قوانين جديدة ضد كل من يقومون بالحفريات .

ولا حاجة بى لبيان مدى الأساءه التى وجهت للعقلية المصرية .

إن السرية فى حد ذاتها ستجبر الحكومة على معاداة كل الحفائر مستقبلا » .

وقال ويجال أن اللورد كارنارفون « ربح من عملية بيع حقوق النشر والصور مبلغ مائة ألف جنيه وحول علم الأثار المصرى إلى أكبر عملية إستثمار قام بها فى حياته » .

ومن حق اللورد أن يبيع قصته الشخصية لصحيفة «التايمس » ولكن ليس من حقه ، ولا من سلطته ، أن يبيع القبر !.

لم يكتف ويجال بهذه المذكرة بل كتب إلى كارتر رسالة تحذير تاريخها٢٥ من يناير ١٩٢٣ محفوظة بمتحف متروبوليتان فى نيويورك قال فيها :

« كنت مسئولا ، أنا نفسى ، عن بعض الاكتشافات الجميلة الكبيرة ، وبالتالى يمكن التعاطف مع المصاعب التى تصادفها مع الزوار والصحافة .

إنى حريص على البقاء بعيدا عن ، « هذه الحرب » . . . التى

يبدو انها ستصبح واسعة إلى الحد الذى يضر بصورة خطيرة بالمصالح البريطانية فى مصر .

تحركنى رغبتان : الحفاظ على المكانة البريطانية فى مصر ، ومساعدة علم المصريات .

أنك وكارنارفون إرتكبتما خطأ مروعا عندما ظننتما أن المكانة البريطانية الدائمة لازالت قائمة فى مصر ، وأن بمقدور علماء الاثار الأجانب أن يفعلوا مايحلولهم .

إنكما عثرتما على هذه المقبرة فى الوقت الذى يمكن لأى شىء أن يتسبب فى إنفجار الموقف السياسى .

أن الدبلوماسية الحساسة هى الطريق للتعامل مع الأهالى على نحو صحيح .

يقول المصريون إنكما أهنتما بلادهم . وأنتما متهمان بأسوأ أنواع الاساءات » .

* * *

حاصر ويجال كارتر فى وادى الملوك .

وبصورة منفعلة ومباشرة أظهر طبيعة الكراهية التى تمكن كارتر وكارنارفون من أثارتها لدى الصحافة العالمية ولدى المصريين .

رد كارتر قائلا :

ـ المصريون لايعرفون شيئا عن الحفائر « العلمية المسئولة ويفتقرون إلى الكفاءة والموظفون لايهتمون إلا بألاعيب السياسة » .

قال ويجال :

ـ قد لا يروقك ذلك ! . ولكنه لا يحقق المصلحة البريطانية .

ومن الضروى إشراك المصريين فى هـذا الاكتشـاف . وفـوق كل ذلك أن اللورد كارنارفون منح « التايمس » حقوقا إحتكارية مما أحدث عـاصفة هائلة فى شارع الصحافة فى لندن .

لقد إتهمتما بالاثراء على حساب « قداسة الأموات » المصريين ، وبامتهان العلم للكسب الشخصى ، وبيع حقوق تملكها الأمـه المصريـة والعالم . وإبعاد كل من يحاول كتابة كلمة عن الموضوع .

وقال ويجال : ·

ـ وفقا لنظامكم فأى أى عالم للآثار يجـىء هنـا . . . سيمنع مـن دخول المقبرة أو الحصـول على معلـومة واحـدة . ولن يقتصر الأمـر على خسارة العلم لمشورته أو علمه ، بـل أن الجمهـور سـيخسر فـرصة للحصول على معلومات مباشرة .

أن كل الصحف الأخرى تعتقـد إنـكما و « التـايمس » عــار على التقاليد الصحفية .

وإستمر ويجال يهاجم كارتر وينتقده بعنف :

ـ عثرتما على مقبرة تخص الحكومة المصرية . وهى فى مـكان عـام وتحت نظر الأهالى والسياح الأجانب مباشرة .

وهى مقبرة تضم الموتى المقدسين .

انه إكتشاف لا يخصكما بل يهم العالم عامة ، ومصر خاصة .

إنها مصر التى تضطرم كراهية لانجلترا .

حاول كارتر الدفاع عن موقفه متعللا بضيق المكان ووجـوب السـهر على الآثار من كل ما يلحق بها من عطب وللتـدخل المسـتمر مـن جـانب

لاكو ، وتدفق الزوار الصحفيين والسياح ، الذين يتجمعون عند مدخل المقبرة ، أو حول العمال المصريين وهم يعملون .

وأضاف كارتر :

ـ ضرر الصحافة يضارع الضرر الناجم عن النشاط السياسى للوطنيين .

رد ويجال :

ـ النار قد تحرق مصر كلها . والموقف يتسم بخطر هائل على بريطانيا .

لقد خلقت عاصفة من الكراهية البغيضه بعمليه خانها التوفيق . أولها إستهانتك بالحكومة عند فتح مقبرة فرعون جاء من العدم ليصبح ـ فى نظر الأهالى ـ ممثلا للوطنية وثائيهما ، دخولك فى تعاقد مالى ، يضطرك إلى إبعاد رجال الصحافة وعلماء الآثار ، والى التصرف مثل قطاع الطرق الذين أقسموا على السرية ـ ومثل اللصوص بالنسبة للأهالى .

ورجاه أن يتخذ بعض الإجراءات بأن يجعل كارنارفون يصدر بيانا بأنه لن يكسب من التايمس وأن يترك كل الصحفيين يدخلون المقبرة، بحيث يستطيعون الدعاية للعمل الممتاز الذى يقومان به للحفاظ على الآثار.

وأن يعطى لكل الصحفيين ـ والمحليين بوجه خاص ـ الحقائق الأساسية فى أقرب وقت ممكن بعد فتح الحجرة الداخلية للمقبرة فى اليوم نفسه الذى تحصل فيه التايمس على الأخبار وليس بعد ذلك .

وقال :

ـ المشكلة أكبر من مجرد حفائر ، بل يتعين وضع مسألة الوطنية والعلاقات الانجليزية ـ المصرية فى الاعتبار .

حاول تهدئة الصحافة المحلية نظرا للوضع السياسى المتوتر .

* * *

دافعت التايمس عن موقفها وقالت ان هناك عقود إحتكار صحيفة مشابهة .

* الأستاذ ماك اليستير تعاقد مع صحيفة « الديلى تلجراف » البريطانية لتنفرد بنشر أنباء وصور حفائره فى فلسطين .

* سبق أن تعاقدت « التايمس » نفسها لنشر نبأ محاولات الجنرال بروس صعود قمة جبال إيفرست فى أسيا .

وهناك أمثلة أخرى كثيرة الهدف منها ألا يتعطل باحث بالحديث إلى الصحافة .

وليس لدى كارنارفون أو كارتر وقت لكتابة البرقيات إلى « التايمس » ولذلك تركت هذه المهمة إلى « ميرتون » مراسل الصحيفة .

وإضطرت التايمس الى تبرير موقفها فى إجتماع لاتحاد أصحاب الصحف فى لندن :

قال مالك الصحيفة :

« لست هنا لأقدم إعتذارا عن شيء فعلناه ولا لتوضيح حقيقة أنه لو لم تحصل « التايمس » على العقد لكان قد ذهب إلى الخارج .

كانت هناك إعتراضات على حصولنا على حقوق الأخبار والصور المتصلة بالحفريات ، وأقترح حقا تنظيم مقاطعة لنا .

ولست قلقا إزاء عدم قانونية الاقتراح ، ولست قلقا بشكل جاد إزاء الاقتراح نفسه .

ولكنى فى دهشة من انه أقترح فى هذا المجلس فرض قيود على الصحف .

وإذا كانت معلوماتى صحيحة فان الاعتراضات كانت على أساس أن الحفريات تمثل مصلحة قومية .

وأزيد على ذلك القول أنها تمثل مصلحة دولية .

ولكن هل هذا سبب لادانة تعاقدنا ؟

ان « اللورد كارنارفون » لم تكن لديه رغبة فى كسب أموال من وراء العقد ـ فأية أموال يتم الحصول عليها من وراء العقد لن تذهب إلى جيبه . وإنما مقابل جزء من النفقات التى تكبدها . .

* * *

كانت حملة الصحافة المصرية والعالمية عامل ضغط على وزارة الأشغال مما جعلها ترى أنه لابد من توزيع أخبار الكشف على كل الصحف طبقا لقاعدة المساواة . . لا الأحتكار !

طلبت الوزارة من كارتر السماح لمجموعة من الصحفيين بزيارة المقبرة يوم ٢٦ من يناير ١٩٢٣ فوافق بعد الحاح مستمر من جانب الوزارة ورجال مصلحة الآثار .

ولم يجد عبد الحميد سليمان باشا وكيل وزارة الأشغال مفرا من

الاجتماع باللورد كارنارفون يوم ٧ من فبراير بعد شكوى الصحفيين إلى قلم المطبوعات التابع لوزارة الداخلية .

حضر الاجتماع روس تايلور المستشار القانونى فى وزارة الأشغال وكين بويد مدير الادارة الأجنبية بوازارة الداخلية وجلين عن دار المندوب السامى البريطانى ولاكو مدير مصلحة الآثار .

بدأ عبد الحميد سليمان باشا الاجتماع بأن طلب من اللورد إقامة إتصال بالصحفيين أو إذاعة بيان عليهم يوم أفتتاح المقبرة .

إحتج اللورد كارنارفون بأنه ليس ملتزما بشىء أزاء الصحافة .

وقال :

ـ كل إهتمامى يدور حول ضمان سلامة محتويات المقبرة وكنوزها لا أشباع نهم الصحافة للأخبار .

وأضاف :

ـ سئمت الموضوع كله وخدش أخر يدفعنى إلى الكف عن العمل فى المقبرة بقية العام ..

كتم لاكو غضبة وقال :

ـ أثارت الدعاية التى صاحبت الكشف إهتماما دوى فى مصر كلها .

للمرة الأولى يهتم المصريون جميعا بكنوزهم القديمة . وأكدت الصحف أن هذه ثروة قومية . ومن حق شعب مصر ـ قبل غيره - معرفة المعلومات الكاملة عنها .

أيد عبد الحميد سليمان باشا هذا الرأى .

ولكن اللورد إعترض .

وإمتد النقاش والجدل فدعا عبد الحميد سليمان باشا الحاضرين إلى أستراحة وفنجان شاى .

إستؤنف الاجتماع للوصول إلى إتفاق يرضى اللورد الذى قال ان ترخيص التنقيب يعطيه وحده حق إذاعة أنباء الكشف والأبحاث العلمية .

وأخيرا إتفق على أن يحضر ممثل قلم المطبوعات التابع لوزارة الداخلية إفتتاح غرفة الدفن المحدد له ١٧ من فبراير ١٩٢٣ ويبعث من الأقصر إلى القاهرة ، بقطار المساء بيانا رسميا عن محتويات المقبرة يمليه اللورد كارنارفون .

وتبلغ وزارة الدخلية هذا البيان للصحف المحلية فى اليوم التالى بعد أن تكون « التايمس » قد سبقت بالأخبار .

قال اللورد وهو يعلن موافقته :

ـ لا يهمنى ماذا تفعلون ما دمتم تبعدون عنى مندوبى الصحف الملاعين !

وإتفق على أن يكون عدد الزائرين للمقبرة ٢٠ شهريا بترخيص من وزارة الداخلية يوم الثلاثاء وهو يوم عطلة المنقبين الأسبوعية .

* * *

شكا اللورد كارنارفون لجلين الذى يمثل دار المندوب السامى البريطانى من ضعف الحكومة المصرية مع الصحافة وعدم حصوله على التأييد الكافى من دار المعتمد .

ويكتب جلين إلى رئيسه اللورد قائلا :

ـ سمعت فى الأقصر والقاهرة أن كارنارفون يضع دار المندوب السامى البريطانى فى جيبه وأن اللنبى يستمع إلى كل ما يقوله اللورد .

* * *

ويشكو عبد الحميد سليمان باشا لفيرنيس السكرتير الشرقى لدار المندوب السامى ما يلاقيه من كارنارفون والصحافة قال :

ـ لولا الأزمة الوزارية التى تعصف بمصر هذه الأيام لزرت دار المندوب السامى . إنى فى حيرة : أمامى الشيطان أواجهه أو أغرق فى أعماق البحر .

أريد الالهام من اللورد اللنبى وأتمنى أن يتدخل .

ولكن اللورد لا يتدخل ويترك الصراع ملتهبا بين اللورد كارنارفون وكارتر ، مع الصحافة البريطانية . . قبل غيرها !!

أصدرت إدارة المطبوعات بلاغا رسميا تحاول فيه إرضاء كارنارفون وكارتر . . والصحافة وشعب مصر والسياح أيضا .

قال البلاغ :

« قررت وزارة الأشغال العمومية إرضاء الجمهور الراغب فى الأطلاع على ما استكشف من الآثار بوادى الملوك بدون وقوع تعطيل فى أعماق الحفر الواجب السير فيها بأقصى ما يمكن من السرعة على أن يراعى منذ الأن فصاعد الاسلوب الأتى فيما يختص :

(١) بالبلاغات للصحف .

(٢) بزيارة القبر .

أولا : لايسمح للصحفيين أو مراسلى الصحف أو الزوار بزيارة القبر من تلقاء أنفسهم بل عليهم أن يقدموا طلبا ألى وزارة الأشغال ثم يزورون القبر معا لفيفا واحدا فى أيام معينة .

وسيكون عدد الطلبات لكل لفيف محددا بالنظر إلى ضيق المكان .

وثانيا : يتلقى مندوب قلم المطبوعات ! بالحكومة المصرية من رئيس مفتشى مصلحة الآثار المقيم بالأقصر جميع البيانات العامة عن سير العمل وما يحتويه القبر وتبلغ هذه البيانات بعد ذلك إلى قلم المطبوعات لابلاغها للصحف على السواء .

وفيما خلا هذا البلاغ الرسمى العام سيكون لمتولى أعمال الحفر الحرية التامة فى أن يوافى أية جريدة أو أية مجلة يختارها بجميع البيانات العلمية والصور التى يرغب فى نشرها .

وليس لمصلحة الآثار أن تتدخل فى هذا الشأن بين متولى الحفر والصحف .

* * *

كتب كارتر محتجا إلى لاكو :

« تعاقدنا مع « التايمس » لنحمى أنفسنا من الحاح مراسلى الصحف ونتعامل مع صحيفة واحدة ذات توزيع عالمى ، بدلا من أن نتعامل مع عدد كبير من ممثلى الصحف المنفردين .

وأنى مضطر للدفاع بكل السبل الممكنة عن نفسى وعن المصالح التى أمثلها .

وسيعرف العالم مدى عدم كفاية الحماية التى تقدمها الحكومة لاصحاب الامتيازات وعدم إهتمامها بأولئك الذين يعملون للمصلحة العلمية وبتشجيعها المستمر لقطاع من الصحافة كسب إستنكارا من العالم المفكر للطريقة الممقوتة التى هاجم بها إتفاق التايمس لاغراضه الخاصه .

ولكل هذه الأسباب ، فانه من الواضح أنه من مصلحة الحكومة

المصرية أن يتوافر للوكيل الحماية فيما يتعلق بهذا التعاقد .

والطريقة الوحيدة التى يمكن بها توفير الحماية لـه لاتـكون بـأصدار البيان المقترح وإنما بالاعتماد عليه فى إظهار كل المعلومات إلى العالم من خلال الهيئة التى إقيمت بالفعل . وإنى أثـق مخلصـا أن مـا قلتـه سيضع الحكومة فى الأتجاه الذى تكمن فيه أفضل مصالحها .

وقد حاولت طوال الوقت أن أكون متهاونا وما من أحـد يـريد تسـوية أكثر منى ولكن اذا أصرت الحكومة على نـواياها فـانى سـأكون مضـطرا لاتخاذ إجراء ضدها .

ولا أدافع فى هذا الشأن عن مصالح رؤوسائى ، وإنما عـن مصـالح العالم العلمى كله » .

* * *

وصفت صحيفة « الديلى تلجراف » البريطانية : سباق الصحفيين فى وادى الملوك :

« كان الطريق المؤدى إلى الوادى الضـيق العميـق الـذى تحيـطه الصخور . . . مزدحما بالعربات والحيـوانات مـن كل نـوع يمـكن تصوره .

وكان المرشد والصبية من أصحاب الحمير وباعة العـاديات الأثـرية وباعة الليموناده يثيرون ضجة هائلة . . .

وعندما أزيلت أخر الأشياء من الممر بدأ مراسلو الصحف إنـدفاعهم المتحمس ، عبر الصحراء إلى ضـفاف النيـل ، على ظهـور الحميـر والخيول والجمال ، وفى المركبات الـرملية ، فى سـباق للـوصول قبـل الأخرين إلى مكاتب التلغراف » !

وعبر فكرى أباظه عن هذا كله فكتب يقول :

هناك فى ذلك الوادى المفعم بالخفايا والاسرار - وادى الملوك - قامت « حكومة » مطلقه مستبده على إنقاض الحكومة الفرعونية القديمة . والحكومة المصرية الحديثة هى حكومة اللورد كارنارفون والمستر كارتر ليمتد !!

هل ينازعها منازع داخل حدود « الوادى »

أليست هى التى تنقب بلا رقيب وتنقل بلا رقيب وتنظم بلا رقيب .

أليست هى التى تسمح وتشرح ، وتمنع وتمنح . .

أليست هى التى تدعو وزراء مصر - منا منها وكرما - لرؤيه ملوك مصر . وموظفى وزارة الأشغال ومصلحة الآثار . لمشاهدة الآثار !!!

رأس مال هذه الحكومة أيها القراء رأس مال عظيم . انها تتاجر متاجرة رابحة فى الجماجم والعظام والأموات . جماجم وعظام أجدادنا رحمة الله عليهم . . وعلينا !!!

يستغل اللورد كارنارفون رفات أجدادنا أمام عيوننا ويأبى ذوقه السليم . ووجدانه الكريم أن يتكرم على الأحفاد بأخبار الأجداد ففى أى قرن نعيش ولأى حكومة نخضع .

أكتب ماأكتب الأن والمعركه بين الصحفيين دائرة فى مقبرة ، سيتطاحنون داخل القبر بالجواهر واللالىء والعظام الملوكية ، قنابلهم التى يتقاذفونها جماجم المرحومين ، وسهامهم أذرعتهم ونبالهم عيونهم فالضحايا نحن - وهم !!

تالله لو كانت جثة الملكه « فيكتوريا » هى قبلة الأنظار وتطلع إليها الأجنبى . لسار على جثث الانجليز جميعا . ولعبر بحارا من دمائهم .

قبل أن يصل إليها وهى فى مـرقدها الأخيـر . . ذلك لأن النفـوس غيــر النفوس . والحكومة غير الحكومة !!!

صدقت شريعه الهنود . انهم يحرقون الموتى . تـكريما لهـم ودرأ للخطر عن أجسادهم الهامدة فلنحترق أيها المصريون امواتا . فلنحتـرق أحياء ذلك أولى واجدر . والسلام » .

وكان عنوان فكرى أباظه : حكومة فى حكومة !

سحر الماضى

اثار الكشف دويا سياسيا فى مصر والعالم فرض حضارة مصر على الصحافة والاذاعة والسينما فلم يكن التلفزيون قد ظهر بعد !

كان يسود مصر شعور بخيبة الامال ، ويلفها احساس بالفشل ، ويبدو المستقبل حافلا بالكآبة للشعب كله .

كان الملك أحمد فؤاد يحكم مصر .

أختاره الانجليز عام ١٩١٧ أثناء الحرب العالمية الأولى . فلما انتهت الحرب قامت ثورة ١٩١٩ تريد الغاء الحماية البريطانية وتطالب بالاستقلال .

قبض على سعد زغلول فى ٨ من مارس ١٩١٩ ونفى الى مالطه وعين الفيلد مارشال اللنبى معتمدا بريطانيا على مصر .

وكان اللنبى قد قاد حملتين عسكريتين فى فلسطين وسوريا ودخل القدس فاتحا بعد هزيمة الاتراك .

وقد أطلق عليه زملاؤه فى الجيش البريطانى لقب « الثور » لعناده .

وكان اول ما طلبه « الثور » من الحكومة البريطانية الافراج عن سعد زغلول فوافقت . وأعلن اللورد النبأ فى ٧ من إبريل .

ولكن حدث الانقسام فى الوفد . وأختلف سعد زغلول وعدلى

يكن . وفشلت مفاوضات عدلى يكن رئيس الوزراء فى لندن لأن الانجليز اظهروا حقيقة نواياهم فى استمرار الاحتلال .

أمر اللورد اللنبى باعتقال سعد زغلول باشا ، وفتح الله بركات باشا ، وعاطف بركات بك ، ومصطفى النحاس بك وسينوت حنا بك ، ومكرم عبيد بك ، الى جزيرة سيشل وغادروا مصر فى ٣٠ من ديسمبر عام ١٩٢١ . وأعتقل الانجليز افواجا متتابعة من قيادات الوفد .

ولكن مصر لم تهدأ ورفض الزعماء قبول رئاسة الوزراة فاستقال اللورد اللنبى واضطرت الحكومة البريطانية الى اصدار تصريح ٢٨ من فبراير عام ١٩٢٢ باعلان استقلال مصر مع ٤ تحفظات .

وتولى عبد الخالق ثروت باشا رئاسة الوزارة المصرية ولكن اللورد اللنبى ظل صاحب النفوذ الاول والكلمة العليا فى مصر .

وبقى سعد ورفاقه معتقلين ـ بأمر الانجليز ـ رغم الاستقلال .

ولم يصدر الدستور لان الانجليز اعترضوا على بعض نصوصه الخاصة بالسودان . واعترض الملك فؤاد على النصوص الخاصة بحقوق الشعب !

وكان ظلام اليأس من المستقبل يحتوى مصر كلها .

وفجأة انبعث من اعماق الارض ضوء الماضى على هيئة اثار توت عنخ أمون .

اندفعت الكتابات الوطنية تحاول احياء الروح القومية ، وتثير كل القضايا .

كتب توفيق مفرج فى مجلة اللطائف المصورة برقية على لسان توت عنخ أمون الى سعد زغلول .

فى هذه البرقية يقول الملك المصرى :

« من المسجون فى قبر الى المسجون فى قصر

من فرعون مصر الى رجل مصر .

انا فى وادى الملوك وانت على جبل الملوك (كان سعد ايامها سجينا فى جبل طارق)

من توت عنخ أمون الى الزعيم الذى يحبه شعبى

٣٠ جيلا تنتظرك يازغلول ان حبك لمصر اشد حرارة من وادى الملوك . وكلانا أسير ياسعد » .

ويثير الدكتور محجوب ثابت ، الذى اصبح بعد ذلك نائبا فى مجلس النواب - قضية السودان من خلال تاريخ البلدين فى عهد الاسرة الثامنة عشرة عندما كانت مصر مالكة للسودان .

وتأخذ كل مصرى هزة الطرب والعجب - كما تقول الصحف - ويفخر المصرى ان يمت بالنسب الى اولئك العظام الذين دانت الشهرة لسطوتهم ، والى اولئك الصناع الماهرين الذين تركوا من بديع التحف ، ما يحدث - بعد ألوف السنين - بخبرتهم ، ومهارتهم ، وأبداعهم من كل فن وصناعة »

ويقول يوسف كدوانى من اسيوط على لسان الملك توت عنخ أمون :

« هزوا الاقلام أيها الكتاب .

وحركوا العواطف أيها الخطباء

ياشعبى لا تستكينوا على الذل . ولا تلينوا للحوادث ».

ويصور احمد الشيخ عضو مجلس مديرية الغربية توت عنخ أمون وهو يحاسب وزراء مصر .

« ان الملك الفرعونى يحيا بعقلية الاسرة الثامنة عشر التى افتتحت الشام والسودان فيقول لعبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء السابق :

- كم من الممالك افتتحتم ؟

يرد ثروت باشا :

- لقد اعلنا استقلال البلاد

ويبدو على فرعون الغضب:

- ومتى كانت مصر غير مستقلة . من الذى اعتدى على استقلالها ؟

ثروت باشا (وجلا)

- اعتدت انجلترا على مصر .

فرعون : ولم قبلت الوزارة وحالة البلاد هكذا ؟

ثروت باشا : جاهدت حتى اعلن استقلال البلاد .

الدكتور محجوب ثابت : ولكن السودان يامولاى ضاع .

فرعون : بأى وجه تتشرف بمقابلتى بعد ان نزعت روح مصر منها ؟

ويظل الملك توت عنخ أمون يحاسب الوزراء ثم يقول لهم :

- يلوح لى ايها الوزراء ان الرئاسة والزعامة فى مصر هى سبب الشقاء والبلاء فاقلعوا عن هذا .

ويسخر محمود رشاد رئيس المحكمة السابق فى الصفحة الاولى من الاهرام من انجلترا على لسان توت عنخ أمون الذى ينظر الى من حوله فى

افتتاح المقبرة ويسأل عنهم فيقدمهم له رجال الآثار باسمائهم وجنسياتهم بادئا باللورد وكارتر قائلا انهم من انجلترا .

يتساءل الملك :

- انجلترا ! ما سمعنا فى أيامنا باسم دولة مثل هذه الدولة .

يقول الاثرى :

- هى دولة عظيمة تكونت مع الزمن واصبحت الان صاحبة الحول والطول فى الدنيا

ويقدم له ملكة بلجيكا فيقول فرعون

- لم اسمع ايضا باسم بلجيكا مدة حكمى !

وهكذا .

* * *

ويعزى الاثرى المصرى سليم حسن شعب مصرفى انتهاك حرمة القبور قائلا فى صفحة الأهرام الاولى

« اذا كان فى نبش المخدع ما يؤلم روح الملك فان فيه ما يثير روحا جديدة فى أمة بأسرها .

وجاء الكشف الجديد مؤيدا بالبراهين القاطعة أننا شعب تاريخه من أمجد التواريخ ومدينة لا تقل عن مدنية أوروبا الحاضرة » .

وهبطت الجموع الى وادى الملوك لمشاهدة الاثار .. المثيرة .

ولم تكن هناك اماكن كافية لهذه الاعداد الضخمة .. فلم يكن يوجد فى الاقصر سوى فندقين : ونتر بالاس ، والأقصر .

واضطر الفندقان الى اقامة العشش والخيام فى الحديقتين المجاورتين لايواء النزلاء

ولأن صعيد مصر لا يتعرض للمطر فان احدا لم يرفع صوته بالشكوى لهذه الاقامة الصعبة !

واضطرت الحكومة المصرية لفتح مكتب بريد ، ومكتب صحفى ، وخط تلغراف جديد ، يصل المدينة بالقاهرة ثم بالعالم .

واستأجر الصحفيون كل « الفلوكات » فى المدينة ، والمدن المجاورة ، وأصبح سباقهم عبر النيل من الأقصر الى وادى الملوك وكأنه يمثل معركة النيل الجديد .

ولم تكن هناك وسيلة مواصلات من شاطىء النهر الى الوادى على امتداد ستة أميال فركب الصحفيون الحمير !

وأضيف قطار آخر من القاهرة الى الأقصر اطلق عليه قطار توت عنخ أمون .

وبدأ المصريون المقيمون خارج مصر ، وبعضهم يدرس فى الخارج يكتب الى صحف القاهرة قائلين :

« ان عملنا ـ كما تصوره صحافة العالم ـ قاصر على حراسة المقبرة وخدمتها ، لأننا لم نكتشف المقبرة ، ولا نحفظ ولا نرمم شيئا من أثارها . ان الاجانب وحدهم يقومون بكل العمل ـ

أننا لم ندرس علم المصريات والاثار . وقد حان الوقت للتخصص فى ذلك . وأخذت بعض صحف مصر تطالب ببيع ذهب المقبرة لسداد ديون مصر التى أدت الى الاحتلال البريطانى » .

وأعلن الملك فؤاد فى برقية لكارنارفون وكارتر ان المصريين سيجنون « الربح » من هذا الكشف . . فأن كلمة « الربح » سيطرت ، فى البداية ، على مشاعر بعض المصريين !

تدفقت الافواج . . السياحية على الآقصر ، فان الشعوب المختلفة وبالذات فى أوروبا وامريكا ، جنت بهذه الاثار .

وحملت السفن الضخمة ، عابرة المحيطات ، السياح الامريكيين ، والانجليز ، واليابانيين الى مصر . وقالت الاحصاءات ان اكثر من نصف ركاب السفن المتجهة الى هذه المنطقة من العالم يقصدون . . الأقصر !

وأصبحت الصحف تنشر كل يوم اسماء القادمين الى المدينة ، كما تنشر الصحف الاقتصادية اسماء البواخر التى تصل الى الموانى .

فى اسبوع واحد كان بين القادمين لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا الذى وافق على اصدار تصريح ٢٨ من فبراير عام ١٩٢٢ بأعلان استقلال مصر . ووصلت فى الاسبوع نفسه مغنية اوبرا وممثلة مسرح وعشرات من اعضاء الكونجرس الامريكى . وزار المقبرة ايضا أثنان من كبار الصحفيين البريطانيين بيفربروك وروذرمير

وأصبح السياح مثل الطيور التى تتجه جنوبا فى فصل الشتاء ، فقد وصل الجميع الى الأقصر . بالسكة الحديد والبواخر النيلية . وجذبت المقبرة : السياح الذين اعتادوا زيارة بيت لحم ، مهد السيد المسيح فى عيد الميلاد .

كان السياح يصلون الى المقبرة فى الخامسة والنصف صباحا على ظهور الحمير والعربات والسيارات .

وأعلنت شركة عربات النوم الامريكية أن اللورد كارنارفون تعهد بالسماح للسياح الامريكيين بمشاهدة المقبرة .

ولم يستطع اللورد تكذيب ذلك فإن الحكومة المصرية أعلنت أنها ستوفر للسياح الراحة وطيب الاقامة وسهولة الانتقال .

وانتعشت أعمال وكالات السياحة ، والسفر ، والمرشدين السياحيين ، والأثريين ، والفنادق وتجار الآثار ، ومزيفيها ، ووسطائها أيضا ! وأعلنت بعض شركات السياحة أنها حصلت لعملائها على حق دخول المقبرة دون أن تتصل بكارتر أو تحصل منه على تصريح !

وعلقت صحيفة « فيلادلفيا ليدجر » الامريكية على هذا كله بقولها :

« حقق توت عنخ أمون لمصر الحديثة ، ما لم يحققه فى حياته وزمانه » !

وكان الأغرب من هذا كله وصول بعض أعضاء الكونجرس الأمريكيين إلى مصر .. بعضهم يريد من القبر مساعدة فى الانتخابات .

وبعضهم يكتب لكارتر قائلا ان الناخبين سيأسفون لأننى قطعت ٧٦٠٠ ميل وجئت الى هنا دون أن أطل على صاحب الجلالة » !

وتلقى كارتر ألوف الطلبات التى تتضمن الرغبة فى زيارة الموقع .. ونصائح عن طريقة الحفر ، والتماس إرسال بعض الآثار من الذهب .. أو حبات من تراب أو رمل المقبرة ..

وتنكر الموظفون المصريون والرسميون والصحفيون على هيئة

سعاة التلغراف وكعمال مشتركين فى عملية الحفر ليحظوا بنظرة إلى حجرة الملك توت .

وكان الجميع يقفون خارج المقبرة ساعات طويلة والحرارة ٤٥ درجة مئوية .يلتقطون صور العمال وهم ينقلون كل أثر .

وأدعى أحد أقباط مصر واسمه بقطر اثناسيوس أنه الوريث شرعا لكنوز توت عنخ أمون .

قال :

« عودوا الى أوراق البردى التى توجد فى المقبرة لتتابعوا الأنساب .

وقد أمكن فى السنوات الاخيرة معرفة سلالة الامبراطور شارلمان الذى مات فى أوائل القرن التاسع ».

واضطرت السيدة كمبول التى تتبعت سلالة شارلمان فى ايرلندا الى التصريح لصحيفة « دبلن هيرالد » بأنها مستعدة لفحص اوراق البردى لتتبع انساب توت عنخ أمون .

وقالت الصحيفة ان السيدة كمبول اشتهرت بالجلد والصبر !

قال ارثر ميرتون مراسل صحيفة التايمس :

« أصبحت الأقصر كلها بلاطا لصاحب الجلالة .

لقى التكريم فى كل مكان وتردد اسمه على جميع أنحاء المدينة ودوى فى الشوارع ودار به الهمس فى الفنادق .

وفى المتاجر المحلية يعلن توت عنخ أمون عن كل شىء : الفن والقبعات ، والعجائب ، والصور وربما يصل الأمر الى الاثار .

ووضع كل فندق فى الأقصر فى قوائم الطعام صنفا « على طريق توت ».

ولكى يكون لك شأن فى طيبة عليك أن تبين الصلة بالملك القديم .

ان الناس - الذين لا يعرفون بعضهم الا معرفة سطحية - يشتبكون فى الحديث عن الاحلام التى تراءت لهم أمس عن توت عنخ أمون .

وهنا أيضا رقصة توت عنخ أمون » . وقال

« ان توت عنخ أمون عاد ملكا حيا يحكم الأقصر » !

فى كتابها عن « توت عنخ أمون » قالت السيدة كريستيان ديروش نوبل كور أمينة القسم المصرى فى متحف اللوفر الفرنسى وترجمة أحمد رضا ومحمود خليل النحاس :

« حل الكد والاعياء بالمنقبين من جراء الطلبات المتلاحقة التى تنهال عليهم من عظماء الناس الراغبين فى زيارة المقبرة ، أو من سياح شديدى العناد واللجاجة . كان كل انسان يريد الفرجة . ويشعر - عن حسن نية - بالاساءة تنال منه اذا لم يستقبل بالحفاوة اللازمة . ولم يعرض عليه كل ما استخرج من المقبرة ،

كان الجميع يريدون دخول المقبرة ، وهبوط الدرجات المؤدية الى الجدار الذى يحمل اسم الملك ولقبه .

وكان كل انسان يريد ان ينفذ ، بأى ثمن ، الى داخل هذا النطاق الذى تبلورت بين جدرانه المطلية بالملاط عمل الاف السنين التى احتفظت لهؤلاء الرواد برسالات خيالية رائعة .

ولم يسلم العلماء المنقبون من متاعب الرجوات والاحتجاجات والتدخلات والحملات الصحفية

وتخلف عن كل هذه الضجة ، المجد والفخار العالمى لتوت عنخ أمون »

* * *

تساءلت صحيفة الديلى اكسبريس البريطانية :

ـ ما هو حديث السهرة فى لندن هذه الايام ؟

وأجابت الصحيفة :

ـ ان توت عنخ أمون سيظل حديث الناس خلال القرن العشرين .

* * *

لم يتوقف الاهتمام بآثار توت عنخ آمون .

أثار الكشف اهتماما ضخما فى كل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا .

أخذت الصحف تخصص كثيرا من أعمدتها يوميا لنشر انباء الكشف .

وتوجه مندوبو الصحف الى كل مَن يدعى معرفة الآثار المصرية القديمة لمحادثته ونشر أآرائه

قالت صحيفة « نيويورك تايمس » : « أصبح الامريكى العادى يعرف عن الملك توت عنخ آمون وزوجته وميلاده وعمره كما يعرف لعبة البيس بول . . وقالت ان الكشف يفوق كهف على بابا ومصباح علاء الدين ، وأعلن العالم الأثرى جيمس برستد ان الاكتشافات الأثرية التى تمت فى اليونان تعتبرشيئا مبتذلا اذا قارناه بتوت عنخ آمون .

وفى البيوت ، والفنادق ، والقطارات ، ودور الملاهى ، وفى كل مكان ، أخذ الناس يتحدثون عن الملك العظيم ».

وفوجئت مكاتب السجل التجارى بطلبات تسجيل « ماركة توت عنخ آمون » على بضائع كثيرة ، وأقيمت عدة قضايا بين الامريكيين كل يحاول احتكار الاسم لسلعته .

وأعلن فندق بنسلفانيا ان قائد الفرقة الموسيقية هو الامريكى الوحيد الذى يستطيع عزف موسيقى توت .

وأثرت صور الآثار المصرية فى زينة المرأة والفنون الجميلة .

وازدحمت أقسام الآثار المصرية فى المتاحف بالزائرين من الخياطين وصناع الحلى حتى الحلاقين للقيام بثورة فى الملابس والازياء .

ونقشت مصانع الأدوات الخزفية الآثار المصرية على مصنوعاتها .

وظهر شعار مصر فى كل مكان .

فى مسرح بالاس قدمت عارضات الأزياء ملابس توت .

وعلى شاطىء ميامى ظهر ثوب استحمام توت .

والمظلات والعصى عليها اسم ملك مصر ، وأرسلت احداها للرئيس الامريكى .

وباع محل « ماسى » اكبر محلات نيويورك « عرائس توت »

وفى شارع ٣٨ بنيويورك عرضت حقائب توت .

وفى معرض الزهور فازت زهرة قرمزية بجائزة الملك توت ، وبيعت بذور هذه الزهرة بخمسين دولارا للرطل الواحد .

وفى مقابر نيواورليانز أعلن « الحانوتية » عن الدفن بطريقة توت .

وظهرت « غلاية توت » وسجاير توت ، واضطر المجلس التشريعى فى ولاية ألاباما الى اصدار تشريع يعاقب من يزور منتجات الملك المصرى !

وحذر رئيس اتحاد مصممى الازياء من المبالغة فى تصميم الازياء على طريقة ملك مصر فأن زيا أشبه بالمومياء كان يؤدي الى ضيق التنفس لمن يرتديه .

وأخرج مدير متحف المتروبوليتان الأشياء التى اكتشفها المليونير دافيز قرب المقبرة الملكية وعرضها المتحف لاغراء الزائرين حتى ظن الناس أن هذه القطع نقلت مباشرة من قبر الملك الى نيويورك .

وقلدت متاحف امريكا هذه الفكرة وتسابقت متاحف بروكلين وسنسناتى وكارنيجى وسان دييجو فى عرض ما لديها من الآثار المصرية .

وكانت باريس رائدة موضة ملابس المرأة ، ولكن الامريكيين الذين سافروا الى باريس - بعد اكتشاف المقبرة - لاحظوا أن أمريكا سبقت فرنسا فى موضات ازياء الفراعنة . .

وقدم مصمم الأزياء الفرنسى ليون باسكت مجموعة أزياء ايزيس فان تأثير المقبرة كان أوضح ما يكون فى عروض الأزياء .

وقدمت موضة كليوباترا وكأنها خرجت من بين جدران المقبرة بزى جديد .

وفى لندن أعلن المعرض الامبراطورى عن تقديم نموذج مصغر للمقبرة فزار المعرض ٢٠٠ الف يوم الافتتاح .

وانتقل التأثير الى الادب ، فظهر الفنان بوريس كارلوف فى أدوار الرعب التى تجرى فى أجواء مصرية .

واستمر تأثير الكشف فى الروايات فقدمت فيكتوريا هولت « لعنة الملك »

وقدمت انجلترا رواية « الغول »

وقدمت برلين « انتقام فرعون »

وفى هوليود رواية « المومياء » ثم « يد المومياء » عام ١٩٤٠ و« لعنة المومياء » عام ١٩٤٥ وفى عام ١٩٧٤ ظهرت رواية « قلعة كارنارفون » .

وتلقى اللورد برقيات من مؤسسات فى اليابان وسويسرا تطلب حق تسجيل رسوم المقبرة واستغلالها ولكن اللورد اعتذر قائلا أن الرسوم ستكون متاحة للجميع .

* * *

رأت مصر بعد حوالى نصف قرن تقريبا عرض هذه الآثار فى دول العالم المختلفة وتوجيه الدخل لانقاذ معبد أبو سمبل واثار النوبة .

عرضت خمسون من هذه الاثار فى اليابان عام ١٩٦٥ فى معرض نظمته صحيفة « أساهى » وفى باريس فى القصر الصغير وقد نظمته الحكومة الفرنسية عام ٦٧ وفى الاتحاد السوفيتى .

وجاء الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون زائرا لمصر عام ١٩٧٤ فطلب من الرئيس المصرى انور السادات عرض هذه الاثار فى الولايات المتحدة تعبيرا عن النوايا الحسنة والعلاقات الطيبة بين البلدين بعد أن ظلت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة بينهما عدة سنين .

وعقد اتفاق بذلك وقعه كل من اسماعيل فهمى وزير خارجية مصر ونائب رئيس وزرائها وهنرى كسينجر وزير الخارجية الامريكى .

ولكن مصر طلبت التأمين على هذه القطع الاثرية كما حدث فى كل الدول .

ولم يكن القانون الامريكى يسمح بأن تدفع الحكومة الامريكية اقساط تأمين لأحدى الشركات أو تتعهد بذلك .

وأصرت مصر ..

وكان الحل فى اصدار قانون ، وافق عليه الكونجرس الامريكى ، يسمح لمجلس الفنون والانسانيات بدفع تعويض قدره ١٥٠ مليون دولار اذا أصيبت هذه الاثار بأضرار .

واستقال نيكسون وتولى الرئاسة الامريكية جيرالد فورد فوقع قانونا بذلك فى ٢٠ من فبراير عام ١٩٧٥ .

وجاءت الى ميناء الاسكندرية سفينتان حربيتان أمريكيتان من الأسطول السادس الى ميناء الاسكندرية لتنقل هذه الاثار الى الشاطىء الامريكى .. وهذه أول مرة فى تاريخ الاسطول السادس يقوم بشحن مجموعة من الاثار .

عرضت الاثار فى ٦ مدن امريكية هى واشنطن ، ونيويورك ، وشيكاغو ، ونيوأورليانز ولوس انجلوس وسياتل .

ومن الولايات المتحدة نقلت الاثار بالسيارات الى كندا .

وتولت ٦ طائرات المانية شحن هذه الاثار لتطوف مدن المانيا الغربية .

وتتابعت عروض الدول التى تطلب اثار توت عنخ آمون .

ولم تتوقف هذه العروض ابدا !

هنيئا .. للعيون التى رأت

لم يكن كارتر مستعدا لهذا الاكتشاف الضخم .

ان القطع الآثرية ظلت فى مكان لايدخله الهواء أكثر من ٣٠٠٠ سنة .. ودخول الهواء سيؤدى الى تفتتها وربما تتحول الى تراب ..

كانت كل قطعة فى حاجة الى ترميم لتتماسك قبل نقلها من مكانها ..

وعلى سبيل المثال فان ثوبا ملكيا واحدا .. وفيه مئات من الخيوط الذهبية ، يحتاج الى عمل شهرين كاملين حتى يمكن نقله .

وكان كارتر فى حاجة الى خبراء فى الكتابة الهيروغليفية يقرأون ما كتب على الجدران . وفى حاجة الى معمل كامل .. وطاقة كهربائية لأن الكشف تم على ضوء مصابيح الغاز !

وكان فى حاجة الى من يسجل كل اثر برموزه .. والى تصوير كل تحفة قبل نقلها .

وكان فى حاجة الى غرفة تحميض لطبع هذه الافلام ..

كان كارتر فردا وأثريا واحدا امامه ٥٠٠٠ قطعة آثار عمر كل منها اكثر من ٣٠٠٠ سنة .

ففى الغرفة الأولى - فقط وقد اطلق عليها الغرفة الخارجية - تكدست كل الامتعة الشخصية للملك وعددها ٥٠٠ قطعة ، وهى التى

يحتاجها فى العالم الآخر . . بينها عربات الملك وسلاحه وأثاث مغشى بالذهب ، ومطعم بالعاج والزجاج الملون ، وعلب الجواهر والملابس مكومة فوق بعضها . وصورة للملك مع زوجته . وصورة توت عنخ آمون جالسا - دون اكتراث - على عرش آخر بينما تقوم الملكة بدهان كتفه بالزيت ، وبينهما قرص الشمس تنتهى اشعته بأيد انسانية رمز عبادة اتون التى مارسها اخناتون ، فى عاصمته تل العمارنة .

ووجد قوس الصيد المحلى برؤوس تسعة من الاسرى وصورة للملك وبصحبته الملكة يصيد الطير ويقف الى جانبه شبل اسد . والزينة التقليدية للأمتعة والتحف الملكية . . . . .

* * *

فكر كاتر فى الاستعانة بمصلحة الآثار ورجالها ولكنه وجد الموقف قد تغير تماما فى هذه المصلحة .

مات احد ابناء ماسبيرو مدير المصلحة فى الحرب العالمية الأولى فساءت صحة الأب .

واضطر للاستقالة والعودة الى فرنسا حيث توفى فى ٣٠ من يونيو عام ١٩١٦ وعمره سبعون عاما اثناء حضوره الجلسة الاخيرة لمؤتمر الشرقيين فى باريس .

وتولى ادارة مصلحة الآثار فرنسى آخر هو بيير لاكو الذى يجيد اللغة المصرية القديمة وتخصص ايضا فى آثار مصر واصدر أول كتاب عنها عام ١٨٩٤ .

وظل لاكو مديرا لمصلحة الآثار حتى عام ١٩٣٦ ثم عاد الى فرنسا ليشغل كرسى شامبليون فى كلية فرنسا بباريس ويوالى نشر ابحاثه ودراساته عن آثار مصر حتى عام ١٩٥٨ ومات عام ١٩٦٢ فى سن التسعين .

وكانت سياسة لاكو مختلفة تماما عن ماسبيرو .

انه يرى الاحتفاظ بآثار مصر .. داخل مصر ..

وهو ـ فى البداية ـ يشك فى كارتر .

ورأى كارتر ألا يستدعى احدا من رجال المتحف البريطانى فى لندن مع انهم اكثر دراية وخبرة .

وكان السبب فى ذلك الخوف من ان ينسب هؤلاء كل شىء لانفسهم . ولم يبق امام كارتر إلا متحف المتروبوليتان فى نيويورك .

***

أنشىء المتروبوليتان عام ١٨٧٠ اقيم فى ضاحية مانهاتان بمدينة نيورك . أسسه عدد من كبار رجال المال والصناعة فى المدينة ، ويختلف عن كل المتاحف الكبرى فى ان الملوك والنبلاء لم ينشئوه ولم يجمعوا له التحف بل اهداها واقرضها له ، الى الابد ، الامريكيون الأثرياء !!

وفى المتحف الآن ٣ ملايين تحفة فنية تمثل التطور وفيه اكبر مجموعة من التحف والآثار المصرية والاسلامية فى اوروبا وامريكا . وبه الف موظف وعامل و ١٩ جناحا وقسما .

وهو أحد ٦ متاحف كبرى فى العالم الغربى هى المتحف البريطانى فى لندن ، والهيرميتاج فى لننجراد ، واللوفر فى باريس ، وبرادو بمدريد ، والفاتيكان فى روما ..

وقد أهدت مصر إلى المتحف معبد « دندور » تقديرا لمساهمة الولايات المتحدة فى إنقاذ آثار النوبة كما أقيم به معرض آثار توت عنخ آمون عام ١٩٧٨ .

وكان متحف المتروبوليتان فى أوائل القرن ثريا . . ترك لـه صـاحب ملايين اسمه جاكوب روجـرز ١٠ مـلايين دولار يسـتفيد بـريعها فى شراء الآثار .

أنشا هذا المتحف قسما للآثار المصرية عام ١٩٠٦ عهد بإدارته إلى ليجو الذى طلب إلى أرثر ميس أن ينقب لحسابه عن الآثار المصرية . وكان المتحف ينفق سنويا ٦٠ ألف جنيه للبحث عن هذه الآثار ، ويدفع ٤٠ ألفا للمطبوعات الأثرية عن مصر بينما ميزانية مصلحة الآثار المصريّة ٤٧ ألف جنيه تدفع منها مرتبات الموظفين وتكاليف البحث عن الآثار وصيانتها وترميمها !

* * *

وكانت هناك أسباب كثيرة دفعت كارتر للاستعانة بمتحف المتروبوليتان.

أولها ان كارتر وكارنافون لديهما عـلاقات مـالية مع هـذا المتحف ظلت سرا لسنوات طويلة .

وثانيها ان رجال المتحف سـاعدوا كارتـر فى الـوصول الى اكتشـاف المقبرة عندما اطلعوه على ما قام به وينلوك .

وثالثها ان رجال المتحف لديهم الخبـراء الـذين يصلـحون للعمـل المطلوب : التصوير والتـرميم ، الحفـظ ، تـرجمة النصـوص

الهيروغليفية ، وعدد منهم يقيم فى الأقصر وصعيد مصر ، ينقب عن الآثار .

وافق متحف المتروبوليتان على ان يضع امكاناته ، ورجاله والأمناء العاملين فى القسم المصرى بالمتحف سواء كانوا فى مصر او نيويورك فى خدمة كارنارفون وكارتر والكشف الجديد .

وهكذا أصبح لدى كارتر فريق من الخبراء ..

أرثر ميس خبير حفظ الآثار .

هارى بيرتون أفضل مصور للآثار وكان اسطورة عمره يجمع بين العلم والفن فى كل صورة .

جيمس هنرى برستد استاذ علم المصريات بالمعهد الشرقى فى شيكاغو .

والسير آلان جاردنر ـ البريطانى ـ أستاذ الكتابة الهيروغليفية وخبيرها العالمى الأول فى ذلك الوقت .

وانضم اليهم الفريد لوكاس رئيس قسم الكيمياء بمصلحة الآثار المصرية ..

ولم يكن ذلك عملا خيريا من المتحف تشجيعا للبحث عن الآثار المصرية ، بل كان عملية دقيقة تمت بحسابات هدفها ان يحقق كل منهما أقصى مايمكن تحقيقه من المكاسب الفنية والمالية والتاريخية ، فان الكشف لم يحدث من قبل فى تاريخ الآثار ، او الفن ، فى أى من بلاد الدنيا .

وكان المتحف على يقين من انه بعد حصول اللورد وكارتر على نصف

الآثار فانهما سيقدمان بعضها هدية للمتحف تقديرا لمساعداته القيمة .

* * *

سمحت مصلحة الآثار باستخدام قبر سيتى الأول وقبرين مجاورين كمعامل للتصوير وترميم الآثار وحفظها ، وأطلق عليها اسم « الورشة » .

واشترى كارتر بابا من الحديد وزنه طن ونصف طن لاغلاق مقبرة توت عنخ آمون وأدوات كيماوية لترميم الآثار .

واصبح مشهدا مثيرا نقل قطعة اثرية من مقبرة توت عنخ آمون الى قبر سيتى الأول لتصويرها .

كانت الآثار تنقل على « نقالة » وكأنها إنسان مريض .

وكان السياح يلتقطون مئات الصور لهذه العملية المثيرة . !

* * *

كان يرأس الوزارة المصرية منذ ٣٠ من نوفمبر ١٩٢٢ ، أى منذ اليوم التالى لافتتاح المقبرة رسميا محمد توفيق نسيم باشا ، الذى لم تعمر وزارته سوى عشرة اسابيع سلمت خلالها للانجليز بالتنازل عن نصوص الدستور الخاصة بالسودان .

وكان اسماعيل سرى باشا يشغل منصب وزير الاشغال . .

ولكن أزمة وزارية ظهرت مرة اخرى بسبب مشروع الدستور المصرى .

وجه الانجليز انذارا الى الملك فؤاد لحذف المواد الخاصة بالسودان فى مشروع الدستور .

قبل الملك الانذار وحذف ما طلب الانجليز حذفه .

استقال محمد توفيق باشا رئيس الوزراء يوم ٩ من فبراير ١٩٢٣ بعد ان خضع للملك والانجليز

حدد اللورد كارنار فون يوم ١٧ من فبراير ١٩٢٣ لافتتاح غرفة الدفن . وهو يوم كانت فيه مصر بغير وزارة . . تماما كما حدث يوم ٢٩ من نوفمبر ١٩٢٢ عند افتتاح المقبرة نفسها فان وزارة مصر فى ذلك اليوم كانت قد استقالت ، ولم تشكل وزارة جديدة . . بعد ! ومن الغريب ان تتكرر المصادفة مرتين !!

* * *

جاء مئات المصريين والسياح الى المقبرة منذ الصباح الباكر على ظهور الحمير ، والخيل والعربات ، وسيرا على الاقدام . . كل يريد اقرب مكان الى المقبرة ليشاهد الحدث الضخم الفريد فى التاريخ !!

فى الغرفة الامامية اعدت المقاعد لكبار الضيوف .

تخلف الملك أحمد فؤاد عن الحضور .

وكان مقررا دعوة عشرين فقط ولكن الرقم تضاعف الى اربعين جلسوا فى صفوف متراصة وكأنهم يشهدون مسرحية . . وركزت الاضواء على جدار غرفة الدفن !!

ووصل اللورد اللنبى وقرينته واثنان من الامراء عمر طوسون ويوسف كمال ، وخمسة من رؤساء الوزارات السابقين حسين رشدى ، ومحمد سعيد ، وتوفيق نسيم ، وعدلى يكن ، وعبد الخالق ثروت ،

واسماعيل صدقى الذى تولى رئاسة الوزارة فيما بعد والسير جون ماكسويل القائد البريطانى العام السابق فى مصر والوزراء المفوضون للدول الكبرى ، وبيير لاكو مدير عام مصلحة الآثار وكبار رجال المصلحة وابنة اللورد كارنارفون .

وتخلفت ملكة بلجيكا اليزابيث الثانية وولى عهدها الأمير ليوبولد - اللذان جاءا من بلجيكا خصيصا لهذه المناسبة ، واستقلا قطارا خاصا من الاسكندرية - الى اليوم التالى فقد مرضت الملكة وقيل انها خشيت من الحرارة والزحام .

ونشرت بعض الصحف انها « اللعنة » .

ولكن صاحبة الجلالة تحدت اللعنة وامضت شهرا فى مصر تبرعت خلاله بمبلغ ١٨٠٠ جنيه وزارت المقبرة فى اليوم التالى وعقدت مؤتمرا صحفيا عن اهمية الكشف . . ثم دخلت المقبرة زائرة ٣ مرات بعد ذلك . !!

وكان موكبها المؤلف من ٧ سيارات حدثا هاما فى الأقصر !!

* * *

قال اللورد كارنارفون للصحفيين وهو يتجه الى المقبرة :

- سنقيم حفلا موسيقيا وسيغنى كارتر أغنية لنا .

وفتح كالندر - مساعد كارتر - الباب الحديدى الضخم الذى سماه الصحفيون « باب البرج الحصين » . !!

بدأ الحفل بخطاب قصير للورد كارنارفون شكر فيه العاملين فى المقبرة ، وكان أغلب الشكر للأمريكيين الذين تطوعوا بالمساهمة فى الحفظ والترميم والتسجيل والتصوير . . مجانا . . !!

وكان اللورد شديد الانفعال يخشى ان تكتشف عملية دخوله مع كارتر خلسة وسرا . . مساء ٤ من نوفمبر عند الاكتشاف .

وتلاه كارتر بخطاب عن الجهود التى بذلها حتى عثر على قبر الملك .

ثم بدأت اول « مسرحية » من نوعها فى تاريخ الاكتشافات الآثرية !!

* * *

أخذ كارتر معوله يكسر به الجدار الذى يفصل بين الحجرة الخارجية وحجرة الدفن . استغرق ذلك حوالى عشر دقائق قبل ان يجد فتحة يبلغ عرضها قدما واحدا وارتفاعها ثمانى او عشر بوصات . . حتى يستطيع النظر من خلالها بمساعدة كشاف كهربائى « بطارية » .

أزال كارتر الجزء العلوى من الحائط .

ورأى ـ كما قال ـ :

«على بعد متر من الباب، وبقدر ما يستطيع المرء أن يرى، يحجب مدخل الغرفة ما يبدو حسب كل الظواهر أنه حائط من الذهب.. كان الجانب الخارجى للمقاصير التى تحتوى على التابوت الحجرى والمومياء.

وكان منقوشا على الغشاء الذهبى النصوص والرموز السحرية التى يحتاجها توت عنخ آمون لحماية نفسه فى رحلته خلال العالم الآخر .

وفى جدران المقاصير حول التابوت الحجرى وضعت الاشياء السحرية التى يحتاجها اثناء الرحلة .

ورقدت سبعة مجاديف سحرية جاهزة لعبوره مياه العـالم الآخـر .
ومصابيح منحوتة من الحجر الجيرى الشفاف ، ولها مساند نحتت بـكل رقة فى صورة سيقان اللوتس . . اعدت لتضىء طريقه . والبـوق الفضى الذى ربما كانوا يحملونه امامه . . عند استعراضه لجيوشه وجـد راقـدا الى جانب المقصورة . . وأوانى من العـطور والـدهون نحتـت فى صـور رقيقة كانت معدة لاستعمال الملك .

واعطى البرت ليتجو الامريكى صورة لما يجرى فى الداخل .

قال :

« وقفنا جميعا نرقب كارتر فى صمت ـ حتى ان المرء كان يستطيع ان يسمع صوت ارتطام الابرة بالأرض .

ورأيت بالقرب منى مابدا وكأنه احد جوانب ضريح عـظيم او منصـة تابوت طليت باللون الأزرق اللامع والذهب » . .

* * *

استمرت عملية هدم الجدار ثلاث ساعات وصفها مـراسل صـحيفة « الديلى تلجراف » البريطانية الذى كان يجلس فى الخارج تحـت أشـعة الشمس الحامية . . فقال :

« طوال الساعات الثلاث كانت كل كبيرة وصغيرة تتم ملاحظتها .

احيانا يكون هذا الشىء قطعة من البنـاء تـم احضـارها ، وأحيـانا اخرى كنا نسمع صيحات تعجب من السيدة ايفلين ابنة اللورد !!

وفى بعض الاحيان الأخرى كنا نسمع صوت ضربات « الأزميل » او المطرقة .

وزادت اثارة المشاهدين عندما رأوا العمال يخرجون كتلا من البناء وسلالا من الانقاض الصغيرة » . .

* * *

وفى أول الأمر أخذ كارتر وكارنارفون يشقان طريقهما بصعوبة خلال الحيز الضيق بينما انتظر الجميع عودتهما . . وعندما رجعا اعربا عن ذهولهما مما شاهداه .

وقام الضيوف بالدخول . . اثنان معا فى كل مرة .

التفت لاكوالى جاردنر وهو بدين قائلا :

ـ الأفضل لك ألا تحاول الدخول .

ولكن جاردنر دخل مع البروفيسور برستد .

وكان برستد قد غادر فراش مرضه ليشهد هذه المناسبة الفريدة فى التاريخ .

وكتب يصف تلك اللحظة :

« فى القلب الساكن للجبل ظل الملك راقدا هناك طيلة ثلاثة آلاف سنة تقريبا منذ هبطت زوجته درجات السلم الى حجرة الدفن للمرة لاخيرة ، وربما تكون هى التى وضعت الكفن بأصابعها على جسده .

وربما تكون هى التى وضعت فى مدخل الحجرة المفضية الى المدفن اقة من الزهور البرية الرقيقة التى وجدناها ماثلة أمامنا . . وكان هذا مثابة إيماءة الحب والاسى الاخيرة التى قدمتها الى الملك الراحل . .

ولما اصبحنا فى مواجهة مقدمة الضريح ذى البوابتين الكبيرتين .

فتح كارتر البابين . فاصبح بامكاننا رؤية ما بداخل هذا الضريح لذى يبلغ طوله ١٧ قدما وعرضه ١١ قدما . »

قال كارتر وعندما رفع غطاء التـابوت الحجـرى « خــرجت أهــة اعجاب من شفاهنا . . فتابوت ذهبي للملك الشاب من ابدع ما اخـرجه الصانع كان داخل التابوت الحجرى .

وعلى حاجبه وضع اكليل صغير من الــزهور ، ربمــا هــدية مــن ملكته . .

وقال ليتجو :

ـ ياله من مشهد !!

عرفنا اننا وحدنا رأينا الآثـار المقـدسة والمعـدات الجنـائزية لملك مصرى . وجعلنا غطاء النعش نتحقق من اننا فى حضرة الملك الذى مات من عصر مضى . وكانت الاقفال فوق الابواب المغلقة . . لم تفض .

كان الضريح سليما لم يمس ، وكانـت ابــوابه تحمــل اختــامها الاصلية دون خدش . . مما يشير الى ان اللصوص لم يصلوا اليه . .

وأدركنا اننا اول من يطأ أرض هذا الضريح الذى لم يدخله انسان ، والذى توجد به اشياء لم يمسها احد منذ سجى الملك الـطفل فيهـا منـذ ثلاثة آلاف مضت من السنين .

وعندما سحبنا المزاليج الابنـوسية للضريـح العـظيم . . ارتــدت الابواب الى الخلف كما لو كانت قد أغلقت بالامس فقـط . . وكشـفت النقاب عن ضريح آخر يشبه طراز الضريح الأول لم يمسسه اذى والمطعم ايضا باللون الأزرق .

وكانت للضريح ابواب وضعت عليها مزاليج مشابهة . ولكن يوجد

عليها ختم سليم يحمل اسم توت عنخ آمون وصورة لأبن أوى مضطجعا على اعداء مصر التسعة .

ولا تستطيع الكلمات ان تصف مشاعرى عندما وقفت .. مذهولا تماما عن كل شيء ..

لم أشعر بالاثارة العصبية ، بل احسست برهبة مذهلة .. ولأول مرة طوال خبرتى فى مشاهدة ودخول غرف الدفن القديمة .. شعرت بحضور الموت » .

وكان كارتر اكثر الجميع احساسا برهبة الموت .

قال :

« فى كل العصور وبالنسبة لجميع الاجناس ظل الموت طيفا متشحا بالغموض الكثيف باعتباره القضاء المحتوم الذى لامناص للانسان من مواجهته .

وظلت الجهود الرامية الى القاء الاضواء على الظلام الذى يكتنفه الموت جهودا تدعو الى الآسى والحزن . ولذلك كانت حياة الانسان المصرى وفنه معنيين بهذه المشكلة التى لا حل لها .

حاول العقل البشرى دائما تهدئة المخاوف الانسانية ، وتطلع هذا العقل الفضولى الى ان يجد فى معتقداته سلوى له .. لتوفير بعض الحماية من الاخطار التى تحفل بها هاوية المجهول المظلمة .

ولكن المصرى القديم سعى دائما ـ على عتبات الموت ـ الى الحصول على الراحة فى الحب والحنان اللذين يربطانه بالحياة ـ وهو مسعى طبيعى كشف النقاب عن نفسه فى الطقوس الجنائزية القديمة !!

وأضاف كارتر

« لم نكن راغبين فى كسر الاختام لأن احساسا بالتطفل غمرنا بشكل كبير ، وربما تزايد من جراء تأثير الغطاء الكتانى الذى وضع على الضريح الداخلى . . وشعرنا باننا فى حضرة الملك المتوفى وانه يجب علينا توقيره » .

اعتمد المراسلون فى الاقصر على الاشاعات .

قال احد العمال الوطنيين : انه تم العثور على ثمانى مومياوات .

وقال عامل آخر انه تم العثور على ثلاث مومياوات .

وأدت هذه المعلومات الزائفة التى أوعز بها كارتر الى ارباك الصحف - عدا التايمس - بدرجة كبيرة وانتشرت الاشاعات والنبوءات فى مصر والعالم .

بعض الصحف تقول انهم سيجدون صحيفة من عهد نابليون الذى دخل المقبرة عندما جاء الى مصر . .

والنبوءات لا حد لها .

نشرت الأهرام ان كارتر سيقوم بتهريب مومياء الملك الى لندن .

وبين الاشاعات ان ٣ طائرات هبطت الى وادى الملوك ليلا وحملت الآثار وطارت الى مكان مجهول .

وسخر مراسل صحيفة الديلى تلجراف من اسلوب معاملة الصحفيين فقال :

« يكفى ان تظهر انك لست صحفيا حتى يسمح لك بدخول المقبرة » !

وكتب مراسل مصرى من الاقصر :

« عومل رجال الصحافة فى المقبرة كما يعامل الصبية . واذا كان فى هذه المعاملة تفريط فى حق فانما هو حق الرأى العام لا فرق بين الاجنبى منه ، والوطنى .

لم نتمكن من خطف الاسرار من طيات ضمير الواقفين عليها ومن ظلمات مدفن ذلك المصرى القديم .

وقضى على الجمهور بألا يعلم من اخبار المدهشات المكتشفة إلا ما يعطيه لورد كارنارفون لمراسل التايمس ، وما يجود به قلم المطبوعات المصرى .

ركبنا الحمير مسافة ثمانين دقيقة لنطل من كوة على منظر ذلك الصندوق الكبير المذهب الموجود فى الغرفة الأولى .

هذا كل ما رأيناه . . فهنيئا للعيون التى رأت أكثر من ذلك » .

* * *

واستمرت انباء المقبرة تجذب اهتمام العالم . .

* * *

كان مراسل « التايمس » هو الصحفى الوحيد الذى دعى للحضور .

ولم يسمح اللورد لصحفى آخر بالحضور . قالت الصحف المصرية ان ذلك كان تنفيذا للصفقة التجارية المعلومة .

وكان لذلك تأثير بالغ على الصحفيين الذين بلغ استياؤهم درجة بعيدة . . وصمم اللورد على عدم الأخذ برأى أحد مهما اشتدت الحملة .

وثارت بعض الصحف الانجليزية « كالديلى ميل » و « الديلى اكسبريس » و « المورننج بوست » وعهدت الى احد المحامين اقامة دعوى منه على اللورد امام قاضى الأمور المستعجلة .

ولكن رئى انه لايمكن عقد جلسة مستعجلة قبل موعد الافتتاح فعدلت الصحف عن اقامة الدعوى ... مؤقتا .

بعد ايام من الافتتاح لم يجد مراسلو الصحف شيئا مثيرا يكتبونه عن المقبرة يبررون به بقاءهم فى الاقصر فبعث مندوب جريدة « النيويورك تايمس » الى صحيفته يقول :

« تسلل فأر ضخم الى مقبرة توت عنخ آمون أحس به الأثريون فتوقفت اعمالهم ، وقد وضعوا مصيدة ، ووضعوا قلوبهم على ايديهم . خوفا على المقتنيات الثمينة من فأر يتجول حرا فى أثمن مالدى مصر من آثار قد يحطمها » . . .

* * *

ومرة اخرى غطت اخبار المقبرة على الاحداث العالمية الكبرى التى جرت فى ذلك العام . . . زلزال طوكيو وولاية أوكلاهوما الامريكية والقتلى الذين بلغ عددهم ١٢٠ ألفا . . وفشل انقلاب هتلر فى ميونيخ ، وانهيار سعر المارك الألمانى ، حتى اصبح الدولار يساوى ٤ ملايين مارك وعزل ملك اليونان جورج الثانى ، وانتخاب حاييم وايزمان رئيسا للمؤتمر الصهيونى العالمى . . وانتخاب مصطفى كمال رئيسا لتركيا . .

* * *

بدأ شحن اول مجموعة من القطع الآثرية وعددها ٥٠٠ ، تم ترميمها ونقلت على ٩ سيارات الى محطة سكة حديد الاقصر ٥ أميال ونصف ميل ثم ٥٠٠ ميل على النيل حتى استقرت على الشاطىء قرب المتحف المصرى بالقاهرة لتعرض على الجمهور .

وتكررت القصة القديمة التى وقعت فيها قبل نصف قرن .

رأت الفلاحات الصناديق تخرج من المقبرة محملة بالآثار فأخذن يندبن ويبكين . . ربما على انتهاك حرمة القبور . . وربما على ضياع مقبرة كاملة بآثارها . . كان يمكن ان تضاف الى قائمة السرقات الطويلة !!

وفاة اللورد

استقل اللورد كارنارفون الباخرة من ميناء الاسكندرية يوم ١٤ من ديسمبر عائدا الى بلاده ليستقبله ملك بريطانيا جورج الخامس فى قصر باكنجهام يوم ٢٢ من ديسمبر ويستمع باهتمام الى وصف الحفائر والاكتشافات الهامة التى أجراها اللورد فى مصر خلال ستة عشر عاما متتالية .

وكان ذلك تكريما للورد ، لم يحظ كارتر بمثله ، فلم يستدع أبدا الى قصر ملك بريطانيا .

وفى قوائم « الانعامات السامية » بالألقاب التى تعلن فى بريطانيا فى بداية كل عام خلت قائمة يناير عام ١٩٢٣ من اسم كارتر بينما منح لقب لمدير مصلحة الجمارك فى نيوزيلندا !

أما فؤاد ملك مصر فلم يكرم أيا من الرجلين مكتفيا بعبارات الثناء التى اغدقها عليهما قائلا « ان اسميهما سيبقيان خالدين فى تاريخ مصر القديمة وعلم الاثار » .

ولكن اللورد كارنارفون خلال اقامته القصيرة فى لندن ، بعد الكشف ، لم يهنأ بالشهرة .

بعث اليه الكونت لويس هامون « قارىء اليد » الشهير يطلب منه عدم دخول مقبرة توت عنخ امون . . مرة اخرى .

وفى هذه الرسالة قال هامون أن أميرة مصرية تراءت له محذرة اللورد لأن دخول المقبرة سيعرضه للمرض ، وسيطارده الموت فى الأقصر ، اذا استمر يحفر فى الوادى .

وقال هامون : « إن عصيان هذه النصيحة سيلحق الخطر باللورد .

وكان كارنارفون يعرف هامون فهو الذى تنبأ بيوم وفاة الملكة فيكتوريا ، واغتيال ملك ايطاليا ، ومحاولة اغتيال شاه ايران فى باريس .

وهامون تعرض لغضب اسرته فكان يتسمى باسم آخر هو « شييرو » لان اسرته ترى انه لا ينبغى لاحد افرادها أن يقرأ الكف .

وتحت الاسم المستعار قرأ هامون كف سارة برنار الممثلة الفرنسية الشهيرة ، ومارك توين الكاتب الامريكى ، وجوزيف تشمبرلين السياسى البريطانى .

خاف اللورد فرأى أن يستشير منجما آخر هو « فيلما » الذى تنبأ باغتيال قيصر روسيا وابنه فى الثروة البلشفية !

قرأ « فيلما » يد اللورد ، ثم نظر فى كرته البللورية وقال :

ـ أرى خطرا كبيرا أمامك .

زاد اضطراب اللورد ، فانصرف ليعود بعد فترة ليسمع تحذيرا جديدا من « فيلما العظيم » كما كان يسمى فى ذلك الأوان !

قال له :

ـ هل تستطيع أن تكشف شيئا اخر ؟

أجاب فيلما :

ـ أرى الخطر يتضاعف . وفى راحة يدك أجد خط الحياة يعادل عمرك الآن ـ ٥٧ سنة ـ ان الصور تتابع أمامى واحدة بعد الاخرى . . معبد مصرى ، ورجل وقور مصرى جرد من كبريائه .

. . . ربما يقصد الملك الذى اكتشف قبره .

واضاف فيلما :

ـ لو كنت مكانك لا نسحبت ببيان علنى التمس فيه عذرا . . بدلا من الانطلاق نحو كارثة .

قال اللورد :

ـ يجب أن أتم ما بدأت . انها مغامرة أتحدى فيها القوى الخفية .

روى هذه الوقائع كاتب بريطانى هو بارى وين فى كتابه « خلف قناع توت عنخ آمون » نقلا عن ابن اللورد كارنارفون قائلا « ان الايمان بالسحر وقراءة الطالع كان طابع تلك الأيام » .

* * *

ولم تكن هذه اول مرة يوجه فيها للورد هذا التحذير

○ ○ ○

شاهد العالم الصحفى ارثر ويجال اللورد يدخل المقبرة يوم افتتاحها قال :

ـ اذا استمر اللورد بهذه الروح فانى أعطيه ستة اسابيع فقط يعيشها !

وقال فلاح من صعيد مصر :

ـ هؤلاء الناس يبحثون عن الذهب ، ولكنهم لن يجدوا الا الموت !

عاد اللورد الى الاقصر ومعه سيارة « فورد » تعتبر من اوائل السيارات التى عبرت النيل الى الضفة الغربية فى وادى الملوك .

وهللت صحيفة التايمس لوصول السيارة الى المدينة واعتبرتها حدثا هاما ادى الى كثير من الاثارة بين السكان .

فوجىء اللورد فى الاقصر بابنته الليدى ايفلين تبلغه بانها تحب صديقه وشريكه هوارد كارتر .

انفجر اللورد فى ابنته غاضبا يعاتبها لانها تحب رجلا يكبرها سنا ويقل عنها فى الطبقة الاجتماعية .

وقال اللورد ان كارتر الذى يعمل عنده ليس زوجا مناسبا لابنته .

وتوجه اللورد على الفور الى عشة كارتر يلومه .

قال كارتر انه لا يميل الى ايفلين وليس لديه وقت لغرام لانه يحب عمله الاثرى .

قال اللورد ان ذلك زاد ايفلين هياما

تحول العتاب الى كلمات غاضبة ، وتبادل الرجلان السباب .

ولم يجد كارتر ما يقوله الا ان يأمر اللورد بمغادرة العشة . فلما لم يخرج كارنارفون طرده كارتر .

أقسم اللورد انه لن يعود الى هذه العشة ابدا .

عرف بالامر العالمان الاثريان جيمس هنرى برستد والسير الان جاردنر فحاولا التوفيق بين الرجلين دون جدوى .

وفشل وينلوك رئيس بعثة متحف المتروبوليتان ايضا . وتنبأ بأن القطيعة بين كارنارفون وكارتر ستكون ابدية .

ـ في رسالة كتبها جيمس برستد في ١٣ من مارس ١٩٢٣ قال ان الانفصال اصبح محتوما بين الصديقين ، الشريكين .

علقت صحيفة « ستار » اللندنية على الازمة بين الرجلين « حيث توجد الجثث تتجمع النسور وهذا ماحدث حتى عند قبر الفرعون توت عنخ امون »

وقالت « . . النسور تسير على طريقة النسور فيما يتعلق بالجثث . . فتنهمك في مرح في نقرعيون بعضها .

وتقول الحكومة المصرية انها المالكة . وتقول نسور اخرى في نشيد جماعي انا الملاك . طبعا وتبدأ الاجنحة في التحليق .

ومضت « ستار » تقول هناك شيء غير لائق يكمن في الخطة الاصلية لنهب مقبرة والعبث في مومياء فرعون ميت يتم بدعوى ظاهرية هي مصلحة العلم

ويصبح الأمر مسليا عندما يتشاجر خبراء علم الاثار فيما بينهم حول الغنائم مثل الكلاب الضالة التي تتزاحم على جثة ممزقة » . .

ولم تكن صحيفة ستار تعرف سر الصراع بين اللورد وكارتر !

* * *

قال لي توماس هوفنج المدير السابق لمتحف المتروبوليتان انه اطلع في الاوراق الخاصة للورد في عزبته في هاي كليرك في انجلترا على الرسائل الغرامية التي بعثت بها الليدي ايفلين الى كارتر .

وقال ان الفتاة التي كانت في الحادية والعشرين تعلقت بكارتر وكان في التاسعة والاربعين لانها رأت فيه نجما تتحدث عنه الصحف وتشير اليه .

وقال هوفنج ان الاسرة التى سـمحت لـه بـالاطلاع على الاوراق الخاصة طلبت منه عدم نشر الرسائل . وهددت بمقـاضاته . فـراى ان يكتفى بالاشارة اليها تلميحا فى كتابه خاصة وان الليدى ايفلين التى كانت على قيد الحياة فى ذلك الوقت ظلت مريضة نحو عشر سنوات لا تستطيع مغادرة الفراش .

ولكن نتيجة المشادة الحادة بين اللورد وكارتر ان احدهما لم يتحدث بعد ذلك الى الاخر . . . قط !

* * *

بعد يومين بعث اللورد برسالة صلح الى كارتر قال :

« عزيزى كارتر

ينتابنى اليوم حزن شديد ولا اعرف مايجب ان افكر فيـه أو أفعلـه . وقد رأيت ايفلين التى أخبرتنى بكل شىء .

لم يعد لدى شك فى انى اتيت ببعض التصرفات الطائشة . وأشعر بالاسف الشديد لذلك

وأعتقد أن حالة من الهياج والقلق اثرت على ولكن هناك شيئا واحدا فقط أريد قوله وأمل أن تذكره دائما مهما كانت مشاعرك فى الوقت الحاضر أو فى المستقبل وهو ان مشاعرى نحوك لن تتغير ابدا .

انى رجل قليل الاصدقاء . ومهما حدث فلن يكون هناك شىء قـادر على تغيير عواطفى تجاهك .

وعادة يتميز الوادى بالضوضاء الشديدة ونقص الهدوء وعـدم القـدرة على الحفاظ على الاسرار . وهو الامر الذى جعلنى اشعر بانه لاينبغى على

ان اقابلك بمفردك على الاطلاق رغم انى اتوق كثيرا الى لقائك والحديث الممتع معك .

وقد شعرت بالراحة بعد أن كتبت اليك هذا الخطاب .

صديقك المخلص

كارنارفون

ورغم هذه الرسالة فإن اللورد ربما يكون قد فكر فى الاستغناء عن خدمات كارتر إلى الأبد . . رغم ثقة اللورد بأن كارتر وحده يستطيع استكمال عمله فى المقبرة .

ولايعرف احد ما الذى كان يحدث لو أن اللورد طرد كارتر !

ولكن القدر يتدخل مرة أخرى !

وتجىء اللعنة لصالح هذا الكشف الغريب !

* * *

زار اللورد أسوان ، وأقام فى فندق « الكاتاراكت » الشهير ودخل معبد « فيلة » ثم عاد إلى الأقصر يوم ٦ من مارس .

تردد يومين على وادى الملوك فلدغته بعوضة ـ فى خده الأيسر ـ قيل إنها من الوادى وقيل إنها من الأقصر ، لأن الوادى لا يعرف البعوض .

ولم ينتبه اللورد فى البداية لخطر البعوضة ، فهو رجل اعتاد زيارة مصر بانتظام خلال العشرين سنة الماضية ، ومر بموسى الحلاقة على الجرح فتسمم من التراب أو من ذبابة . . واللورد لا يدرى !

وجدته ابنته يرتجف من البرد فأجرت له علاجا مؤقتا أدى إلى تحسن صحته . وظن أنه شفى ولكنه انتكس مرة أخرى فنقلته ابنته ، وهو مغطى ببطانية ، إلى القطار ثم إلى القاهرة يوم ١٤ من مارس للعلاج .

اقام اللورد بفندق الكونتننتال وساءت حالته يوم ١٧ من مارس ولكن ابنته بعثت فى اليوم التالى برسالة الى كارتر قالت فيها ان اباها مريض بالانفلونزا .

وفى اليوم التالى أعلن رسميا مرض اللورد وقال البيان « ان المرض جاء نتيجة عضة حشرة » !

نشر النبأ فى الصفحات الاولى من الصحف لأن كل اعمال وحركات اللورد اصبحت تحت الاضواء .

* * *

فى رسالة تالية قالت ايفلين ان صحة والدها تتدهور ولا يستطيع الحركة .

وتوالت الرسائل على كارتر من القاهرة . . .

البرت ليتجو يقول ان البعوضة مؤذية وإن اللورد مصاب بالتهاب رئوى .

* * *

أبرقت ايفلين تستدعى والدتها من بريطانيا .

استقلت الأم طائرة من لندن الى مطار « لى بورجيه » فى باريس وكان الطيران شيئا جديدا ، مما استرعى انتباه الصحافة الى خطورة مرض كارنارفون .

ومرضت الليدى فى باريس واتمت الرحلة بالقطار من باريس الى مرسيليا وبالباخرة الى الاسكندرية فوصلتها يوم ٢٦ من مارس

ويكتب ريتشارد بيتيل سكرتير اللورد ـ وأبوه لورد أيضا ! الى كارتر إن كارنارفون فى حالة خطرة وأن الجرح تسمم ، ودماء اللورد تسممت ، ودرجة حرارته ارتفعت ، ولم تنخفض ، ويخشى أن يصبح المرض خطيرا جدا .

أبرقت ايفلين الى طبيب الاسرة الاسترالى جونسون للحضور من لندن .

وأرسلت تستدعى اخاها الضابط بالجيش من الهند . بعد ان بدأت اسنان الاب تتساقط .

* * *

كان الابن يلعب «البولو» أمام اللورد ريدنج نائب ملك بريطانيا فى الهند عندما تلقى البرقية فأمر ريدنج بالحاق عربة بقطاره الخاص ليستقله الابن من دلهى الى بومباى .

ووافقت قيادة الجيش على منح الابن أجازة ٣ شهور . فترك زوجته فى الهند ، ليسافر وحده . . مسرعا .

وكان مدير أكبر شركات الملاحة البريطانية « ب أند أو » حاضرا فقال ان احدى سفنه ستبحر غدا من بومباى الى السويس وانه سيأمر بتخصيص مكان للابن رغم ان الباخرة كاملة العدد .

وأبرق المدير الى القبطان لمضاعفة سرعة الباخرة الى ٢٢ عقدة فى الساعة ، ومضاعفة عدد العمال فى عدن الذين يزودون السفينة بالفحم حتى لا تتعطل فى الميناء .

قال أحمد شفيق باشا « ان الباخرة كانت تقل الحجاج المسلمين فى طريقهم الى السعودية فأخذوا يبتهلون الى الله أن يشفى اللورد » !

فى السويس وجد الابن زورقا خاصا أقله الى رصيف الميناء بأمر من اللورد اللنبى المندوب السامى البريطانى فى مصر .

وفى الطريق إلى القاهرة كان الابن يحدث نفسه : « انه لم يعرف أباه منذ صغره فقد تعلم فى مدرسة داخلية ثم التحق بالجيش عقب تخرجه ، ولم ير أباه إلا ليلة عيد الميلاد عند زواجه عام ١٩١٦ » .

* * *

وجد الابن ابا لا يعرفه ولكن يتشبث بالحياة كما فعل قبل عشرين عاما فى المانيا عند اصابته فى حادث السيارة .

طال شعر الذقن ، والعيون حمراء ، والزبد يتصاعد من الفم .

- انا ابنك

رد الأب قائلا :

- هل تذكر كيف كنا نحارب الايطاليين وهم يفرون أمامنا كالفيران ؟

نظر الابن إلى أبيه فى دهشة فالأب لم يلتحق بالجيش بسبب ضعف صحته ولم يشارك أبدا فى حرب .

تطلع الابن إلى الممرضة التى أشارت إليه بأن أباه يهذى .

وادرك الابن أنه قطع المسافة كلها من الهند ليجد أبا لا يستطيع التعرف على أحد .. حتى ولده !

وأحس بالاكتئاب فهذا أبوه أمامه .. سياسى مغامر ، ورجل

أعمال ، وفنان ، وجامع تحف ، وصاحب حظائر الخيول وقد أضاف إلى هذا كله موهبة جديدة فى الحفر والتنقيب ومع ذلك فإنه يهذى ويردد :

ـ سمعت النداء وأنا مستعد !

ويردد :

ـ عصفور يخدش « يخربش » وجهى .

وهى كلمات كتبت على قبر « نخبت » لمن يفعل أى شىء .. لقبر !

فى الثانية من صباح ٥ من ابريل ١٩٢٣ ، أيقظته الممرضة من نومه قائلة :

ـ لقد مات .. منذ خمس دقائق .

وقالت شهادة الوفاة التى صدرت فى القاهرة والمحفوظة فى« قلعة هايكلير » فى انجلترا أن اللورد مات وعمره ٥٧ سنة ـ ولد فى ٢٢ يونيه ١٨٦٥ ـ وأن الوفاة تمت فى الساعة الواحدة و٤٥ دقيقة يوم ٥ ابريل عام ١٩٢٣ .

وفى الطريق الى حجرة أبيه اطفئت الأنوار فى الفندق ، وفى القاهرة كلها ، فأضاء بطاريته ليجد أمه راكعة بجوار السرير تبكى .. وتصلى .

بعد دقائق عادت الأنوار مرة أخرى .

وكان طبيب الاسرة يهبط فى اللحظة نفسها من السفينة فى بورسعيد .

وفى اللحظة ذاتها أخذت كلبة عرجاء اسمها « سوزى » يملكها الابن فى عزبة الاسرة فى انجلترا ـ تعوى ـ وتطلق صيحات مرعبة ثم

ماتت ساعة وفاة اللورد . . مع مراعاة فروق التوقيت !

* * *

نشرت صحيفة « التايمس » نبأ الوفاة فى طبعتها الأخيرة .

وأبرزت صحف العالم نبأ وفاه اللورد بطريقة حجبت أنباء عالمية هامة فى ذلك اليوم مثل اعدام السوفييت للبولنديين ، واحتلال الفرنسيين أراضى فى منطقة « الروهر » الالمانية !

وربطت صحف القاهرة فى الصباح التالى بين وفاة اللورد وإطفاء الأنوار وزعمت أن ذلك تم بأمر من الملك توت !

وقالت ان كارنارفون رفض تحذيرات الملك المستمرة من اقتحام قبره وأن الملك قد انتقم .

تلقى الابن رسالة من اللورد اللنبى يطلب منه الحضور فى العاشرة صباحا .

قال اللنبى :

ـ رأيت ان اقدم لك تفسيرا عما نشرته الصحف عن انوار القاهرة التى اطفئت امس وقدم المهندس الكولونيل كورنوول مدير الكهرباء الذى روى له القصة . قال :

كنت فى سريرى عندما دق جرس التليفون من المدير المناوب الذى ذكر ان عطلا لايعرف سببه وقع فى محطة القاهرة وطلب منى الحضور .

أخذت فى ارتداء ملابسى عندما عادت الاضواء فجأة ولكنى ذهبت الى المحطة ولم أجد تفسيرا او جوابا مقنعا للعطل .

ان القاهرة اضيئت بالشموع والقناديل ونجوم السماء ساعة وفاة اللورد . . لسبب مجهول .

قال مورتون مراسل صحيفة الديلى اكسبريس البريطانية ان المصادفة الغريبة فسرت على نطاق واسع على انها روح الشر .

* * *

صدم الناس فى مصر من وفاة اللورد الفجائية . . واعتبر العالم الاثرى السير وليم فلندرز بيترى هذه الوفاة مصيبة وكارثة .

وقال العالم نيوبرى الذى التقط كارتر من احدى قرى انجلترا ، انه فى كل تاريخ الحفريات لم تقع مثل هذه المأساة .

وتساءل الأثريون عمن يمول عملية التنقيب بعد وفاة اللورد الذى اضطلع وحده بعبء التمويل خلال ١٦ سنة .

* * *

أعلن فى القاهرة رسميا ان الالتهاب الرئوى والتسمم فى الدم اديا الى وفاة اللورد الذى اوصى بان يدفن فى الخلاء فى عزبته فى بريطانيا ولا يدفن فى الكنيسة الصغيرة داخل العزبة .

نقل جثمان اللورد الى المستشفى لتحنيطه كما حنط جثمان الملك المصرى !

ولكن تاخر وصول الجثمان الى انجلترا فقد مرض كارتر وفزعت الأرمله السيدة المينا وبقيت فى مصر حتى شفى كارتر .

وصحبت السيدة المينا جثمان اللورد على سفينة فألغى عدد من المسافرين رحلتهم عليها تشاؤما وخوفا .

ودفن اللورد يوم ٣٠ من ابريل فى تل يطل على قلعة « هايكلير » .

بعد الدفن مباشرة ظهرت سيدة اسمها « ويلما » قالت لابنه : لا تقترب من قبر أبيك ، انه سيحمل اليك الحظ السيىء .

ولم يزر الابن قبر أباه قط !

. . مات اللورد دون أن يعرف ما إذا كانت مقبرة وادى الملوك تحتوى على مومياء الملك المصرى ، ودون أن يتطلع إلى ملامح الفرعون الذى أثرت حياته ووفاته على اللورد وأسرته .

وبعد وفاة اللورد بيومين نشرت صحيفة « التايمس » المقال الأخير الذى كان كارنارفون قد بعث به من الأقصر .

بدأ اللورد هذا المقال قائلا :

« لقد وصلنا الآن إلى مرحلة النهاية » .

وكان يقصد بذلك نهاية موسم التنقيب ، لا نهاية الحياة !

وفى هذا المقال تمنى « أن تبقى مومياء الملك فى مكانها الذى ظلت فيه ٣٠ قرنا » .

وأقيمت الصلوات على روح اللورد فى القاهرة ولنـدن وحضرهـا وزراء من هنا وهناك وأبرق ملك بريطانيا معزيا . . وكذلك سعد زغلول .

* * *

استمرت صحف القاهرة تربط بين اكتشاف المقبرة ووفاة اللورد .

قالت إن أصبعه جرح من آلة أو حربة مسمومة داخل المقبرة . . وان السم كان قويا بدليل أنه احتفظ بتأثيره ثلاثة الاف عام .

وقالت أن نوعا من البكتريا نما داخل المقبرة يحمل المرض والموت .

كتب كلير شريد ان فى صحيفة « ورلد » .

« دفع اللورد الثمن لانه جرؤ على مد يده الى شرقى ميت ، وكل مومياء فى اوربا لها تاريخ شرير مع الذين يعترضون طريقها » .

وفى باريس قال الفلكى لانسيلان :

« لقد انتقم توت عنخ آمون » .

وتحدثت منافسته السيدة فرايا فقالت :

« تقدم علم الروحيات فى مصر وذهب اللورد ضحية للروح المزدوجة للملك توت » .

ولكن السير ارثر كونان دويل مؤلف شخصية شيرلوك هولمز قال :

« تستطيع المومياء المصرية ان تشع روحا شريرة . وربما يكون السبب فى وفاة اللورد .. لعنه الفراعنه » !

وقالت صحيفة التايمس تنعى اللورد :

« انه لن يرى ملامح الملك الفرعونى الذى ظل يبحث عنه ستة عشر عاما أيد اخرى ستزيل الاكفان . وعيون اخرى سترى بعد ٣٠٠٠ سنة ، لاول مرة ، مومياء الملك .

انه لم يحصل على الجائزة التى تمناها » .

.. وقد تكون هذه هى اللعنة التى احاطت باللورد ..

وعلى ايه حال فقد لاحقته اللعنات .. لان كل أوراقه الخاصة احترقت اثناء غارات الالمان على لندن عام ١٩٤٠ .

كتبت صحيفة نيويورك تايمز نبأ الوفاة فى الصفحة الأولى تحت عنوان بارز وقالت : نشرت وفاة اللورد على نطاق واسع ، النظريات عن انتقام الفرعون . .

وكتبت الصحيفة خبرا صغيرا عن مرض الزعيم السوفيتى الكبير لينين وتوقع وفاته فى اية لحظة !

وقالت صحيفة « الديلى اكسبريس » البريطانية بعد ٤٨ ساعة من الوفاة تحت عنوان عريض :

« جامعو الآثار المصرية فى رعب . اندفاع لتسليم الآثار المصرية للمتحف البريطانى . خوف لا مبرر له » .

وقالت الصحيفة ان الناس وجدوا الخلاص فى التنازل عن الآثار التى اخذوها فى وقت من الأوقات من المقابر المصرية - او اشتروها من مصر - تبركا ! وشحنوا كنوزهم من التماثيل والآثار المصرية الى المتحف البريطانى ، الذى تلقى ايضا اجزاء بشرية قال اصحابها انهم اخذوها فى وقت من الأوقات من المقابر المصرية او اشتروها من صعيد مصر . . !

وطالب الجميع بوضع الأثار المصرية فى دواليب زجاجية محكمة ، داخل المتحف . وفى اماكن بعيدة . . منعزلة !

وطلب السياسيون الامريكيون فحص مومياوات الفراعنة فى المتاحف . وفى كل مكان ، خوفا من ان تحتوى على الميكروب الذى أودى بحياة اللورد !!

ولكن رجال المتحف البريطانى وجدوا فى هذه الخرافات ، والاساطير ، واحاديث اللعنة ، نعمة كبرى لأن المتحف - عن هذا السبيل - جمع كثيرا من الآثار المصرية !!

وحاول رجال المتحف القضاء على مخاوف الناس فقالوا :

- لو ان اللعنة حقيقية ما عاش اثرى واحد . ولو قلنا ان ساحرا مصريا يملك منذ آلاف السنين القدرة على قتل رجل -الآن - فان ذلك يحمل اللعنة اكثر مما تحتمل .

قال رئيس تحرير مجلة « السحر » .. رالف شيرلى .. ربما يكون احد المصريين قد ضاق بما فعله اللورد من دخول المقبرة فوضع السم فيها .

رد أحد مشاهير الكتاب « الجرنون بلاكوود » :

« ولماذا يؤثر السم فى رجل واحد فقط » ؟

ولكن هذا المنطق لم يعجب عالما فرنسيا فقال :

كارتر خبير له حصانة يعرف ما يلمس ، وما لا يلمس ، أما اللورد فليس خبيرا ، ولذلك قتل » !

* * *

وزار الاستاذ « لايجستر » المنوم المغناطيسى المشهور وادى الملوك مع بعض الصحفيين فاختطف ذبابتين ، احداهما من مدافن امنحتب ، والثانية من مدفن توت عنخ آمون .

وقدمهما للتحليل الكيمائى البكتريولوجى فلم يظهر فى الذبابة الاولى شيء غير عادى . وظهر فى الذبابة الثانية - المأخوذة من مدفن توت عنخ - آثار سم شديد التأثير يحدث احتقانا فى الجهاز التنفسى .

سئل لايجستر :

ـ هل يرى فى ذلك ايضاحا لما نسب من الاسرار الغامضة عن موت لورد كارنارفون

قال :

ـ ربما كان فيه دليل على ذلك .

وقال عن حكايات اللعنات :

ـ انها قد تكون حديث خرافة ولكن قوة الاسرار لا تنكر .

وقال :

ـ هناك فى أعماق تلك المقابر الفرعونية حقائق غريبة قوية يدركها الخبيرون بالأسرار الغامضة من المصريين .

وقد وقفت بازائها مضطربا وشعرت بعاطفة احترام فى اعماق نفسى وجاذبية كبيرة .

سئل .

ـ هل شعرت بتأثيرات اخرى معنوية ونداءات من عالم غير منظور

قال انه يدرس امرا لايستطيع تفسيره حتى الان .

ولم يعرف ابدا اذا كان المنوم المغناطيسى اراد استغلال حكاية اللعنة ليزيد شهرته ولكن حكاية الاحتقان فى الجهاز التنفسى اثر زيارة المقابر ترددت علميا .. فيما بعد .

* * *

وبدأ يقال ان كل اثار مصر الفرعونية تحمل ثناياها اللعنة لان احدا لم يسمع عن وفاة انسان نتيجة عضة بعوضة فحسب دون ان يصاب بالملاريا أو الحمى الصفراء ...

ولكن اغرب ما فى هذه القصة ان البعوضة عضت اللورد فى خده الايسر . .

. . . والاصابة التى وجدت فى مومياء توت عنخ آمون كانت فى خده الأيسر أيضا !!

لعنة تحمي الفرعون

وجدت على صخرة فى مدخل مقبرة توت عنخ آمـون هـذه الـكلمات بالكتابة الهيروغليفية : « لتضمر اليد التى ترتفع فى وجه هيكلى . وليحيق الدمار بأولئك الذين يهاجمون اسمى وقـاعدتى ومـومياواتى التـى هـى صورى . وسرعان ما ستحمل أجنحة الموت أولئك الذين يدخلون هـذه المقبرة » !

وفى المعابد والمقابر المصرية وجـدت كلمـات تهـدد « بـالويل » الذين ينتهكون حرمة القبور . وقد توفى الكثيرون مـن الـذين لهـم دور فى إكتشاف مقبرة الملك توت عنخ آمـون فقـال المصريـون والأجـانب ان « لعنة » الملك توت عنخ آمون .. حلت بهم ! .

بدأت حكاية « اللعنة » بعصفور الكنارى الذهبى الذى حمله كارتر معه عند حضوره إلى الأقصر .

وعندما اكتشفت المقبرة ، اطلقـوا عليهـا ، أول الأمـر ، إسـم « مقبرة العصفور الذهبى » .

وسافر كارتر إلى القاهرة ليستقبل اللورد كارنـارفون فـوضع مسـاعده كالندر العصفور فى الشرفة ليحظى بنسمات من الهواء .

ويوم إفتتاح المقبرة سمع كالندر إستغاثة ضعيفة كأنها صرخـة انسـان فأسرع ليجد ثعبان .. كوبرا يمـد لسـانه إلى العصـفور .. داخـل القفص .

قتل كالندر الثعبان ولكن العصفور كان قد مات !

وعلى الفور قيل إن « اللعنة » بدأت مع فتح المقبرة ، فان ثعبان الكوبرا يوجد على التاج الذى يوضع فوق رأس تماثيل ملوك مصر .

وقيل أيضا ان هذه بداية انتقام الملك من الذين « أزعجوه » فى مرقده .

واعتبرت صحيفة « النيويورك تايمس » وفاة العصفور « حادثا فريدا » بينما رأى عالم الآثار جيمس هنرى برستد . . أن شيئا رهيبا فى الطريق !

* * *

بعد وفاة اللورد انتشرت قصص اللعنة ، وتعددت أقوال الصحف عن انتقام الفراعنة و« أرواحهم » التى تتعقب جامعى الآثار .

وأعطى عالم المصريات الفرنسى الأستاذ مادرو ثقلا لحكاية لعنة الفراعنة . . وذلك بعد عام من وفاة اللورد .

عقد مؤتمرا صحفيا أعلن فيه أن القرن العشرين رفض المعتقدات المصرية القديمة عن حضارة مصر .

وقال ان قبر توت عنخ آمون هو أول قبر لفرعون مصرى ، لم ينهب ، ولم ينبش ، ولم يسرق خلال ثلاثة آلاف عام . وقد ترك فيه الكهنة المصريون وسائل حماية الفراعنة من الذين ينتهكون حرماتهم .

وأخذ مادرو يعدد أسماء أولئك الذين ماتوا بعد دخولهم المقبرة ، أو ماتوا نتيجة لعنة الفراعنة بصفة عامة ، الملك توت أو غيره :

* وانتحر ايفلين هوايت عالم الآثار المصرية بجامعة ليدز فى ظروف غامضة بعد أن ترك رسالة يقول فيها « حلت بى اللعنة » !

* ومات ليون باسكت مصمم الأزياء الفرنسى الذى صمم مجموعة ايزيس ليلة افتتاح العرض .

* ومات جورج بنيديت أمين قسم الآثار المصرية بمتحف اللوفر بضربة شمس وهو يغادر مقبرة الملك توت .

* وكازانوفا الأستاذ بكلية فرنسا ، الذى حفر فى وادى الملوك ، مات فجأة .

* الكولونيل أوبرى هربرت ، وهو نصف شقيق للورد حضر افتتاح المقبرة ومات فى نفس سنة وفاة كارنارفون .

وفى السنة ذاتها مات الأثرى المصرى أحمد كمال وعالم المصريات الأمريكى هنرى جودبير .

وفى العام التالى ١٩٢٤
أرشيبولد دوجلاس ريد خبير الأشعة .
وفى عام ١٩٢٦ .

المليونير الأمريكى جورج جاى جولد صديق اللورد الذى سافر إلى الأقصر فدخل المقبرة ليشاهد الكشف الشهير .
وفى الصباح التالى أصيب بحمى ومات فى المساء .
وأردن أمبر عالم الآثار الأمريكى الذى أراد إنقاذ مخطوط ألفه عن « كتاب الموتى » المصرى من بيته وهو يحترق .. فاحترق معه !

وممرضة اللورد كارنارفون ماتت فى الثامنة والعشرين وهى تضع طفلها الأول .

وقال مادرو :

ـ يجب ألا نرفض هذه الروحيات أو الخرافات ، أو السحر ، بمجرد هزة كتف !

وأضاف :

ـ ان المصريين خلال سبعة آلاف عام مارسوا تقاليد سحرية ولابد أنهم ركزوا قوة ديناميكية لمنع إزعاج الموتى وإقلاق راحتهم !

وفى كتاب الصحفى الألمانى فيليب فاند نبرج « لعنة الفراعنة » روى حكايات كثيرة غامضة عن قتلى ومرضى من رجال الآثار .

ولم يجد الأطباء تفسيرا إلا القول بأن هؤلاء « قتلتهم » أو « أصابتهم » ، لعنة الفراعنة . .

حضر الاحتفال بإفتتاح غرفة الدفن ، يوم ١٧ من فبراير ١٩٢٣ اناس كثيرون ، مات منهم ١٣ .

وقال فاندنبرج إنه منذ إكتشاف المقبرة حتى عام ١٩٢٩ مات ٢٢ شخصا كانت لهم صلات مباشرة ، أو غير مباشرة ، بالتنقيب والحفر وكشف المقبرة وفحص وترميم آثارها .

* * *

إستمرت حكاية اللعنة تروج . .

قالت الكاتبة البريطانية مارى كوريللى إن لديها كتابا باللغة العربية من معلم لويس السادس يقول فيه :

« توجد فى القبور المصرية أسلحة سرية تقتل سارقى القبور » .

ومارى كوريللى ألفت قصصا وروايات كثيرة عن عالم الأرواح طبعت احداها ٤٠ مرة .

وهذه الكاتبة لم تتزوج . وبررت ذلك بأن لديها ٣ حيوانات : كلب ينبح صباحا . وببغاء يسب عصرا ، وقط يعود متأخرا كل مساء !

رد على مارى كوريللى السير واليس ارنست بادج أمين القسم المصرى بالمتحف البريطانى قائلا : « توجد نسخة من هذا الكتاب فى المتحف . وقد مات مترجمه عام ١٦٦٧ ولا يمكن أن يكون معلما للويس السادس الذى مات عام ١١٣٧ !

* * *

استقرت عام ٢٩ فكرة اللعنة تماما بالنسبة للذين ارتبطوا بوادى الملوك .

أضيف للقائمة :

* الليدى اليزابيث كارنارفون ، عضتها حشرة .

* السيدة الأمريكية ايفلين جريللى التى انتحرت عند عودتها لشيكاغو بعد زيارة المقبرة .

* لافلير أستاذ جامعة ماك جيل الكندى الذى كان ضيفا على كارتر بعد زيارة المقبرة .

* الدكتور جوناثان كارفر أحد مساعدى كارتر .

* ريتشارد بيتل سكرتير كارنارفون الذى وجد ميتا على كرسيه بنادى « ماى فير » .

* اللورد ويستبرى ـ والد ريتشارد بيتل ـ الذى إنتحر بعد سماع نبأ وفاة إبنه بإلقاء نفسه من الدور السابع فى بيته قرب قصر بكنجهام ـ وقد ترك رسالة يقول فيها :

« لا أستطيع مغالبة رعب أكبر ولا أظن فائدة فى بقائى » .

* أثناء موكب جنازة ويستبرى مات صبى فى الثامنة من عمره تحت عربة الموتى .

* ادجار ستيل الموظف بالقسم المصرى بالمتحف البريطانى الذى مات فى حجرة العمليات بمستشفى بلندن .

* وزار على كامل فهمى بك المقبرة وبعد عودته إلى لندن قتلته بالرصاص زوجته مرجريت مساء ٩ يوليو عام ١٩٢٣ .

* ارتفع رقم ضحايا اللعنة ـ عام ١٩٣٥ ـ إلى ٢٤ شخصا .

* * *

وتلقى كارتر رسائل كثيرة تشرح له كيف يواجه اللعنة .

ونصحه أحد الايرلنديين بإلقاء زيت ونبيذ ولبن على المقبرة واغلاقها ! .

ومرة أخرى حاول مسئول فى المتحف البريطانى القضاء على هذه الخرافة فقال :

« لو كانت اللعنة صحيحة لكانت وباء يجتاح الناس » !

* * *

حاولت جامعة بنسلفانيا الأمريكية تكذيب الاشاعة بطريقة علمية فقالت :

« . . قبل خمس سنوات اكتشف قبر نبش عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد فكانت رائحته سيئة حتى أن أحدا لا يستطيع العمل فيه أكثر من ساعة يوميا وتنطفىء أية شمعة لأنه لا يوجد أكسوجين يساعد على اضاءتها . وغاز المقبرة يؤدى إلى الوفاة » .

ونفى عالم الآثار البلجيكى جان كابار ما قيل عن اللعنة .

قال أنه لا توجد كلمات فى مقابر الملك توت عنخ آمون تذكر ان الموت سيأتى على أجنحة سريعة لكل من يلمس قبر الفرعون .

وقال العالم الألمانى جورج ستانيدون مدير المعهد المصرى فى ليبزج أن معظم الوفيات السابقة لا علاقة لها بالمقبرة .

وأعلن هربرت وينلوك عام ١٩٣٤ أن الأرقام وحدها تكذب موضوع اللعنة وهى التى تتكلم . وشرح الأرقام قائلا :

* فى ٢٩ من نوفمبر عام ١٩٢٢ حضر الافتتاح الرسمى للمقبرة ٢٢ شخصا مات منهم ٦ فقط حتى عام ١٩٣٤ .

وفى ١٢ من فبراير عام ١٩٢٤ شهد فتح التابوت ٢٢ شخصا أيضا مات منهم إثنان حتى ديسمبر .

* وفى ١١ من نوفمبر ١٩٢٥ حضر ١٠ أشخاص عملية نزع لفائف الأكفان ، وتعرية المومياء وفحصها بالأشعة وقد ظلوا جميعا على قيد الحياة ، حتى عام ١٩٣٤ .

ولكن مات فى عام ١٩٣٤ نفسه كل من البرت ليتجو صديق كارنارفون وكارتر ، وأرثر ويجال مفتش الآثار السابق ، الذى وصف لعدة صحف ، افتتاح القبر وغرفة الدفن ، وكان قد أيد بشدة مارى كوريللى فى تحذيراتها .

وقصد جامع التحف اللورد هارنجتون الذى اشترى مومياء مصرية الى السودان وهناك قتله فيل وأزالت الأمطار آثار قبره تماما .

* العالم البريطانى فلندرز بيترى الذى أمضى سنوات « يحفر » فى منطقة الأهرام ، مات فجأة فى القدس عام ٣٢ وكان قادما من القاهرة .

* والأستاذ الأمريكى جورج ديزنر الذى كان أول من أذاع من داخل الاهرامات عام ١٩٣٩ انهارت قواه فجأة داخل مقبرة أم خوفو ١٩٤٢ ونقل شبه مشلول خارج الهرم ليموت فى معسكر قريب

* * *

ولم تقتصر اللعنة على الوفيات التى وقعت بعد العثور على قبر الملك توت عنخ آمون بل التصقت اللعنة بقبور الفراعنة وموميااواتهم جميعا . . قبل الاكتشاف . . وبعده .

* العالم الفرنسى جان فرانسوا شامبوليون الذى « قرأ » حجر رشيد وعرف اللغة الفرعونية مات بعد عامين من زيارته لمصر وعمره ٤٢ سنة .

* الفرنسى بروسير ماريلها الذى سافر مع المسلة المصرية التى أقيمت فى ميدان الكونكورد فى باريس مات وعمره ٣٦ سنة ، وهنرى

كورينج الأمريكى الذى سافر أيضا مع المسلة المصرية التى أقيمت فى حديقة سنترال بارك فى نيويورك .

● ريتشارد ليسبيوس الألمانى سارق المقابر المصرية مـن وادى الملـوك عمر أطول من زملائه رجال الآثار فقد مـات فى الـرابعة والسـبعين ولـكنه أصيب فى أواخر سنوات حياته بأزمة قلبيه أعقبها شلل ومات بالسرطان عام ١٨٨٤ .

● والعالم الألمانى جورج موللر فتن بالآثار المصرية وهـو طفـل وتعلـم الهيروغليفية فى المدرسة قام بحـفائر فى طيبـة وأبـو صـير درس مـراسم الدفن وأمضى معظم سنواته فى مصر داخل مقابر الفـراعنة وعمـل ملحقـا علميا للسفارة الألمانية بالقاهرة وهـو فى الثـامنة والعشريـــن . . مــات بالحمى ـ وعمرة ٤٤ سنة ـ عندما كان فى رحلة إلى أوبسالا .

● تيودور بلهارز العالم الألمانى الذى اكتشـف ميـكروب البلهـارسيا فى مصر أهدى لجامعة فريبورج شحنة من الجماجم المصرية عام ١٨٥٧ .

زار وادى الملوك فلما عاد إلى القـاهرة أصـيب بـالحمى وعـــاش فى غيبوية اسبوعين أعقبتها الوفاة عام ١٨٥٨ .

***

● وحدث يوم ١٤ من أبريل عام ١٩١٢ أن ابحـرت البـاخرة تيتـانيك فى رحلتها الأولى من ميناء ســوثهامبتن فى انجلتـرا إلى نيـويورك فـــاصطدمت بجبل من الجليد .

كانت تقل ٢٢٠٠ راكب وتحمل شحنه ضخمة من الـطعام ٤٠ طنـا

من البطاطس و١٢ ألف زجاجة مياه معدنية و٧٠٠٠ جوال من البن و٣٥ ألف بيضة .

غرق ١٥٠٠ راكب ولكن أمكن انقاذ الباقين .

وقال خبراء الملاحة ان الخطأ يرجع إلى ربان الباخرة ادوار سميث .

ولكن البعض قال ، بعد إكتشاف مقبرة الملك توت ، ان اللورد كارنارفون شحن على السفينة مومياء كاهنة فرعونية من عهد امنحتب الرابع وأن لعنة الفراعنة حلت بالباخرة !

● وجن عالم الآثار المصرية الألمانى هاينريش بروكش قبل ان ينتحر عام ١٨٩٤ .

اتقن بروكش قراءة اللغة القديمة وهو فى السادسة عشرة من عمره وكان يعامل المومياوات المصرية برقة كأنها أحياء .

بعد الاقامة الطويلة فى مصر تغير بروكش تماما وعند عودته إلى ألمانيا أخذ يردد ان أباه كان أميرا مع انه كان « أومباشي ».

وأخذ يشترى قطع آثار مقلدة ويزعم أنها حقيقية . وشكا للصحف من اضطهاد مزعوم لحق به .. قبل ان ينتحر .

● وأصيب بالهلوسة والجنون العالم الألمانى جوهان داميشين الذى كان ينقل رسوم المقابر والمعابد الفرعونية طلب إليه الناشرون وضع دليل عن مصر العليا فلما انتهى منه رفضوا نشره لأنه لا يستحق النشر .

وطلبوا اليه اعداد الجزء الخاص بمصر فى كتاب عن تاريخ العالم

فكتب ٣٠٠ صفحة قال انها مقدمة للجزء الخاص بمصر . . ورفضوا نشرها ايضا .

وقد فسر ما أصاب داميشين بأن المصريين القدامى أصابوه بعلمهم لا بلعنتهم عن طريق عقار من عقاراتهم المتقدمة .

* * *

فى عام ١٩٣٨ اكتشف صيدلى سويسرى هو الدكتور البرت هوفمان عقار الهلوسة . كان يعمل فى شركة أدوية عندما ابتلع - دون أن يدرى - ذرات من بعض المواد الطبية فأحس بأعراض الهلوسة . راجع هذه المواد وأعاد تحليلها واكتشف العقار .

وربما يكون داميشين قد أمسك ببعض الآثار المصرية ومست أصابعه شفتيه فتسللت اليهما المادة الطبية المصرية القديمة فأصابته بالجنون !

● وجيوفانى بلزونى الذى سرق الآثار المصرية مات بحمى فى الباخرة التى كانت تنقله على الساحل الأفريقى .

أصابته الحمى واحس بيد الموت تقبض عليه وقال لمن حوله :

- اعرف أنه لم تبق لدى سوى ساعات قليله أعيشها .

وخلع الخاتم من أصبعه وطلب ان يسلموه لزوجته .



فى عام ١٩٦٦ وافق الرئيس المصرى جمال عبد الناصر على شحن مجموعة من آثار الملك توت عنخ آمون ، وبينها قناعه ، إلى فرنسا لعرضها فى المتحف الصغير بناء على طلب الجنرال ديجول .

عارض الأثرى المصرى محمد إبراهيم فى تصدير هذه الآثار للخارج . ثم عاد فوافق لأنه لم يكن يملك إلا الموافقة .

ولكن إبنته أصيبت فى حادث .

وفى الليل جاء من يقول له ، فى الحلم ، إنه يجب أن يستمر فى الاعتراض . وعلى ذلك طلب من الحكومة المصرية إعادة النظر فى الأمر ، ولكن أحدا لم ينتبه إلى هذا الطلب ولم يستجب له المسئولون .

توجه يوم ١٩ من ديسمبر عام ١٩٦٦ إلى السفارة الفرنسية يطلب من السفير المصرى الاتصال بالجنرال ديجول ليسحب عرضه أو يعتذر عن قبول المعروضات .

استمع رجال السفارة باهتمام ثم قالوا للأستاذ المصرى :

ـ أنت كرجل علمى يجب ألا تصدق هذه الخرافة .

وعند خروج محمد إبراهيم من دار السفارة صدمته سيارة ومات بعد يومين .

* * *

بقى من الذين شهدوا افتتاح المقبرة وغرفة الدفن وفحص المومياء بالأشعة اثنان فقط عام ١٩٧٠ .

الأول هى السيدة ايفلين ابنة اللورد كارنارفون وقد ظلت مريضة خلال السنوات العشر الأخيرة من حياتها .

والثانى ريتشارد ادامسون رجل البوليس الحربى البريطانى الذى كان يحرس المقبرة عند افتتاحها وحتى انهى كارتر عمله سنة ١٩٣٢ .

كان ادامسون قد بلغ السبعين من عمره عندما أدلى فى أواخر عام ١٩٧٠ بحديث إلى التليفزيون قال فيه :

ـ لم أؤمن لحظة واحدة بخرافة اللعنة .

وغادر استديو تليفزيون نورويتش فى إنجلترا فصدم جرار سيارة التاكسى التى يستقلها وألقاه فى الطريق وتفادته عربة لورى مرت على بعد أشبار من رأسه!

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يدين فيها ادامسون اللعنة .

ماتت زوجته بعد ٤٨ ساعة من حديثه الأول .

وفى المرة الثانية كسر ظهر ابنه فى حادث سيارة .

وبعد الحادث الثالث عند ستديو نورويتش قال آدامسون :

ـ كنت ـ حتى الآن ـ أنكر أية علاقة للعنة بما حدث لى ولأسرتى . ولكنى أعيد التفكير الآن !

* * *

وفى الطائرة الحربية ـ بريطانيا ـ التى شحنت بها آثار توت عنخ آمون لعرضها فى لندن عام ١٩٧٢ ركل الضابط الفنى لانسدون بقدمه الصندوق الذى يضم القناع الذهبى وهو يقول ـ متفاخرا لزملائه :

ـ ركلت اغلى شىء فى العالم . .

وبعد فترة كان يصعد سلما انهار تحته فجأة . وكسرت رجله وظل فى « الجبس » لا يستطيع حراكا خمسة شهور كاملة .

وتبادل خمسة من ضباط وجنود الطائرة الجلوس فوق صندوق القناع متتابعين وهم يضحكون ساخرين . .

● .. ملاح الطائرة الملازم جيم ويب دمر بيته فى حريق أفقده كل ما يملك .

● ومضيفة أجريت لها عملية جراحية فى رأسها أدت بها إلى الصلع الكامل .

● والمضيف الأومباشى بريان رونسفول - ٣٥ سنة - الذى لعب الورق فوق صندوق القناع أصيب بأزمتين قلبيتين خلال السنوات الأربع التالية .

وقائد الطائرة « ريك لورى » مات بازمة قلبية عام ٧٦ وعمره ٤٠ سنة . وقالت زوجته دولوريس لى :

- قتلته لعنة توت عنخ آمون .

● والمهندس كين باركنسون مات أيضا بأزمة قلبية .

وقالت زوجة باركنسون :

- الأزمة القلبية الأخيرة عام ١٩٧٨ قتلته وهو فى الخامسة والأربعين .

وإستمر الناس فى كل مكان يتابعون الحديث عن اللعنة .

اقام ضابط شرطة ملازم أول اسمه جورج لابراش - ٥٦ سنة - دعوى امام محكمة كاليفورنيا يطالب فيها الولاية بتعويض ١٨٤٠٠ دولار عما أصابه من أضرار نتيجة لعنة الملك الفرعونى القديم .

وقال الضابط انه كان يحرس القناع الذهبى للملك فى مدينة سان فرانسسكو لمدة شهر كامل خلال عام ١٩٧٩ .

خلال تلك الفترة كان يقف على مسافة متر واحد تقريبا من القناع وظل ينظر إليه فأحس بأنه ينوم مغناطيسيا .

أصيب بأزمة قلبية وظل ٨ شهور لا يغادر الفراش .

وعندما جاء أطباء الشرطة لفحصه لم يجدوا به مرضا أو أثرا لأزمة قلبية .

ومن هنا رفضوا اعتبار ذلك اصابة عمل لانهم لم يستدلوا على شيء . . ووصل بهم الأمر إلى اتهامه بإدعاء المرض .

قال الضابط ان « اللعنة » لا يمكن اكتشافها فى التحاليل الطبيه ، ولا صور الأشعة ، ولذلك يريد من القضاء اثبات أن « اللعنة » حقيقة ويطالب بالتعويض عنها .

وجمع المحامى كل ما قيل عن « لعنة الفراعنة » وقدمها للقضاء باعتبارها مستندات أساسية ينبغى الاعتراف بها !

* * *

واستمرت حكاية « اللعنة » حتى عام ١٩٨٠ .

انتجت محطة ن . ب . س الأمريكية برنامجا تليفزيونيا اسمه « توت » الملك الطفل اشترك فيه الفنان العالمى أورسون ويلز وساهمت فى اخراجه الكاتبة جون ريج التى أصدرت بعد ذلك كتابا عنوانه « يوميات الملك الطفل توت عنخ آمون » .

صور الفيلم فى القاهرة والأقصر ليجمع بين قصة الملك ، وحكاية الكشف عن قبره .

استقل أحد الممثلين وهو « يان ماكشين » سيارة موديل ١٩٢٢ تشبه تلك التى كان يستعملها هوارد كارتر وكانت بجواره الممثلة « ايفامارى سانت » فى طريقهما إلى مكان المقبرة .

اندفعت السيارة فجأة من قمة تـل ، وتـوقفت « الفـرامل » عـن العمل .

ألقى الممثل روبرت فريزر بنفسه من السيارة المسرعة .

وإستطاع كهربائى ضخم أن يجذب الفنانه ويخرجها من السيارة .

أما الممثل « يان ماكشين » فقد اطبقت عليه عجلة القيادة عندما اصطدمت السيارة بشجرة وكسرت ساقه فظل متعطلا - عن العمل سنة كاملة وطالب بتعويض مليون دولار .

وقالت الممثلة « جوان كولنز » انها اعتذرت عن التمثيل فى الفيلم خوفا من اللعنة التى تحققت وأصابت زميلها !

* * *

فى كتاب « لعنة الفراعنة » يقدم فيليب فاندنبرج أكثر من تعليل علمى للعنة الفراعنة .

بدأ الملك مينا زراعة النباتات السامة فى مصر عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد وسجل تأثيرها .

ومن القصص المعروفة ان كليوباترا نجحت فى مزج أنواع مختلفة من السموم وجربتها على العبيد فماتوا . . وعندما عاش البعض أجرت تجارب أخرى كثيرة حتى تتأكد ان سمومها تقتل .

وكان مارك أنتونى لا يأكل -حتى مع كليوباتره - الا بعد أن يتذوق أحد رجاله الطعام ولا يموت . . سما !

ذاق العبد كأسا من النبيذ قدمتها كليوباتره فبدأ مارك أنتونى يحتسيها .

أرادت ملكة مصر مداعبته فأخذت وردة من شعرها ووضعتها فى القدح . وعندما رفعه مارك أنتونى إلى شفتيه أوقفته كليوباتره وطلبت من العبد أن يشرب منه . . فمات

قالت كليوباتره لمارك أنتونى :

ـ كان السم فى أوراق الزهرة . وأردت أن أبين لك أنى استطيع قتلك مهما اتخذت من احتياطات .

وهذه القصة ، وغيرها ، تبين أن لعنة الفراعنة يمكن أن تجيىء من السموم التى يبقى تأثيرها آلاف السنين .

ان حور محب طمس وحطم كل آثار من سبقوه الا القبور ، لا نقاء أو طهرا ، بل خوفا من سمومها وما تركه فيها السحرة ولذلك بقى قبر الملك توت عنخ آمون .

وبعض أنواع البكتريا فى قبور الفراعنة يبقى تأثيرها قرونا عندما تتعفن الزيوت والأطعمة والصمغ مع الجسد عندما يتحلل . وقد ثبت من تشريح المومياوات وجود خلايا بكتريا حية فيها . . كما أن بعض هذه الخلايا يصبح أشد ضراوة بعد الموت .

قال عالم الذرة لويس بولجارينى عام ١٩٤٩ :

هناك احتمال قوى بأن قدامى المصريين استعملوا الاشعاعات النووية لحماية أماكنهم المقدسة وربما تكون أرض المقابر قد غطيت باليورانيوم أو أضيفت مادة مشعة من اليورانيوم والذهب إلى صخور المقابر يمكن أن تقتل الإنسان.

وأكد فيليب فاندنبرج ان المصريين عرفوا تحلل الذرة وأنتجوا غـازا للأعصاب يحمى القبور ووضعوا نظما دفاعية لحماية القبور بهذه الغازات كما يفعل المعاصرون بأجهزة الانذار المبكر المختلفة .

والأهرامات أيضا . بطريقة تصميمها ، تطلق قـوى وطـاقات قـد تكون مدمرة .

وهذا كله يعبر عنه ، غير العلمـــاء ، بـــكلمة واحـــدة هـــى « اللعنة » .

* * *

فى عام ١٦٥٦ دخل عالم جيولوجى من جنوب أفريقيا كهفا على عمق ١٥٠ مترا تحت الأرض فى روديسيا فشاهد آلاف الوطاويط المحنطة .

أحس العالم واسمه الدكتور « جون وايلز » بضيق فى التنفس فغادر الكهف .

بعد أيام أصيب بالتهاب رئوى ونقل الى المستشفى .

وجد الطبيب المعالج أن مرض العالم يـرجع إلى نـوع غـريب مـــن الفطريات أرسلها الى الولايات المتحدة لتحليلها لأنه قـرأ عـن ميـكروب مماثل وجد لدى الرواد الذين دخلوا كهوفا فى بيرو .

تبين من التحليل أن الميكروب واحد . . ومن هنا بدأ الشـك فى أن يكون الميكروب نفسه هو الذى أدى إلى مرض أوموت الذين دخلـوا قبـور الفراعنة .

وأكد هذه النظرية الدكتور الدكتور عز الـدين طـه أسـتاذ البيـولوجيا بطب القاهرة .

عقد مؤتمرا صحفيا فى ٣ مـن نـوفمبر ١٩٦٢ اعلن فيـه انـه فحص موظفى المتحف المصرى ورجال الآثار وعمـاله فـوجد ان البعض منهـم مصاب بالتهاب فى الجهاز التنفسى نتيجة فطريات لا بـد أنهـا وجـدت فى قبور المصريين القدامى وآثارهم .

وقال إن هذا الميكروب يبيـن سر وفـاة الفـراعنة ويقضى على حـكاية اللعنة لانه يقدم سببا علميا للمرض .

ولكن توفى الدكتور عز الدين طه نتيجة تصادم سيارته فى حادث . .

كان فى طريقه الى السويس مع اثنين مـن مسـاعديه عنـدما انحـرفت السيارة يسارا فاصطدمت بسيارة أخرى قادمة الى القاهرة فمـات الـطبيب ومساعداه ولحقت اصابات خطيرة بركاب السيارة الثانية .

وتبين من الفحص ان خللا فى الدورة الدموية أدى الى وفـاة الـطبيب الذى كان يتعاطى مضادات حيوية بصفة منتظمة اثنـاء اجـراء ابحـاثه على موظفى المتحف ورجال الآثار .

وبذلك انتعشت من جديد حكاية « لعنة الفراعنة » !

* * *

ولكن . .

هناك حقيقة هامة وهى ان معظم الذين قيـل ان « لعنـة » الفـراعنة الملك توت عنخ آمون قتلتهم أغلبهم من الاجانب وليسـت لهـم عـلاقة بعملية التنقيب والحفر . . انهم مجرد زوار .

يبقى شخص واحد وهو اللورد كارنارفون .

انه الرجل الذى جاء الى مصر بحثا عن جو دافىء بعد حادث سيارته فى المانيا .

وقد انفق المال للتنقيب عن المقبرة ثم مات فكأن كل دوره اقتصر على عمليات التمويل وبعد أن أدى دوره اختفى بالموت بينما « بعث » ! توت عنخ آمون ! !

وبأختفاء كارنارفون فقد كارتر شخصية ذات نفوذ قوى مؤثر على المسئولين بدار المندوب السامى البريطانى وفى الوزارة المصرية ومصلحة الآثار . . وكان يمكن لكارنارفون ان يضغط على حكومة مصر لتسلمه بعض آثار المقبرة .

أما اولئك الذين اشتركوا فى عمليات التنقيب والترميم والحفر ونقل آثار الملك توت عنخ آمون فهؤلاء عاشوا حتى أتموا مهمتهم . .

وهذه بعض الأسماء . .

هوارد كارتر اكتشف المقبرة عام ١٩٢٢ عاش بعدها ١٧ سنة ومات عام ١٩٣٩ وعمره ٦٦ عاما .

هارى بيرتون المصور الذى التقط ١٨٠٠ صورة لكل الآثار وصور أيضا تشريح المومياء عاش ١٨ سنة بعد افتتاح المقبرة ومات عام ١٩٤٠ وعمره ٦١ سنة .

وارثر ميس مساعد كارتر وشريكه فى تأليف المجلد الاول عن العملية كلها والذى مات فى فندق اللورد كارنارفون .

كل الذين قالوا ان اللعنة لحقت بميس لم يذكروا أبدا انه مات بعد إكتشاف المقبرة بست سنوات كاملة . .

توفى سنة ١٩٢٨ وعمره ٥٤ عاما .

والبرت مورتون ليتجو أمين القسم المصرى بمتحف المتروبوليتان فى نيويورك ، ورئيس بعثة المتحف للبحث عن الآثار المصرية وهو الذى رحب باشتراك أعضاء بعثة المتحف من علماء الآثار والعمال الفنيين عاش ١٢ سنة ومات عام ١٩٣٤ .

وعاش السير فلاندرز بيترى ٢٠ عاما بعد افتتاح المقبرة ومات وعمره ٩٢ سنة .

وهربرت وينلوك الأمين المساعد للقسم المصرى بمتحف المتروبوليتان وعضو بعثته للتنقيب عن الآثار المصرية فى الاقصر ، وصديق كارتر ، الأول أو الوحيد ، كان أول من ابرق الى كارتر يقول إن الآثار التى اكتشفها المليونير الامريكى تيودور دافيز تؤكد أنها للملك توت عنخ آمون . . وكانت برقية وينلوك أهم حافز لكارتر للاستمرار فى البحث والتنقيب وصولا الى المقبرة .

عين وينلوك مديرا لمتحف المتروبوليتان عام ١٩٣٢ . وعاش بعد افتتاح المقبرة ٢٨ سنة ومات سنة ١٩٥٠ وعمره ٦٦ عاما .

وادوارد روبنصون ـ مدير متحف المتروبوليتان عند الاكتشاف ـ والذى اعطى الموافقة النهائية على اشتراك رجال المتحف فى مساعدة كارتر . . عاش روبنصون ٩ سنوات بعد الكشف ومات عام ١٩٣١ وعمره ٧٣ سنة .

والاسماء كثيرة

جوستان ليفيفر كبير امناء متحف القاهرة ـ حينئذ ـ عاش ٣٥ سنة بعد الكشف ومات فى الثامنة والسبعين من عمره .

والترهوسر المهندس المعماري ، ومساعدوينلوك في مصر وفي مقبرة الملك توت عاش بعد الكشف ٢٧ عاما ومات وعمره ٦٦ عاما .

وجان كابار عالم الآثار البلجيكي الذي دعا ملكة بلاده لزيارة المقبرة يوم افتتاح غرفة الدفن ورافقها يومئذ عاش ٢٥ سنة أخرى ويوم وفاته كان في السبعين من عمره .

والفريد لوكاس مدير معمل الكيمياء بمصلحة المساحة المصرية والذي رمم كل آثار الملك عاش ٢٣ عاما بعد الكشف ومات وعمره ٧٣ سنة .

وانجلباك مفتش آثار الوجه القبلي والذي ظل يتردد على المقبرة يوميا لحمايتها من السرقة عاش بعد اكتشافها ٢٤ سنة ومات وعمره ٥٨ عاما .

والسير الان جاردنر الذي فك الرموز الهيروغليفية التي وجدت على جدران المقبرة عاش ١٧ سنة ومات في السابعة والسبعين .

وعاش ١٣ سنة اخرى بعد الكشف حتى الثامنة والسبعين كل من هنري جيمس برستد عالم الآثار الامريكي الذي بلغ السبعين وكيبيل مساعد لاكو

والمهندس ارثر كالندر مساعد كارتر عاش ٩ سنوات أخرى

واخيرا بيير لاكو مدير مصلحة الآثار الذي أصر على الحفاظ على كل آثار الملك في مصر طال عمره ! بعد الجميع

عاش ٤١ سنة أخرى بعد افتتاح المقبرة . ويوم مات كان في التسعين من عمره .

... وبعد

فانها لعنة غريبة لم تمس انسانا كان له دور لصالح الكشف ، بل تركت هؤلاء يعيشون حتى يتم كل منهم عمله فى كشف آثار الملك ، وحفظها ، وترميمها ، ونقلها الى المتحف المصرى فى القاهرة !

المواجهة

رجل واحد أدرك أهمية المقبرة ، منذ اللحظة الأولى ، وفكر فى مستقبل آثار توت عنخ آمون . ومن الأولى بأمتلاكها .

هذا الرجل هو السير ارنست واليس بادج الذى ظل ٥١ عاما أمينا للقسم المصرى بالمتحف البريطانى زار مصر عدة مرات للتنقيب عن الآثار وجمع كميات هائلة منها للمتحف البريطانى . واستعان بالجيش عندما قامت عقبات فى طريق سرقته لآثار مصرية فى منطقة الأهرامات .

كتب فى صحيفة « التايمس » البريطانية مقالا طويلا عن مصر وتاريخها ، وتوت عنخ آمون ، وذلك بعد ٢٤ ساعة من إفتتاح المقبرة رسميا .

قال :

« تنص القوانين الخاصة بأعمال البحث والتنقيب التى يقوم بها الأجانب فى مصر على أن يكون للمكتشف نصف الآثار التى يعثر عليها .

وكانت هذه القوانين تسرى بكرم وسخاء فى عهد ماسبيرو .

ورجاؤنا أن تطبق هذه القوانين أيضا فيما يتعلق بالآثار التى اكتشفت اليوم . وآملنا أن يحذو مدير المتحف المصرى حذو ماسبيرو فى معاملته للورد كارنارفون .

إن العامل يستحق أجره . ولكن اللورد كارنارفون أشتغل ١٦ عاما بدون أجر وفوق ذلك أنفق مبلغا من المال » .

ولكن السير ارنست واليس بادج كان يعتقد أن مصر لم تتغير منذ نقب عن الآثار وسرقها .

قال فى مقاله :

« إن الأمر يعتمد على اللورد اللنبى ... وحكومة مصر » !

فان بادج ظن أن المندوب السامى البريطانى يستطيع أن يحصل لبريطانيا على ما تريد من آثار الفرعون .

* * *

كانت هذه مجرد بداية تابعها اللورد كارنارفون وهوارد كارتر بأصرار .

أدلى اللورد بحديث إلى صحيفة « التايمس » قال فيه أن القبر نبش فى عهد رمسيس التاسع أى بعد أكثر من مائتى عام من وفاة توت عنخ آمون . وما دام القبر غير سليم وسرق فان من حق المكتشف الحصول على نصف الآثار طبقا لقانون ماسبيرو .

وزعم كارتر أنه وجد « ختم » رمسيس التاسع على المقبرة مما يقطع بأن القبر سبق نبشه وإعادة ختمه مرة أخرى .

ورأى اللورد كارنارفون أن يستغل متاحف العالم الكبرى للضغط على حكومة مصر فقال انه « لا يريد هذه الآثار لنفسه بل يريد أن يهدى جزءا منها إلى المتحف البريطانى ومتحف اللوفر ومتحف الفنون « المتروبوليتان » فى نيويورك » .

وجاء العالم الأثرى جيمس هنرى برستد ليؤكد هذه الحقيقة من خلال مراجعة النقوش الهيروغليفية فى المقبرة فقال إنه وجد ختمين الأول

للملك توت عنخ آمون والثانى لمدينة الموتى الملكية مما يدل على أنه جرت محاولة لسرقة المقبرة وأعيد ختمها .

ولكن برستد قال إنه راجع الأختام فوجدها من عهد الأسرة الثامنة عشرة التى ينتمى إليها توت عنخ آمون أى أن السرقة تمت فى عهد هذه الأسرة لا فى عهد الأسرة ١٩ التى ينتمى إليها رمسيس التاسع .

ولكن اللورد وكارتر لم ينشرا شهادة برستد لأنهما يريدان اثبات أن القبر سرق بعد وفاة الملك توت بمائتى عام أو أكثر مما يؤكد حقهما فى نصف الآثار .

* * *

اذاعت وكالات الأنباء على العالم فى ٣ من ديسمبر عام ١٩٢٢ أن قيمة الآثار تقدر بمبلغ ثلاثة ملايين جنيه وهو رقم ضخم بحسابات ذلك الزمان إذا عرفنا أن كل ما أنفقه اللورد خلال ١٦ سنة من الحفر لا يتجاوز ٥٠ ألف جنيه .

وبدأ اللورد يحلم بنصف هذا المبلغ وهو الذى فكر فى وقف الحفر فى ذلك الموسم حتى لا ينفق خمسة آلاف جنيه !

* * *

استمرت المطالبة بنصف الآثار عن طريق الصحف البريطانية والأمريكية بدعوى أن المقبرة ليست سليمة . وما دام اللصوص قد دخلوها مرتين ونبشوها يصبح من حق كارنارفون الحصول على نصف الآثار .

قالت « التايمس » : القانون يقضى بأن تنقل الأشـياء الثمينـة إلى متحف القاهرة ، وتأخذ الحكومة نصف البـاقى ، ويـأخذ الـذى عثـر عليها النصف الآخر .

وكتب الأثريون البريطانيون يطالبون بضرورة أعطاء المكتشف حصـة وافرة من الآثار ، وحثوا الحكومة البريطانية على التـدخل لـدى حـكومة مصر للتنازل عن جزء من الآثار .

اضطرت وزارة الأشغال المصرية إلى إذاعة بـلاغ رسـمى فى ٢١ مـن ديسمبر ١٩٢٢ تعلن فيه أنه ليس من حق اللـورد الحصـول على شىء مـن محتويات المقبرة لأن الترخيص ينص على حق المصلحة فى كل الآثار .

قال البيان :

« كثر تحدث الصحف عن نبأ الاكتشاف وعلق عليه بعضـها بمـا لا يطابق الواقع فوزارة الأشغال العمومية تنشر الآتى اثباتا للحقيقة :

للآثار المكتشفة أهمية جليلة وقيمة عظمى من الوجهة الفنيـة فـإنها مجموعة كاملة سليمة .

وقد أتخذ كل ما يلزم من التدابير لحراسة المكان حراسة دقيقة ريثما يتم الاستعداد لنقل المحتويات بما ينبغى فى هـذه الأحـوال مـن العنـاية الخاصة ووسائل الاحتياط التام . فهناك عمال اللـورد كارنـارفون الذين اكتشفوا هذه المقبرة ومعهم خفراء مصلحة الآثـار يعـاونهم جنـود مـن بوليس مديرية قنا .

أما مصير الاثار المكتشفة فليس هناك ، خـلافا لمـا أظهـرته بعض الصحف ، ما يدعو إلى ازعاج الرأى العام المصرى بشأنه .

ولبيان ذلك نذكر أن لائحة الآثار المصرية تنص على اعطاء المكتشف نصف ما يعثر عليه من الآثار (مع أستثناء أشياء معينة قضت اللائحة بحفظها للحكومة المصرية) .

ولكن نظرا لما تعلمه وزارة الأشغال العمومية من أهمية منطقة وادى الملوك من الوجهة الأثرية .

ولما كان منظورا من العثور على آثار قيمة قد نص صراحة فى الترخيص المعطى للورد كارنارفون على ألا يكون له حق فى الاستيلاء على شيء مما قد يعثر علية .

وقد قبل اللورد كارنارفون هذا النص عن طيب خاطر فكان عمله فى هذا برهانا جليا على تنزهه عن المطامع المادية وتفانيه فى خدمة العلم ومحبة الفن .

ولقد أشارت بعض الصحف إلى أن اللورد كارنارفون يطمع فى احراز هذا الكنز الثمين . ولكن وزارة الأشغال العمومية لا تعلم عنه وعن عامله الفاضل المستر كارتر أنهما أظهرا أى رغبة فى الاستئثار بشيء منه .

وعما قريب تتخذ التدابير اللازمة لنقل هذه العاديات إلى دار الآثار المصرية بالقاهرة . وتنظر الحكومة ، بعد ذلك ، فيما إقترحته لجنة حفظ الآثار نحو مكافأة اللورد كارنارفون إعترافا بجليل خدمته للتاريخ » .

ولكن كارتر جمع مساعديه وأعلن يوم ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٢٢ أن القبر لم يمس وأنه اقتحم بعد ٢٥ سنة من وفاة الملك توت وأن أحدا لم يدخله منذ عام ١٣٧٧ ق . م .

وقال إنه واثق من أنه سيجد مومياء الملك .

وكان هدف كارتر من ذلك تأكيد حقه فى نصف الآثار .

ولكن المصريين فسروا هذا البيان بأنه دليل على أن المقبرة نبشت ولكنها لم تسرق ، وأنها سليمة . فقد بقيت لا تمس ثلاثة آلاف عام ولذلك فان قانون ماسبيرو يقف مع وزارة الأشغال ولا يساند وجهة نظر كارتر بأى حال .

وأدركت ذلك صحيفتا الديلى اكسبريس البريطانية والنيويورك تايمس الأمريكية فوجهتا اللوم إلى كارتر لأنه ببيانه . . خسر قضيته .

ولكن السير فردريك كينيون مدير المتحف البريطانى وقف مع كارتر ليحول المناقشة فى اتجاه أخر .

كتب يقول أن نصف الآثار حق مقرر للورد وله أن يحتفظ بهذه الآثار وأن يهدى هذا النصف أو بعضه لمن شاء .

وكان كينيون يقصد من ذلك أنه لا نقاش فى نصيب اللورد ولا جدال فى حقه فى اهداء نصيبه . . للمتحف البريطانى أو متحف المتروبوليتان الأمريكى !

ردت الصحافة المصرية بأن هذه الآثار مرآة الماضى ، يرى فيها المصريون عجزهم الحالى وقصورهم .

وقال بعض الكتاب إن للآثار لوائح وقوانين تنص على إعطاء مكتشفيها حصة منها فيما عدا الآثار التى لا نظير لها فتبقى فى مصر . . واللوائح والقوانين لا تنطبق على الآثار التى وجدت فى وادى الملوك لأن بين الحكومة المصرية واللورد عقدا ينص على أن جميع الآثار التى توجد فى المقابر السليمة تكون ملكا للحكومة المصرية .

ويتعين على الحكومة أن تتمسك بهـذا العقـد ولن يـؤثر فيهـا بعض الصحفيين الانجليز وإذا استخدمت الحكومة المصرية حقها فى الاستيلاء على أملاكها فلا يحتمل أن تحصل المتاحف الأخرى على نصيب من هـذه الآثار .

وتكتب صحيفة مصرية بأن من حق اللـورد وكارتـر ومسـاعديهما الحصول على أوسمة وإقامة تماثيل لهم ولـكن الآثـار يجـب أن تبقـى لمصر .

ونشرت صحيفة « مورننج بوست » البريطانية أن الحكومة المصرية لا تجد مندوحة من الأذعان لصحافة مصر .

وجد بيير لاكو مدير مصـلحة الآثـار أن ظـروف مصر السـياسية لا تساعده على الوقوف فى وجه كارتر ورأى أن تأجيل البـت فى ملـكية الآثـار ومناصفتها أفضل من أى قرار ! !

رأى اللورد كارنارفون أن يقطع الشك باليقين .

طلب اللورد من لاكو مدير مصلحة الآثار ما اكتشف من آثار منـاصفة بينهما أى بين اللورد والمصلحة .

أخذ كارنارفون يؤكد وجهة نظره قائلا :

ـ نصوص العقد واضحة . أن اللصوص دخلـوا المقبـرة مـن قبـل ولذلك فإن حقى واضح فى نصف الآثار .

رد لاكو :

ـ بل ان المقبرة لم تمس أبدا ولذلك فـإن كل مـا فيهـا يـؤول للمصلحة .

طال الجدل فى هذه النقطة ولكن لاكو قال :

ـ لنرجىء عملية التقسيم حتى يتم ترميم الآثار ونقلها إلى المتحف المصرى فى القاهرة .

وأضاف تلميحا :

ـ لابد من حصولكم على أية حال على نصف الآثار المكررة التى اكتشفت .

ورفض لاكو أن يحدد عدد الآثار ونوعها واكتفى بالأشارة العامة المبهمة . . الغامضة . . اطمأن اللورد إلى هذا الوعد خاصة وأن لاكو قال له :

ـ كلما قمتم بعمل ضخم فى ترميم الآثار كلما أخذتم نصيبا أكبر !

* * *

أبلغ اللورد ذلك إلى ليتجو فى لندن الذى بعث برسالة إلى ادوارد روبنصون مدير متحف المتروبوليتان فى نيويورك وقال له :

ـ أننا سنساعد اللورد فى حفظ وترميم ونقل الآثار . وقد تعهد بأن يعطينا بعض الآثار .

رد روبنصون قائلا :

ـ لابد من استمرار بعثة المتحف فى مصر فى التنقيب عن آثار الأسرة ١١ .

أجاب ليتجو :

ـ أننا سنستمر فى الحفر . ولكن ما سنأخذه من اللورد أفضل من كل حفائرنا فى الماضى والمستقبل . أن اللورد متأثر من مساعدتنا له .

ويتمادى متحف المتروبوليتان فى مساعدة كارنارفون وكارتر والأمال تراود رجال هذا المتحف فى اثار توت عنخ آمون خاصة وأنهم يمسكون بأيديهم كل يوم هذه الثروة الضخمة ويعدونها ويعبئونها ويشحنونها للمتحف المصرى بالقاهرة !

* * *

عقد كارتر - من ناحيته - عدة اجتماعات سرية مع لاكو لبحث ملكية الآثار الذى قال له :

- سيكون من حقكم اختيار مجموعة ممتازة من الآثار .

طلب كارتر ، وهو ذكى حريص ، من لاكو تسجيل ذلك الوعد كتابة .

قال لاكو :

- تكفيك كلمتى . ولا أريد علانية فى هذا الأمر .

اطمأن كارتر وأبلغ ذلك للورد الذى أجتمع بليتجو وقال له :

- ثق أنى سأراعى كثيرا متحف المتروبوليتان .

فرح ليتجو وكتب لروبنصون فى نيويورك قائلا :

- أرجوك حفظ هذه المسألة سرا بيننا . لا تبلغ هذا الأمر لمجلس إدارة المعهد عدا اثنين وسماهما بالاسم لأنهما يكتمان الأسرار .

وفى متحف المتروبوليتان فى نيويورك توجد هذه الرسالة التى كتبها ليتجو وقال فيها : « كان كارنارفون بسيطا ورائعا وهو يبلغنى ذلك » !

* * *

أصبح اللورد وكارتر والمتحف البريطانى ومتحف المتروبوليتان على يقين من أن نصف الآثار فى طريقها إليهم فبدأ كارتر يدلى بتصريحات يبدى فيها أمله فى أن تظل مجموعة الآثار متكاملة فى المتحف المصرى !

وكان كارتر ـ فى هذه التصريحات ـ مناورا يريد أثبات حسن نيته لتبادله وزارة الأشغال المصرية حسن النوايا وتهبه نصيبا أكبر من الآثار .

ولكن رسائل اللورد السرية لكارتر من لندن أكدت أن الأثرى كان يحاول سرا مع لاكو الوصول إلى نصف الآثار !

* * *

عاد اللورد كارنارفون إلى مصر ومات بعضة البعوضة ، ويبقى كارتر وحده بعد أن فقد مساندة اللورد ونفوذه وصلته باللنبى والدوائر المسئولة فى لندن والقاهرة .

لاحظ بيير لاكو أن كارتر يسجل الآثار بطريقة تثير الشكوك .

أنه يسجل فى دفاتر المتحف المصرى بالقاهرة بعض الآثار التى ينبغى أن تؤول إلى حكومة مصر .

ويضع فى قوائم خاصة الآثار المكررة مما يوحى بأنها ملكية مشتركة بين المصلحة والمكتشف . وهى طريقة مقنعة لأثبات حقوق اللورد . . فيما بعد . .

وبالاضافة ألى ذلك فان كارتر يصف بالتفصيل كل شىء فى هذه القوائم حتى يؤكد عملية الأزدواج والمطالبة واثبات الحقوق .

وتزداد المشاكل بين كارتر والصحافة حول عقد التايمس وأحتكارها للأنباء الصحفية الخاصة بالمقبرة ، وحق كارتر فى اختيار من يدخل المقبرة ومن لا يدخلها ،

أعد بيير لاكو نصوصا فى عقود التنقيب الجديدة تتضمن حق الحكومة المصرية المطلق فى الاشراف على عمليات الحفر . . وللحكومة المصرية وحدها منح دخول مناطق التنقيب للأجانب . وأيضا حق الحكومة المصرية فى النشر عن هذه العمليات .

وبعث لاكو بالنصوص الجديدة إلى كارتر قائلا :

- يريد وزير الأشغال كشفا بأسماء معاونيك .

رد كارتر :

- أنى حر فى استخدام من أشاء ما دمت ملتزما بنصوص الترخيص .

قال لاكو :

- لابد من أسماء مساعديك حتى يوافق الوزير على دخولهم المقبرة .

حاول كارتر الأعتراض ، ولكن لاكو قال :

- لن يدخل أحد المقبرة ألا بإذن من الحكومة المصرية لضمان أن يدخل المؤهلون الذين يعملون فى هذا الكشف العلمى ولابعاد الفضوليين .

ولكن لاكو لم يستطع أن يفرض رأيه أو يغير العقود فقد استقال محمد توفيق نسيم باشا رئيس وزراء مصر يوم ٩ من فبراير عام ١٩٢٣ بعد أن وافق على كل التعديلات التى طلبها الجنرال اللورد اللنبى على دستور مصر وأسقط من هذا الدستور كل المواد الخاصة بالسودان .

وبقيت مصر بلا وزارة خمسة أسابيع عندما أختار الملك يحيى ابراهيم باشا رئيسا للوزارة .

وكان يحيى ابراهيم فى الحادية والستين من عمره .

بدأ حياته كاتبا فى وزارة العدل وأنتقل للتدريس فى مدرسة الحقوق وأصبح أستاذا ثم وكيلا لها ثم أنتقل ألى وزارة العدل قاضيا بمحكمة الاسكندرية وتوالت تنقلاته وترقياته السريعة فتولى منصب رئيس محكمة الأستئناف ويختار وزيرا للمعارف فى وزارة يوسف وهبه باشا فى ٢٠ من نوفمبر ١٩١٩ وهى وزارة شكلت بعد الثورة وأعلن رئيسها أنها وزارة إدارية لا شأن لها بالأمور السياسية .

وعندما أسندت رئاسة الوزارة ألى محمد توفيق نسيم باشا فى أول ديسمبر عام ١٩٢٢ تولى يحيى باشا وزارة المعارف أيضا . .

ولما لم يجد الملك أحمد فؤاد رئيسا للوزراء خلال الأسابيع الخمسة التى أعقبت استقالة توفيق نسيم وجد أن يحيى ابراهيم يصلح لرئاسة الوزارة فى تلك الفترة الحرجة !

وفى تقارير اللورد اللنبى قال أن « يحيى باشا يفعل دواما ما يؤمر به وأنه يصبح عنيفا عندما يجد من يؤيده وإنه خاضع لحسن نشأت باشا رجل الملك » !

وتسند وزارة الأشغال إلى حافظ حسن باشا مدة شهرين ثم يتولاها فى ١٥ من مارس ١٩٢٣ عبد الحميد سليمان باشا زوج ابنة إسماعيل سرى باشا .

ورأى المندوب السامى فى وزير الأشغال الجديد يتلخص فى « أن علاقته بالانجليز طيبة ومرضية للغاية بل انه يتمادى فى اعلان ذلك » .

* * *

تقدم كارتر نيابة عن الليدى المينا أرملة اللورد كارنارفون إلى عبد الحميد سليمان باشا يطلب الترخيص بمواصلة التنقيب فى المقبرة لمدة عام آخر لأن كل التراخيص السابقة صدرت باسم اللورد .

عقدت عدة اجتماعات فى مصلحة الآثار بالقاهرة وفى الاسكندرية لمناقشة الطلب .

عارضت المصلحة فى أنفراد « التايمس » وحدها بأخبار الكشف ولكن كارتر رأى أن يتغلب على الأعتراضات بتعيين أرثر ميرتون مراسل التايمس عضوا فى فريق الكشف الأثرى بحيث يستطيع دخول المقبرة وقتما يريد دون أن يثير أعتراضا من أحد ولكن لاكو أصر على حق الصحفيين المصريين فى الحصول على الأخبار فوافق كارتر بشرط واحد وهو أن يوزع بيانا مكتوبا عليهم بعد أن يبرق مراسل التايمس برسالته إلى لندن .

واضطر لاكو إلى أن يكتب إلى عبد الحميد سليمان باشا وزير الأشغال قائلا :

« إذا أصر كارتر على عدم احترام إرادة الحكومة فيما يختص بزيارة أصدقائه ومساعديه للمقبرة فيجب أن تطلق يد مصلحة الآثار لمنع هذه الزيارات بقوة البوليس » .

وقال مدير الآثار :

« . . ويجب رفع المسألة إلى القضاء فان هناك أحوالا يصبح الصبر فيها جريمة من الجرائم وأنها لضربة قاضية لسلطة الحكومة وهيبتها أن تعمد دائما إلى التهديد والا تعول أبدا على العمل .

ومن لا يحسن أن يدافع عما يعتقده حقا من حقوقه يكن قد سلك أضل سبيل لادراك هذا الحق »

وطلب لاكو أن تتولى مصلحة الآثار مراقبة زيارات أصدقاء كارتر للمقبرة وتحديد عدد مساعديه ولكن كارتر رفض .

كتب إليه لاكو :

« تلك هى المرة الأولى التى تجد فيها مصلحة الآثار صعوبات وعقبات فى سبيل البحث عن الآثار »

ولم يكتف لاكو بذلك بل طلب إلى وزارة الأشغال أن يوقع كارتر عقداً جديدا واضحا ، بعد انتهاء العقد القديم ، يحدد موقفه ، وموقف الحكومة ، منعا لأى أشكال .

أشتدت حملة الصحف المصرية والأجنبية ضد كارتر ومصلحة الآثار المصرية ووزارة الأشغال لأن مراسل التايمس وحده ، يدخل المقبرة على هواه .

ولكن كارتر تمادى . .

قامت مصلحة الآثار بطبع دليل جديد للمتحف المصرى فأضافت إليه أسماء القطع التى وجدت فى مقبرة توت عنخ آمون ونقلت إلى المتحف فاحتج كارتر بدعوى أن المصلحة افتأتت على حقوقه بنشر تلك المعلومات .

وطلب كارتر حذف هذه المعلومات وهدد برفع قضية على مصلحة الآثار دفاعا عن حقوق ورثة اللورد .

هنا فقط رفض عبد الحميد سليمان باشا تهديدات كارتر !

ولكن وزير الأشغال عبد الحميد سليمان تدخل وفرض رأيه قائلا لرجال مصلحة الآثار :

ـ تولوا أنتم الصحافة الأجنبية وسأتولى شخصيا صحافة مصر

ويجتمع عبد الحميد سليمان باشا ـ تحت ضغط الحملات الصحفية ـ بكارتر ويقول له :

ـ سبب المشكلة هو ارثر ميرتون مراسل التايمس فلو أنك منعته من دخول المقبرة وحده ، وسمحت له بالدخول مع الصحفيين الأخرين لانتهت الأزمة .

قال كارتر :

ـ أسف لا أستطيع الأمتثال للقيود التى تريدون فرضها على .

تدخل توتنهام وكيل وزارة الأشغال وأخذ كارتر معه إلى مكتبه وقال له :

ـ أن ما يطلبه وزير الأشغال منك هو مجرد تنازل سياسى محدود . انه يعطى حكومة مصر إشرافا روتينيا محدودا وربما يفيدك ذلك .

ولكن كارتر أنهى الحديث . . ففى تلك الأيام لم تكن حكومة مصر تملك أمورها أو أمور آثارها ومقابر أجدادها .

ورغم ذلك وافق الوزير فى ١٢ من يوليو ١٩٢٣ على منح ترخيص التنقيب لأرملة اللورد حتى أول نوفمبر ١٩٢٤ على أن يجدد بعد ذلك . . إذا لم يكن العمل قد تم . . محافظة على ذكرى اللورد كارنارفون .

قال الترخيص :

« تحتفظ مصلحة الآثار بأستعمال حقها فى الرقابة بكيفية لا تفسح المجال لشيء من تعليقات الصحف فى السنة الماضية ، وتحمى المنقب بقدر الامكان من الزيارات العقيمة .

ويفهم طبقا أن النشر محفوظ كله ، بحسب المألوف ، لليدى كارنارفون .

... أى التايمس » !

* * *

رأى لاكو أن الخلافات كلها تدور حول نقطة واحدة وهى أقتسام الآثار مناصفة .. فإن اللورد كارنارفون ، ومن بعده كارتر ، أشارا فى أكثر من مناسبة إلى حقهما فى نصف الآثار باعتبار أن المقبرة سبق نبشها وسرقتها .

ووجد لاكو أن منح امتياز النشر للتايمس والأصرار على أن من حق كارتر وحده السماح بدخول الزائرين المقبرة كل ذلك بهدف التمهيد لحقيقة واحدة وهى أن يفعل كارتر فى المقبرة ما يريد بقصد الوصول فى النهاية إلى نصف الآثار .

ووجد لاكو من ناحيته أنه قد حان الوقت لتحديد المواقف .

بدأ يكتب خطابات متتابعة إلى كارتر .

الأول فى ١٠ من ديسمبر ١٩٢٣

والثانى فى ١٦ من ديسمبر ١٩٢٣ يقرر فيه ملكية الآثار .

وعندما لا يجد لاكو ردا يكتب الخطاب الثالث فى ١٠ من يناير ١٩٢٤

قال لاكو بحزم :

« الحكومة لا تناقش بل تبلغك قرارها بعد أن استشارت إدارة قضايا الحكومة »

أما القرار ـ كما حدده لاكو ـ فهو أن كل آثار مقبرة توت عنخ آمون ملكية عامة . . وهى حق للمصلحة وحدها ، ولا توجد حقوق فيها . . . للسيدة المينا كارنارفون . . !

* * *

رأى كارتر أنه مع تولى عبد الحميد سليمان باشا وزارة الأشغال وبعد حصول أرملة اللورد على ترخيص جديد أن يدخل المعركة الحاسمة مع لاكو للحصول على نصف الآثار .

واعتقد كارتر أنه سيكسب المعركة حتما .

وبدأ يحشد أنصاره .

كتب أربعة من كبار علماء الآثار العالميين وهم آلان جاردنر وجيمس برستد والبرت ليتجو وبرسى نيوبرى ـ رسالة إلى لاكو بتاريخ ١٣ من يناير ١٩٢٤ شكوا فيها مما يتعرض له كارتر من مضايقات .

قالوا فى هذه الرسالة :

« أنك بحكم موقعك ـ كمدير عام لمصلحة الآثار ـ فشلت فشلا ذريعا فى تنفيذ الالتزامات التى تقع على عاتقك لحماية الاجراءات اللازمة لانجاز هذا العمل الهام » . .

وقالوا هناك اتفاق عام بين علماء الآثار على أن مستر هوارد كارتر يقوم بأصعب وأعقد مهمة بصورة تفوق كل أشادة .

ومعروف فى كل مكان أن زملاء العمل الذين جمعهم مستر كارتر هم مجموعة من العلماء ذوى الخبرة والقدرة الفائقة لم يتوفروا لأى مشروع أثرى من قبل . وأنك شخصيا اعترفت برضائك التام عن النتائج التى ينجزونها .

ومع ذلك فأن عملهم لسوء الحظ توقف هذا الموسم لا مرة واحدة ، ولكن عدة مرات ، بسبب مطالبك مثل تنظيم الزائرين ومسائل أخرى من هذا القبيل وهى مسائل ليست لها صلة بالعمل للمقبرة وحفظ محتوياتها .

وإلى جانب تعريض انجاز وأمن السجلات للخطر فان التأجيل غير الضرورى الذى حدث الآن يعرقل ويؤجل الموضوعات الخاصة بالهيئات المتعاونة فى هذه المهمة .

وهذه خسائر - لا يمكن تعويضها - فى الوقت والمال ، والتى تقدمها المنظمات التى توجد فى مصر لخدمة العلم وتقوم بانجاز يعود بالفائدة على الحكومة المصرية دون أن تتكلف مليما واحدا .

وإذا لم تذلل الصعوبات فأنك كمدير عام للآثار تكون قد فشلت تماما فى تنفيذ تعهداتك لحماية الاجراء العلمى ومن الضرورى لنا لفت الانتباه للأثر السيء لهذا الفشل من جانبك » .

وأعلن كبار الأثريين من معاونى كارتر أنهم سيشكون إلى اكاديمية العلوم البريطانية ومجلس الأبحاث القومى فى واشنطن واكاديمية الآداب والفنون الجميلة فى باريس .

بعث مورتون هاول الوزير الأمريكى المفوض إلى حكومته برقية يعلق فيها على رسالة العلماء الأربعة فقال :

« فى آخر خطابات الاحتجاج التى صاغها مستر كارتر - أو التى صيغت بناء على اقتراحه - والموجهة إلى السلطات المصرية .. سمح كل من مستر ليتجو (عن متحف المتروبوليتان) والبروفيسور بريستد (من جامعة شيكاغو) لنفسيهما بالتوقيع على الخطاب .. الأمر الذى اعتبره خطأ بينا نظرا لأن تصرفهما هذا يعنى على الأقل أنهما يدفعان الحكومة المصرية إلى اتخاذ موقف معارض لاستمرار عمل علماء المصريات الأمريكيين بعد انتهاء العام .

اننا أستطعنا بقدر من الصعوبة أن نقنع فى نهاية الأمر هذه الحكومة بالسماح لدول أجنبية - بينها دولتنا - بمواصلة الحفائر بموجب العقد نفسه الذى تم الحصول عليه وسرى مفعوله خلال السنوات العديدة الماضية .

وقد سررت عندما وجدت عالم مصريات أمريكيا واحدا على الأقل يمتنع ، بوعى ، عن الدخول فى الجدل الدائر حول هذا الموضوع ، وهو الدكتور جورج ريزنر من متحف هارفارد .

ولا أوجه هذا النقد لمستر ليتجو أو البروفيسور بريستد بدافع شخصى بأى حال ، لأنى أكن لشخصيهما أوفر احترام وأقدرهما كل التقدير . ولكن المسألة ببساطة تتعلق بالدبلوماسية .

وأعتقد أن النهج العملى الذى سار عليه الدكتور ريزنر هو النهج الذى يسر الحكومة المصرية أكثر من غيره وهو النهج الذى يحقق بسهولة أكبر فرصنا للاستمرار بموجب العقد القديم »

وتبدأ الضغوط على مصر فقد أدرك الجميع أن لاكو كان يناور ،

خاصة بعد أن كتبت صحيفة وستمنستر جازيت البريطانية أن مجموعة فرنسية تريد الحصول على جانب من الآثار .

كتب ليتجو إلى متحف المتروبوليتان يطلب الاتصال بوزير الخارجية الأمريكى للضغط على الوزير المصرى المفوض فى واشنطن الذى عين - حديثا - فى منصبه ، وكذلك الضغط على السفير الفرنسى لوقف نشاط بيير لاكو المعادى والمعارض .

وأعلن السير جون مارشال مدير الآثار فى الهند أثناء زيارته للقاهرة استياءه من موقف مصلحة الآثار .

وهدد السير فردريك كينيون بأنه إذا لم يحصل ورثة اللورد على نصف الآثار فأن أحدا لن يبحث عن الآثار فى مصر لأنه لا توجد حوافز للمتاحف والأثرياء والأثريين .

- وتنبأ بريستد بأن مصر لن تسلم آثارها .

. . . وفى لهجة استعمارية بغيضة قال هربرت وينلوك

« ان التنقيب عن الآثار يمثل أهمية كبرى للاقتصاد المصرى والعمالة وأصحاب الحمير والجمال » وقال « وينلوك أن القرى المصرية أثرت من هذه الحفائر » !!

ولكن العالم الأثرى السير بيرسى نيوبرى كان أبعد نظرا وبصيرة قال فى خطاب هام فى صحيفة التنقيب المصرية فى لندن :

- هذا أخر الاكتشافات الأثرية الهامة فى مصر !

* * *

وفى ٣ من فبراير بعث كارتر برسالة طويلة إلى لاكو أكد فيها حقه فى أقتسام نصف الآثار . وقال انه كان من الاكرم الانتظار حتى يتم العمل العلمى فى المقبرة بترميم ونقل وتسجيل جميع الآثار ثم يبدأ الحديث بعد ذلك عن الحقوق القانونية للاكتشاف .

وقال ان المقبرة سبق اقتحامها فهى ليست سليمة . . وما ارسلته من آثار للمتحف المصرى لا يعتبر جزءا من مجموعة المتحف » .

وهكذا بدأت المواجهة حول ملكية الآثار نفسها لا حول مسائل ، مهما بلغت أهميتها ، فانها ثانوية !

إغلاق المقبرة

تغيرت الوزارة فى بريطانيا ومصر خلال يناير عام ١٩٢٤ .

فى بريطانيا جرت الانتخابات لمجلس العموم ففاز حزب المحافظين بـ ٢٥٩ مقعدا فى مجلس العموم والعمال ١٩١ وحزب الاحرار ١٥٩ .

وكان من الطبيعى ان يتولى حزب المحافظين حكم بريطانيا ولكن الاحرار اعلنوا انهم سيؤيدون العمال لا المحافظين ولكنهم لن يدخلوا الوزارة .

استدعى جورج الخامس ملك بريطانيا رامزى ماكدونالد ـ ٥٨ سنة ـ زعيم حزب العمال وشكا اليه من ان نواب الحزب الاشتراكى يغنون نشيد « المارسيليز » وهو نشيد الثورة الفرنسية التى اعدمت ملك فرنسا لويس السادس وكذلك نشيد « العلم الاحمر » .

ولكن صاحب الجلالة لم يستطع الا ان يعرض على ماكدونالد تشكيل وزارة من حزب العمال . . لأول مرة . . .

تألفت الوزارة يوم ٢٢ من يناير ١٩٢٤ واحتفظ ماكدونالد لنفسه بوزارة الخارجية .

وفى اول اجتماع لمجلس الوزراء اشعل توماس وزير المستعمرات السيجارة الأولى فتبعه باقى الوزراء . وكانت هذه اول مرة فى التاريخ البريطانى يدخن الوزراء فى اجتماع مجلس الوزراء !!!

وأخذ رئيس الوزراء يعطى زملاءه درسا فى « الأتيكيت » ويطالبهم باحترام المواعيد ومخاطبته بلقب « رئيس الوزراء » .

كان على ماكدونالد ان يتحسس خطواته السياسية بحذر بالغ لأن حزب الاحرار يستطيع اسقاط الوزارة فى اية لحظة اذا تخلى عن تأييدها .

طلب سكرتير الملك ألا يحضر الاجتماعات داخل القصر الملكى إلا الوزراء الذين يرتدون البدلة الرسمية المخصصة لمثل هذه المناسبات . . وثمنها ٣٠ جنيها .

ويرى الوزراء ان موافقتهم على ذلك يعتبر « استسلاما طبقيا » !

ولكن رئيس الوزراء يضطر الى الموافقة حتى لايغضب الملك والعمال يبدأون عصرا وعالما جديدا .

وكانت المشاكل الدولية كثيرة امام الحكومة الجديدة . .

فرنسا استولت على منطقة « الروهر » الألمانية عندما تخلف الالمان عن سداد تعويضات الحرب .

وكان على الانجليز تحقيق التوازن فى اوروبا بين الفرنسيين والألمان .

وكان على ماكدونالد اقناع الدول الأوروبية بقبول الألمان فى عصبة الأمم .

اما العلاقات البريطانية السوفيتية فكانت سيئة بعد الثورة البلشفية وتريد بريطانيا عقد اتفاق تجارى بين البلدين وتسوية الديون والقروض .

وكانت المشاكل الداخلية فى بريطانيا متعددة .

فى أول اجتماع للمجلس قدم وزير الداخلية تقريرا عن وسائل توفير اللبن والطعام والفحم اذا أضرب عمال السكك الحديدية .

وكانت هناك تهديدات اخرى باضراب عمال احواض السفن ، وعمال مترو الانفاق فى لندن الذين انذروا الحكومة بالاضراب ايضا .

وكان صاحب الانذار السكرتير العام لعمال النقل والذى أصبح وزيرا للخارجية بعد الحرب العالمية الثانية .. أرنست بيفن !!

ويبعث قائد بوليس اسكوتلانديارد تقريره الاسبوعى الى رئيس الوزراء عن « الحركات الثورية » فى بريطانيا العظمى متسائلا :

- هل أوالى هذه التقارير فى ظل الحكومة الجديدة .

ويجد رئيس الوزراء ان التقرير يخص الحركات الاشتراكية والعمالية فيطلب ان يشمل التقرير النشاط السياسى اليمينى المتطرف ايضا !

وكانت البطالة مرتفعة بعد الحرب العالمية الأولى بلغت نسبتها ١٠ ٪ بين العمال ، والضرائب غير المباشرة كثيرة ومشاكل الاسكان متعددة وسياسة حزب العمال تنادى بتوفير فرصة لكل طفل فى التعليم .

وكانت هناك مشاكل عاجلة مثل انشاء قاعدة بحرية فى سنغافورة بناء على طلب وزارتى البحرية ورجال وزارة الخارجية وإلا تمت تصفية نصف سلاح البحرية وتعرضت الهند وسيلان للخطر وضاعت التجارة البريطانية !!

وكان على حكومة العمال حل كل هذه المشاكل وفرض سياسة اشتراكية وليست للحكومة اغلبية برلمانية ويمكن للحكومة ان تسقط فى اية لحظة .

* * *

وفى مصر أضطر الملك فؤاد لاستدعاء سعد زغلول زعيم حزب الوفد ليؤلف الوزارة لأول مرة .

كان سعد زغلول فى السابعة والستين ، درس فى الأزهر ، وعمل محررا فى الوقائع المصرية ومعاونا للداخلية واتصل بالشيخ محمد عبده وجمال الدين الافغانى وشهد الثورة العرابية واعتقل ٣ شهور بتهمة تأسيس جماعة الانتقام من اعداء هذه الثورة .

اشتغل بالمحاماة ٩ سنوات وكان أول محام يسند اليه منصب القضاء ١٢ سنة فى المحاكم الابتدائية والاستئنافية .

وتولى خمس سنوات منصب وزير المعارف ثم العدل واستقال عام ١٩١٢ لخلافه مع الخديو عباس حلمى الثانى واللورد كتشنر المعتمد البريطانى .

واختير عضوا فى الجمعية التشريعية عن دائرتين، أى عن نصف دوائر القاهرة، ووكيلا منتخبا لهذه الجمعية التى توقفت أعمالها بعد قيام الحرب العالمية الأولى.

وفى ١٣ من نوفمبر عام ١٩١٨ توجه مع زميليه على شعراوى وعبد العزيز فهمى الى دار المعتمد البريطانى السير ريجنالد وينجت يطالب بالاستقلال .

وكان ذلك اللقاء التاريخى الذى اطلق على يومه « عيد الجهاد » ، مقدمة لتأسيس الوفد ليطالب باستقلال مصر عن بريطانيا .

وعندما رأت السلطات العسكرية البريطانية وقوف الشعب وراء سعد اعتقلته يوم ٨ من مارس ١٩١٩ لمدة شهر مع محمد محمود واسماعيل

صدقى وحمد الباسل ونفتهم السلطات العسكرية البريطانية الى مالطه . . فكان الاعتقال والنفى بداية لثورة ١٩١٩ .

أفرج اللورد اللنبى المعتمد البريطانى الجديد عن سعد فسافر الى باريس ليحضر مؤتمر الصلح ولكنه منع من حضوره .

وتتابعت الاحداث وجاء اللورد ملنر الى مصر على رأس وفد بريطانى ليحاول الوصول الى حل يضمن مصالح بريطانيا .

وقاطع الشعب لجنة ملنر فتفاوض مع سعد فى لندن ، ولكن المفاوضات لم تنته الى نتيجة وتمزق الوفد بين سعد وعدلى ، وفشلت مفاوضات عدلى فى بريطانيا . وامتنع رجال مصر عن قبول رئاسة الوزارة .

اعتقل سعد مرة ثانية يوم ٢٣ من ديسمبر عام ١٩٢١ فى جزيرة سيشيل ثم جبل طارق حتى تقرر الافراج عنه فى ٢٧ من مارس عام ١٩٢٣ ولم يعد الى مصر إلا فى ١٧ من سبتمبر من ذلك العام بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ فاكتسح الوفد خصومه وفاز بأكثر من ٩٠ ٪ من مقاعد مجلس النواب وأسقط يحيى ابراهيم رئيس الوزارة التى اجرت الانتخابات . .

وقال سعد للملك فؤاد عندما عرض عليه رئاسة الوزارة محددا سياسة حكومته وهى احترام المصالح الاجنبية التى لا تتعارض مع الاستقلال . .

وهكذا جلس على كرسى رئاسة الوزارة فى كل من مصر وبريطانيا حزبان يتوليان الوزارة لأول مرة !!

* * *

اسندت وزارة الاشغال - التى تتبعها مصلحة الآثار - الى مرقص حنا بك بدلا من عبد الحميد سليمان باشا .

كان مرقص حنا فى التاسعة والأربعين من عمره يتقن الفرنسية وأختير نقيبا لمحامى القاهرة .

وكان عضوا بلجنة الوفد المركزية عام ١٩٢١ واشتهر بخطبه التى يدعو فيها لوحدة الاقباط والمسلمين .

وعندما نفى سعد زغلول الى سيشل اصبح مرقص حنا عضوا فى الوفد فى يناير عام ١٩٢٢ فدعا شعب مصر الى مقاطعة الانجليز وبضائعهم واعتقل اياما فى ثكنات الجيش البريطانى فى قصر النيل بالقاهرة .

واشترك مع ٦ زعماء وفديين يوم ١٨ من يوليو عام ١٩٢٢ فى طبع منشورات تدعو لكراهية الحكومة المصرية والتمرد على طغيانها وتحرض على قلب نظام الحكم .

كانت لهجة المنشورات ملتهبة ، عنيفة ، تدعو للاغتيال السياسى ضد طغيان الحكومة .

وتطالب كل مصرى بان يظهر رفضه للطغيان بكل الوسائل ، فاصدر قائد القوات البريطانية قرارا باعتقال الزعماء السبعة .

قبض عليهم فجر ٢٥ من يوليو فى ثكنات قصر النيل وحوكموا داخل الثكنات البريطانية امام محكمة عسكرية مؤلفة من ٥ ضباط انجليز .

بدأت المحاكمة فى العاشرة والنصف صباحا فطلب محامى مرقص فهمى وزملائه التأجيل اسبوعين فرفضت المحكمة .

وطلب ماكسويل النائب العام ممثل الادعاء الحكم باعدام المتهمين السبعة وأخذ يبين خطورتهم على امن بريطانيا وأمن الجيش البريطانى فى مصر .

طلب الدفاع التأجيل يومين فرفضت المحكمة ، فانسحب الدفاع من المحاكمة واكتفى المتهم الأول حمد الباسل بان تلا بيانا مكتوبا قال فيه ان الوفديين استعملوا حقهم المشروع فى نقد الحكومة ، ولكن المحاكمة انتهت فى اليوم نفسه بصدور الحكم باعدام المتهمين جميعا !

رأى القائد العام للقوات البريطانية تخفيف حكم الاعدام الى الأشغال الشاقة سبع سنوات وغرامة ٥٠٠٠ جنيه . .

وارتدى المتهمون ملابس السجن وصودرت اموالهم لتحصيل الغرامات .

وبعد صدور الدستور افرج عن مرقص حنا وزملائه فى مايو ١٩٢٣ .

وفى ٢٨ من يناير ١٩٢٤ تولى منصب وزير الأشغال .

كتب اللورد اللنبى المعتمد البريطانى فى مصر فى تقريره السنوى يصف وزير الأشغال الجديد :

« مرقص باشا حنا أول وزير للاشغال لم يكن مهندسا بالوزارة . وهو يبدو مستقيما ومتلهفا على فهم عمله ، وأظهر تصميما على ان تكون له الكلمة العليا فى مجاله .

ونظرا « لجهله » فانه مضطر للاعتماد بالكامل على الآخرين . وقد أظهر التحيز المعهود المعادى للانجليز ؟ . !!

* * *

وجد كارتر انه من الضرورى التعجيل بتأكيد حقه فى نصف الآثار بعد التغيير الوزارى .

وبنى افتراضاته على اساس ان اللورد كارنارفون كان مجاملا لسعد زغلول عندما زار لندن عام ١٩٢٠ ـ قبل اعلان الاستقلال . وأقام له ولزملائه مأدبة عشاء تكريما لهم .

ومن ناحية اخرى فان الوزارة الجديدة تهتم بشئون السياسة وجلاء الانجليز وتريد علاقات طيبة معهم تمهيدا للمفاوضات السياسية . . كما ان هذه الحكومة فى شغل عن شئون الآثار بمشاكل حادة .

* * *

قصد كارتر الى مكتب وزير الاشغال الجديد مرقص بك حنا لتهنئته يوم ٧ فبراير .

رأى الوزير ان يتفق على نظام حفل افتتاح التابوت الحجرى وأسماء المدعوين حتى لايحرم الصحفيون المصريون والأجانب من شهود هذه المناسبة القومية .

بدأ الوزير الحديث قائلا :

- زارنى العالم الأثرى « آلان جاردنر » واحتج على اجراءات مصلحة الآثار واعتقد انك الذى اوفدته .

نفى كارتر ذلك وقال ان كل الآثريين الكبار شديد والاستياء من مصلحة الآثار ، وهم يرون فى ذلك خطرا على البحث العلمى كما ان فيما يجرى ضياعا لوقت ثمين .

قال الوزير :

- اذا كان ثمة خلاف بينك وبين رجال مصلحة الآثار فاكتب شكواك واني على استعداد لبحثها .

وأضاف الوزير :

- لننس الماضي ، ومافات قد فات فلنحاول تجاهله .

وقال :

- ربما يكون لك حق قانوني في منح التايمس وحدها احتكار حقوق النشر ولكن ذلك ادى الى غضب كل الصحف .

رد كارتر :

- ان عقد احتكار التايمس سينتهي هذا الموسم .

قال الوزير :

- سمعت انك ستسافر الى الولايات المتحدة في الربيع القادم لالقاء محاضرات في هذا الكشف .

أجاب كارتر بالايجاب فقال مرقص حنا :

- هذا خطأ ان تسافر في الوقت الحاضر . ان تعهدك القيام بهذا العمل الدقيق يجعل منك موظفا مصريا عاما ويجب ان تستمر في هذا العمل حتى ينتهي .

قال كارتر :

- من حقي ان اختلف معك في هذه النقطة .

عند ذلك استدعى الوزير بيير لاكو .

جاء ومعه ملفات ودوسيهات ضخمة ، ذهل كارتر واخذ يسأل نفسه :

- كيف يقول الوزير انه يريد نسيان الماضى بينما يستدعى لاكو بمستنداته واوراقه .

قال لاكو :

- لقد سمحت يامستر كارتر لاشخاص بدخول المقبرة بلا تصريح .

رفض كارتر مناقشة الموضوع ، ولكن الوزير أصر .

واتفق الاثنان على نظام الاحتفال الذى سيجرى فى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ١٢ فبراير لفتح التابوت الحجرى الضخم الذى يضم رفات ملك مصر بعد ان رفع كارتر غطاءه ووزنه طنان من حجر الجرانيت !!

ووقع اتفاق بنظام الحفل فى اليوم التالى ٨ من فبراير ١٩٢٤ .

* * *

حذرت مصلحة الآثار من الافراط فى التفاؤل بالنسبة لفتح الناووس فقد يكون خاليا من جثمان الملك وأذاعت ادارة المطبوعات قبل ٢٤ ساعة من فتح الناووس بيانا جاء فيه :

- « هناك شيء » من الشك يحوم حول ماقد يوجد بداخل الناووس إن هذا الاكتشاف وان كان بالغا من العظمة كل مبلغ فهو ليس سابقة يهتدى بها ويقاس عليها لاسيما وان هذه اول مرة يهتدى فيها الى ناووس ملكى سليم ولكن تاريخ الدفن يرجع الى عهد مملوء بالانقلابات العظيمة والتطورات غير العادية .

* * *

شهد احتفال رفع غطاء الناووس الحجرى يوم الثلاثاء ١٢ من فبراير ٢٤ مسئولا كبيرا بينهم اللورد اللنبى الذى وصل بقطار خاص .

وجد بداخل التابوت الحجرى صندوق المومياء ملفوفا بقماش الكتان .

رفع الكتان فظهر تابوت يزيد طوله على ثلاثة امتار من الخشب المذهب .

وعلى غطائه صورة بارزة للملك مكسوة برقائق الذهب الخالى تغشى البصر .

وعلى رأس الملك تاج مذهب به رأس نسر والحية المقدسة . ويدا الملك مضمومتان الى صدره وقابضتان على صولجان الملك ومحليان بصفائح ذهبية جميلة .

وعين الملك من الاحجار الثمينة .

وقال الخبراء ان التابوت الخشبى يحتوى على تابوتين او ثلاثة ويوجد بالتابوت الاخير جثمان الملك . وقد ارجىء فتح تابوت المومياء الى الخريف .

كان بين الحاضرين مراسل التايمس .

وتخلف سعد زغلول باشا رئيس وزراء مصر ومرقص حنا بك وزير الاشغال .

* * *

وبعد انتهاء الحفل اشار كارتر الى ٢٢ من زوجات مساعديه سيقمن بزيارة المقبرة فى اليوم التالى بعد رجال الصحافة . .

قال محمد زغلول باشا وكيل وزارة الاشغال :

ـ هل بين مساعديك مسلمون ؟

قال كارتر فى دهشة :

- مامعنى هذا السؤال ؟

قال زغلول باشا :

- انى استكثر الأثنتين وعشرين سيدة على الستة عشر مساعدا إلا اذا كان بينهم مسلمون تزوج كل منهم باثنتين !

وقال محمد زغلول باشا انه سيتصل تليفونيا بالوزير فى القاهرة يطلب موافقته .

جاء رد الوزير بالرفض فان ذلك اليوم كان محددا لدخول الصحفيين المصريين والاجانب وحدهم الى المقبرة .

* * *

توجه محمد زغلول باشا الى الاقصر وارسل الى كارتر يستدعيه لمقابلته فاعتذر لكثرة اعماله وطلب ان يحضر اليه زغلول باشا !

تسامح « الباشا » وذهب الى كارتر فى فندق ونتر بالاس وسلم اليه صورة محضر اتفاق زيارة المقبرة الموقع بين الطرفين يوم ٨ من فبراير .

ولكن كارتر اعاد مرة اخرى موضوع الزوجات واضاف اليهم استور صاحب جريدة التايمس .

ووفق على زيارة استور ورفض طلب الزوجات .

وفى يوم الاربعاء زار ممثلو الصحافة المقبرة مع ستة عشر من مساعدى كارتر .

ورغب كارتر فى ادخال الـ ٢٢ سيدة فرفض وكيل وزارة الاشغال احتج كارتر ولكن زغلول باشا اصر على الرفض .

جن كارتر للقرار واسرع غاضبا عاصفا الى زملائه يسطلعهم على الرسالة فغضبوا مثله وقرروا الامتناع عن العمل .

ووضع كارتر اعلانا فى فندق « ونتربالاس » وزعه على الصحافة يقول فيه :

« ان جميع زملائى يحتجون ويرفضون مواصلة العمل ، وسنغلق القبر ولن يجرى فيه عمل بعد زيارة رجال الصحافة له اليوم . »

وبعث كارتر الى وكيل وزارة الاشغال بانه قرر اغلاق المقبرة . . .

وبالفعل اخذ مفتاحها الوحيد معه . . بعد اغلاقها !!

أصدر وكيل وزارة الاشغال القرار التالى :

« حيث ان المستر كارتر اغلق المقبرة من تلقاء نفسه وبغير اتفاق مع الحكومة . وحيث انه اخل بشروط النظام الذى وضع لفتح المقبرة .

وحيث ان بيده مفاتيح المقبرة .

وبعد المداولة مع لاكو مدير مصلحة الآثار فيما يجب اتخاذه للمحافظة على المقبرة وما فيها وما استخرج منها من آثار وضعت فى قبر الملك سيتى .

تقرر ان يتعاون محمد شعبان ابراهيم حبيب وانطون بولس الموظفان بمصلحة الآثار فى المحافظة ليلا ونهارا على مقبرة الملك توت ومقبرة الملك سيتى وعدم السماح بفتحهما لأى شخص سواء فى ذلك رجال كارتر او رجال الحكومة .

ويساعد كلا من هؤلاء الموظفين ثلاثة من خفراء الآثار بوادى الملوك .

ويراقب انجلباك كبير مفتشي مصلحة الآثار تنفيذ ذلك واخطار مركز الاقصر ومديرية قنا اية مخالفات » .

وعلى الفور احاط رجال الشرطة بالمقبرة .

* * *

فطن كارتر لخطورة اغلاق المقبرة فحاول دخولها ولكن رجال الشرطة منعوه ومعاونيه من الدخول فعاد الى بيته غاضبا هائجا ليبرق الى مرقص حنا وزير الاشغال قائلا انه يعد ذلك اهانة ماسة بكرامته .

قالت البرقية :

« يوم الجمعة الماضى منعنى البوليس المسلح من دخول قبر توت عنخ آمون . . وأطلعنى على امر ادارى من المدير العام للآثار المصرية بمنعى الى ان تصدر أوامر جديدة .

انى اعد عمل مدير الآثار مهينا . ومن الضرورى للمحافظة على سلامة الناووس ومحتوياته ان يسمح لى بدخول القبر الذى هو حق لى لا سيما ان التدابير التى عملت يوم الاثنين الماضى لتعليق غطاء التابوت الحجرى كانت تدابير وقتية .

ولما كان يجب ان اعطى الفرصة لاتخاذ الاحتياطات الكاملة لحفظ محتويات القبر والمعمل الكيماوى مدة الانقطاع عن العمل فأرجو معاليكم الجواب حالا لأن المسألة عاجلة جدا . . »

ـ وقال كارتر لرجال الصحافة : ان غطاء الناووس ترك معلقا بحبال قد لاتتحمل الضغط ولو قطعت لانقض الغطاء على التابوت وأصبح الناووس ومحتوياته وبينها مومياء الملك كومة من التراب !

رد وزير الاشغال بان كارتر المسئول عن كل ما جرى وانه الذى اغلق المقبرة بيديه .

ومع ذلك فان الحكومة تتسامح معه اذا تعهد خلال ٤٨ ساعة بتنفيذ كل ما تشير به الوزارة عليه وإلا عدت الامتياز الممنوح للسيد كارنارفون ملغيا وتولت بنفسها العمل .

قال مرقص حنا فى برقيته :

«ان الاحتياطات التى تشكو منها لم تتخذها الحكومة إلا بعد أن أقفلت أنت المدفن خلافا للبرنامج المتفق عليه بينك وبين الوزارة وبعد أن أضربت أنت ومساعدوك.

وبعد ما نشرت اعلانا فى ١٥ الجارى قلت فيه انه لن يتم بعد الآن عمل جديد فى المدفن .

وانى لمستغرب جدا ماعلمته من انك عندما اقفلت المدفن لم تتخذ جميع الاحتياطات الضرورية لضمان سلامة الناووس الذى يهم امره العلم والعالم باسرة .

وانى احتفظ بكل حقوقى فيما لو نشأ عن ذلك ضرر .

ومع ذلك فرغبة منى فى اعطائك فرصة اخرى ادعوك الى القيام بتعهداتك بصفتك ممثلا لصاحبة الرخصة .

واذا لم تبلغنى فى مدة ٤٨ ساعة بانك مستعد لاستئناف تنفيذ البرنامج المتفق عليه فى ٨ الجارى تلغى رخصة الحفر فى الحال .

وقد تلقى موظفو مصلحة الآثار الأوامر بان يكونوا حاضرين لمساعدتك اذا استأنفت العمل » .

أخذ العالم كله يتحدث عن الأزمة وتطوراتها ، وابعادها ، من زاوية واحدة وهى ان غطاء التابوت ، الذى يزن طنين ، معلق فى الهواء ، وقد يسقط ، فى لحظة على التابوت فيحطمه .

نشرت صحيفة « كريستيان ساينس مونيتور الامريكية » تحت عناوين عريضة .

« الرعب ينتشر . آثار لاتقدر بثمن قد تدمر غدا . . نزاع الاقصر . غطاء التابوت معلق فى الهواء » .

وهكذا أصبح مصير التابوت يهم العالم .

ولو ان كاتبا قال ذلك فى احدى رواياته لكان القراء قد اتهموه بالمبالغة . ولكن حقيقة مايجرى فى مقبرة توت عنخ آمون كانت أغرب من كل خيال !!!

طرد كارتر

كان يمكن ان تنتهى الأزمة ، وكأن شيئا لم يكن ، لو أن كارتر عاد إلى العمل فى المقبرة .

ولكن الجولة الأولى فى الصراع الحاسم كانت قد بدأت . . وأصبح التراجع يعنى التنازل عن ملكية نصف الآثار .

أبرق كارتر إلى مرقص حنا يقول انه شرع فى إتخاذ الاجراءات القانونية بالمحكمة المختلطة .

وبدأ كارتر ـ فى هذه البرقية ـ يملى شروطه قال :

« اذا اعتذر مدير الآثار العام عن إهانة السيدات اللواتى دعوتهن بالنيابة عن الليدى كارنارفون لزيارة القبر يوم الأربعاء الماضى بعد إنتهاء زيارة الصحفيين .

واذا تعهدت المصلحة بالامتناع عن كل إزعاج وتعرض . فأنى أعيد فتح القبر مدة عشرة أيام طبقا لاتفاق ٨ من فبراير الذى نقضتم المادة الثالثة منه » .

وزار ماكسويل محامى كارتر وزير الأشغال مرقص حنا فى منزله بشارع سليمان باشا ليؤكد ضرورة إعتذار مدير الآثار .

رد الوزير قائلا :

ـ كل ما فعله لاكو كان بناء على أوامــرى التــى أبلغتهــا لــوكيل وزارة الأشغال . وأنا المسئول عن كل مـا حـدث . ولا أجــد محـــلا ، أو داعيا ، للاعتذار عن شيء .

وصرح مرقص حنا وزير الأشغال لمراسل رويتر بأن الحكومة المصرية لا تستطيع أن تتحمل وقوف كارتر موقف الشاكى لها . ويجـب أن يـذكر أنه يعامل حكومة

ابرق كارتر إلى سعد زغلول شاكيا مصلحة الآثار وتضييقها عليه . حتى جعلت عمله مستحيلا .

قال كارتر :

« اسمح لنفسي ان اوجه انظار دولتكم إلى إهـانة كبـرى نـالتنى مـن موظفى مصلحة الآثار الذين منعونى صباح اليوم من تمكين أشخاص مـن أسر معاونى من زيارة مدفن توت عنخ أمون .

وانى واثق من أن دولتكم ستستنكرون هذا العمل . القليـــل المجاملة ، الذى هو فى الوقت نفسه غير مشروع ولا يمكن تبريره .

وبناء على ذلك احتج زملائى وأبـوا الاسـتمرار فى متـابعة التنقيبـات العلمية وآسف لانى مضطر فى هذه الحالة إلى إقفال المدفن وإلى مقـاضاة الحكومة المصرية »

رد سعد :

« ان رفض طلبكم الخاص بـزيارة بعض العـائلات للمــدفن فى اليــوم المخصص لزيارة مندوبى الصحف له هـو رفض إتفـاق سـابق اشـتركتم فيه . فموظفو مصلحة الآثار لم يقوموا الا بتنفيذ التعليمات التى تلقـوها فلا يمكن ان نلومهم على اى وجه من الوجوه .

ولكم الحرية فى ان تقاضوا الحكومة .

ولكن الحكومة تريد ان تكون مواعيد الزيارات مصونة ومحترمة .

واما ما يتعلق باقفال المدفن كما تقولون ، فانه شق على ان أضطر إلى تذكيركم بأن المدفن ليس ملكا لكم . وان العلم الذى تدعونه بحق لا يمكن ان يسلم باقدامكم مع زملائكم من أجل أمر خاص - بزيارة افراد يريدون تمييزهم على ترك التنقيبات العلمية التى لا تهتم بها مصر وحدها أعظم إهتمام بل يهتم بها العالم كله أيضا » .

خطب سعد زغلول فى فندق « سميراميس » بالقاهرة يوم ١٥ من فبراير فى حفل تكريم المحامين لوزارة الاشغال والعدل والمواصلات بإعتبارهم محامين سابقين فأشار إلى مشكلة الأقصر .

قال :

« ان المستر كارتر سلك سلوكا لا ترضاه الحكومة ولن ترضاه لأنه أتفق معها بمحضر رسمى على مواعيد الزيارات وأنواعها فلم يحترم الاتفاق .

وأراد أن يدعو للزيارة سيدات فى وقت لم يكن مخصصا لهن فعارض رجال الحكومة فى ذلك تنفيذا للاتفاق .

عز عليه أن يرى الحكومة معارضة لرغباته فأمر بإغلاق المقابر من تلقاء نفسه وكتب لى تلغرافا يقول بأن تصرف رجال الحكومة معه بمنع الزائرات تصرف غير لائق وأنه أمر بإغلاق المقابر (على ألا تفتح الا فى العام المقبل) وأنه سيقيم دعوى على الحكومة .

أجبناه فى الحال بأن رفض رجال الحكومة إنما كان تنفيذا لاتفاق ممضي منه وليس له الحق فى أن يأمر بإغلاق المقبرة من نفسه لأنها ليست ملكا له وأن له أن يرفع ما يشاء من الدعاوى ولكن الحكومة رعاية للصالح العام لها أن تتخذ كل إجراء فيه المحافظة على حقوقها وعلى كرامتها وعلى العلم أيضا .

والحكومة مصرة على أن تسير فى هذا السبيل لأنه سبيل الحق وهو السبيل الموصل لحفظ كرامتها وتعهداتها ولرعاية خاطر الجمهور .

ولن نحيد عنه قيد شعره إرضاء لفرد واحد يريد أن يتصرف ضد إتفاقاته وضد ما يجب عليه للحكومة وللجمهور » .

* * *

ويهتف المتظاهرون فى الشوارع لمرقص حنا قائلين :

ليحيى المدافع عن وادى الملوك .

يحيا وزير توت عنخ أمون !

وتتابعت البرقيات على وزير الاشغال من الهيئات والجامعات والمدارس وقالت برقيات من ناظرات ومعلمات المدرسات فى مدارس البنات :

الملك أمون وحفيداته يشكرونكم !

قال عباس محمود العقاد فى كتابه « سعد زغلول » :

« كان كارتر ينتظر فى هذه الحالة ما ينتظر من كل حكومة مصرية ينتهى إليها تهديد واحد من السادة المحتلين كيفما كان ، لأن المرجع فى الوزارات لمستشار أو مفتش إنجليزى ، وهو لايقبل من المصريين أن يسمعوا هذا التهديد ولا يسرعون إلى الخوف والاذعان » .

ولكن كارتر أعلن للصحف أنه أرسل برقيات إحتجاج إلى وزارة الخارجية البريطانية فى لندن وإلى المندوب السامى بالقاهرة .

زار اللورد اللنبى سعد زغلول لأول مرة يوم ٢٢ من فبراير ، أى بعد ٤٨ ساعة من إلغاء الترخيص . وكان هذا أول لقاء بين الرجلين .

ولكن اللورد تجنب الاشارة تصريحا أو تلميحا ، إلى قبر توت عنخ أمون !

وتكتب الصحف المصرية :

« لا أمل لكارتر ان يستأنف عمله الا اذا أسرع إلى وزارة الأشغال العمومية وأزال سوء الفهم الذى وقع بينه وبينها .

واذا لم يفعل ذلك فستتولى الوزارة بنفسها إتمام الأعمال الفنية فى المقبرة وتنفيذ برنامج الزيارات الذى اتفقت عليه كتابيا مع كارتر » .

أصبحت المعركة علنية بين كارتر وحكومة مصر .

وقفت أغلبية الصحف البريطانية والأمريكية مع كارتر تسانده ، وتؤيده ، ضد الحكومة المصرية .

وكانت نظرة هذه الصحف محدودة ، ضيقة للغاية . وظنت أن الخلاف حول إسلوب العمل فحسب .

قالت التايمس التى إرتبطت مصالحها بكارتر :

* « ان الجميع يعطفون على مستر كارتر كل العطف وهو مصيب كل الاصابة فى عمله . وقد برهنت السلطات المصرية فى معاملته على قصر نظر وقلة براعة لا نظير لهما .

ومن العوامل المضحكة وضع حرس خاص على القبر ليمنع كارتر من الدخول إليه . وقد إستعمل هذا الحرس خيمة إستعارها من مستر كارتر . وأرسل عدد من رجال البوليس لحراسة القبر من النهب . ولكن الحكومة لم تقدم لهم ملجأ ، أو ماء ، وقدم إليهم مستر كارتر كل ذلك .

ولم يحدث فى تاريخ مصر الآثرى ان الحكومة أملت أوامرها على الآثريين فى شأن العمل أو إيقاف أى جزء منه .

ويرجع الأمر إلى إعتبارات سياسية فالحكومة راغبة فى تعزيز موقفها على حساب الحكومات التى سبقتها بأن تظهر للجمهور أنها حكومة قوية » .

واستمرت التايمس تدافع عن كارتر . قالت فى إفتتاحيتها :

« سيكون هناك شعور كبير بالأسف لأن المسائل وصلت إلى هذا الحد .

ان الخلاف الذى أدى إلى إغلاق المقبرة ، والوقف المفاجىء للعمل ، كان لسوء الحظ قائما منذ وقت طويل .

ويظهر من مكاتبات كارتر مع السلطات المصرية أنه قام بمحاولات جبارة .

وقد تم إكتشافه العظيم بعد حوالى ستة عشر عاما من العمل الدؤوب .

وكان مخيبا للآمال فى جزء كبير منه من جانبه ومن جانب اللورد كارنارفون .

ومنذ ذلك الحين كان العمل يسير كلما سمحت الظروف تحت ظروف قاسية للغاية بعناية بالغة ، ونشاط متصل وعلى درجة عالية من المعرفة العلمية ، والكفاءة وربما لم تكن المقبرة لتكتشف لولا مثابرة كارتر .

وقد حقق إكتشافها ـ كما يقول بحق ـ فوائد كبرى لمصر وخاصة لمصلحة الآثار فيها .

ويقول كارتر ان سائر المصالح الحكومية الأخرى لم تقدم سوى النوايا الطيبة والرغبة فى المساعدة .

ومن المؤسف للغاية ان تأتى عرقلة العمل من المصلحة التى تهتم إهتماما مباشرا بنجاحه .

ولكن لا يمكن ترك الأمور على حالتها . ويمكن ، بل ينبغى ، التغلب عليها .

ويشكو كارتر من ان حوالى ١٦ يوما من الأيام الخمسين ، التى عليه ان يعمل خلالها بين شهور الاغلاق فى العام الماضى ، ضاعت فى الزيارات غير ضرورية للقاهرة وفى معوقات أخرى .

وتم مؤخرا وضعه ووضع جميع من يعملون معه فى العمل تحت المراقبة .

وتم أكثر من مرة التدخل بالسماح لزوار بدخول المقبرة ، وإستبعاد غيرهم من الزيارة رغم أنها لصالح العمل .

وحان الوقت لوضع حد لسياسة المضايقات التى خضعوا لها . والتى وصلت إلى الذروة الآن عندما إصبحت أعصابهم مرهقة للغاية بسبب النجاح الرائع الذى توج جهودهم .

فى هذه الظروف ليس مما يثير الدهشة انهم اضطروا أخيرا إلى تقـديم إحتجاج .

ونحن لا نشك فى انه سيلقى تأييدا مـن خبـراء الآثـار والعلمـاء والمؤرخين والعالم المتحضر » .

وقالت جريدة « أوت لوك » البريطانية :

« ان العبارة الوحيدة التى يمكن أن نصف بها سلوك المصريين نحو مستر كارتر هى الخشونة والغلظة .

ولا ندرى كيف يستطيع المنقبون ان يسلكوا طريقا آخر أمام الاهانات المستمرة التى لحقتهم على أيدى هؤلاء الأطفال المتهوسين الذين يعبثون بالحكم الذاتى :

ومن دواعى الأسف ان تحفظ فى القاهرة أهم إكتشـافات وجـدت ، بدلا من حفظها فى لندن ، أو باريس ، أو أيـة عـاصمة مـرموقة ، ذات حضارة ومدنية » .

ونشرت « ايفننج ستاندارد » البريطانية أيضا :

« المشكلة القائمة الآن ترجع إلى تحويل عملية التنقيـب إلى عمليـة تجارية وإحتكار جميع الأخبار الخاصة بها ، وقد أحدث هـذا إشـمئزازا شديدا فى مصر » .

ولكن صحفا أخرى ألقت المسئولية على لاكو والفرنسيين فى مصلحة الآثار الذين أدركتهم الغيرة لأن البـريطانيين نجحـوا فى تحقيـق هـذا الكشف .

قالت صحيفة « كريستيان ساينس مونيتور الأمـريكية فى مقـال كتبـه جيمس برستد دون توقيع :

« نشأ موقف المصريين عن فشل مصلحة الآثار فى منح كارتر ما يطلبه من تأييد » .

وفى كتابه « سبعون سنة فى الآثار » قال العالم الآثرى فلندرز بيترى : « لاكوهو المحرك » .

وإتهمت جريدة « نيويورك تايمز » دعاة السوء الخارجيين » .. تقصد الفرنسيين !

وكتب بارون صاحب مجلة بارون الاقتصادية الأمريكية ومؤسس جريدة وول ستريت جورنال الأمريكية أيضا بأن لاكو نصح المصريين بإلغاء ترخيص التنقيب » .

وردت « جورنال دى ديباه » الفرنسية فأيدت الحكومة المصرية وطالبت كارتر بتسليم المفاتيح إلى لاكو .

وغيرت صحيفة « ايفننج ستاندارد » البريطانية إتجاهاتها أكثر من مرة .

قالت : « السبب يرجع إلى رغبة موظفى الآثار المصرية الفرنسيين فى ان يحتفظوا بسلطانهم بصفتهم حراسا على الآثار المصرية . وهناك تحاسد غريب على توزيع الكنوز الثمينة التى وجدت فى المدفن » .

ونسبت أصل المشكلة فى مقال أخر إلى رغبة ولاة الأمور المصريين فى ان يستعملوا سلطاتهم الجديدة . وهم يبحثون عن فرصة يغتنمونها لاثبات إستقلالهم وأن يضمنوا فى الوقت نفسه ان جميع التحف ستبقى فى مصر » .

وفى مقال ثالث قالت :

« نشأ النزاع عن رؤية المصريين لذهب المقبرة . ويعتقد كل مصرى ان هناك ذهبا كافيا لسداد ديون مصر » .

وفطنت صحف بريطانية أخرى إلى المد الوطنى ، والروح القومية النامية مع الاستقلال وتولى سعد زغلول رئاسة الوزارة .

أخذت هذه الصحف الواعية العاملة تحذر من تطور الأزمة .

قالت جريدة « ديلى تلجراف » البريطانية ان هناك خطرا سياسيا حقيقيا فى النزاع الواقع بين مستر كارتر والحكومة المصرية فزغلول باشا ليس تركيا بل مصرى ينظر نظرة مختلفة إلى هذه المسألة .

ولنذكر استياءنا الشديد من الأمريكيين الذين بداوا فى البحث عن عظام الجنرال أوجليتورب (إنجليزى مؤسس ولاية جورجيا فى أمريكا فى أواسط القرن الثامن عشر) .

ان مستر كارتر يعمل برخصة من الحكومة المصرية وله حق فى التعويض اذا إختلفت شروط الرخصة ولكن لا يستطيع أحد أن يرد على قول الحكومة المصرية بأن القبر ليس ملكا له . وهى مصيبة فى منع أناس لا غرض لهم سوى الفرجة من الدخول إلى القبر ومشاهدة فتح الناووس اذا رأت ان الذوق السليم يدعو لذلك .

واذا أقام الرأى العام الانجليزى الدليل على أنه يعطف على الشعور المصرى فى هذه المسألة ويفهمه سيكون لهذا الأمر خير تأثير فى صلاتنا مع مصر » .

وقالت صحيفة « مورننج بوست » البريطانية :

« ليس من الضرورى ان نشير إلى خطورة العلاقات الحاضرة بين البلدين والحاجة إلى التأنى الشديد حتى إجراء المفاوضات بين بريطانيا ومصر .

ويجب على الانجليز فى هذه الأحوال الا يتركوا حجة لتسرب النفوذ المعاكس لبريطانيا وإساءة سمعة بلادنا الطيبة والقضاء على الصيت الأوربى والسياسى الذى نلناه على ضفاف النيل .

« ومما يؤسف له أن اولئك المنقبين الذين يعملون فى قبر توت عنخ أمون أفسحوا أمام تلك المؤثرات السيئة ، ما تريده .

« ومن السهل إثارة الاستياء الدينى والقومى بين المصريين من الأعمال الآثرية وإعتبارها أهانة للوطنية المصرية وتدنيسا لحرمة الدفن .

ومن المأمول الا تفضل مصالح علم الآثار على أحترام الميت الذى يعده كرام الناس مقدسا » .

* * *

وحددت جريدة « سوث ويلزديلى نيوز » البريطانية موقف وزارة سعد زغلول :

« ان الزغلوليين يتوقون إلى وضع الأجنبى فى المكان الذى يجب الا يتجاوزه . وهم يريدون ان يذكروا مستر كارتر أنه لا ينقب فى أرض بريطانية ، بل فى أرض المصريين القدماء المقدسة الواقعة الان ضمن حدود الحكومة الوطنية الجديدة . »

* * *

ولكن جريدة الايجبشيان جـازيت التـى تصـدر فى مصر بـاللغة الانجليزية رأت ان تتخلص ـ حينا ـ من اتخاذ موقف حاسم فقالت :

« لا يمكن ان نفصل أسباب النزاع عـن شـخصية كارتـر وحـدة طباعه »

واتبعت مجلة « ساتر داى ريفيو » هذا النهج فقالت :

« عندما كان كل شيىء فى صفه ، وعندما كان أى تصرف حكيم من شأنه ان يكسب هوارد كارتر تعاطف الجميع بإستثناء أشد المتعصبين ضده فانه أضاع قضيته بتصرف لم يتدبره من قبل .

وأعقبه بتكتيكات بالغة الخطأ . وكان يمكن للدبلوماسية أن تكسب ولكنه إستخدم اسلوب المشاكسة ، وكانت النتيجة . . الفشل .

وفى الشرق أكثر من أى مكان آخر لا يجدى مطلقا أن تهدد خصـمك بعصا ، مالم تكن مستعدا لاستخدامها بشدة كملجأ أخيـر ، ويسـميها الشرقيون خدعة . وقد فعلت الحكومة المصرية ذلك بالتحديد .

ولما كان المستر كارتر عالم آثار وليس متآمرا فكان طبيعيا أن يسـقط فيما يبدو أنه كان فخا منصوبا بأحكام » .

ورغم ذلك فان كارتر كان ثائرا أشد الثورة لأن « التايمس » لم تقف بجانبه .

كتب ارثر ميرتون مراسل الصحيفة فى الأقصر رسالة خاصة إلى رئيس التحرير فى لندن يصف كارتر فى تلك الأيام .

قال :

«أعلن كارتر ان الصحيفة لم تتصرف تجـاهه ، بـالصورة التـى كان يتوقعها منها .

وقال انه يعتقد انكم ، من ناحيتكم ، كان ينبغى ان تـدافعوا عنـه بقوة أكبر ، خاصة وأن لديكم كل المراسلات ، وتعرفون ما تعرض لـه خلال هذا الشتاء .

وأضاف أنه بإستثناء إفتتاحية كتبت فى اليوم التالى لـلأزمة ، وأشـارة فى الافتتاحية إلى إتفاق « التايمس » معه ، فانكم لم تفعلـوا شيئا مـن ناحيتكم .

وكان منزعجا بوجه خاص من عنوان فرعى نشر يعطى إنـطباعا زائفـا بإنه المخطىء لا الحكومة المصرية .

وأعرب عن خيبة أمل مريرة فلم تصل إليـه رسـالة واحـدة متعـاطفة معه .

وأدركت أنه فقد توازنه تماما ، من الطريقة التى يتحـدث بهـا عـن أفضل أصدقائه ، الذين وقفوا إلى جانبه » .

أنذرت وزارة الاشغال كارتر بفتح المقبرة .

وأجتمعت لجنة قضايا الحكومة المصرية فـأيدت وزارة الأشـغال فى قرارها .

وقررت اللجنة إلغاء عقد الامتياز اذا إنتهت المهلة الممنوحة لـكارتر ولم يذعن للشروط .

* * *

إجتمع مجلس الوزراء برئاسة سعد زغلول باشا يوم ٢٠ من فبراير مدة ساعتين ونصف الساعة ووافق على إلغاء الامتياز الممنوح لليدى كارنارفون فى ٢٣ من يوليو ١٩٢٣ وكان مقررا ان يستمر الامتياز حتى ٢٤ من نـوفمبر ١٩٢٤ . وأصدر وزير الأشغال قرارا بذلك جاء فيه :

« بعد الاطلاع على رخص الحفر الممنوحة للورد كارنارفون فى سنة ١٩١٢ ـ ١٩١٨ والرخصة المعطاة إلى الليدى كارنارفون سنة ١٩٢٣ بالاستمرار فى إستخراج ما فى قبر توت عنخ آمون بوادى الملوك بالأقصر .

وبعد الاطلاع على البرنامج الذى وقع فى ٨ من فبراير سنة ١٩٢٤ وتقررت فيه الأعمال والبيانات والزيارات بعد إستكشاف التابوت الملكى بإتفاق تم بين وزارة الأشغال العمومية والمستر كارتر النائب عن الليدى كارنارفون والمكلف من قبلها بإدارة أعمال الحفر .

وحيث أنه فى يوم ١٣ من فبراير سنة ١٩٢٤ غداة فتح التابوت أوقف المستر كارتر تنفيذ البرنامج المتفق عليه بأن أقفل القبر وبأن صرح على رؤوس الملأ بأنه لن ينفذ عملا من الأعمال بعد ذلك .

وحيث أنه قد طلب إليه رسميا فى يوم ١٨ من فبراير ان يعود لتنفيذ البرنامج المتفق عليه فرفض الطلب ووضع شروطا لفتح القبر لا مبرر لها ولا تقبلها الحكومة .

وحيث ان إقفال القبر وترك العمل يعتبران مخالفة خطيرة لتعهداته التى قبلها .

وحيث ان هذه المخالفة أشد خطرا لأنها بإعتراف كارتر نفسه تعرض الآثار النفيسة المكتشفة لتلف لا يمكن إصلاحه .

وحيث ان المادة ١٣ من تصريح سنة ١٩١٥ تقضى بأن « كل مخالفة من جانب صاحب الرخصة لشروط التصريح تؤدى بمطلق الحق ، ودون أى أعلان ، أو شيء من الاجراءات الأخرى ، إلى إلغاء الترخيص .

وحيث ان هذا الالغاء أصبح أشد لزوما لان المستر كارتر منذ جدد التصريح لليدى كارنارفون قد ازدرى دائما سلطة مصلحة الآثار وحقها فى المراقبة ولانه بكتابة المؤرخ ٣ من فبراير سنة ١٩٢٤ والذى نشره أنكر صراحة حقوق الدولة فى الآثار المستكشفة .

لهذه الأسباب وبناء على ما عرضه المدير العام لمصلحة الآثار .

قرر :

المادة الأولى - يلغى ترخيص الحفر الممنوح لليدى كارنارفون فى ١٢ من يولية سنة ١٩٢٣ . والذى ينتهى فى ٢٤ من نوفمبر سنة ١٩٢٤ .

المادة الثانية - على المدير العام لمصلحة الآثار تنفيذ هذا القرار وعليه ان يعمل فورا لفتح المقبرة والمعامل وغيرها من المستودعات ويسرع فى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية ما يوجد من الاثار وصيانتها .

❊ ❊ ❊

لم تصدق أرملة اللورد كارنارفون نبأ إلغاء الترخيص .

أدلت بحديث إلى صحافة لندن قالت فيه :

« هذا العمل من المستحيلات التامة . ولا يمكن إلغاء الترخيص لأنه صدر بإسمي ! ! ولا توجد حكومة تحفل بالناس وتأتى بهذا العمل دون ان تبلغنى أولا بقصدها . ولم يصل إلى تنويه بأنهم سيأتون بهذا العمل » .

ان الصدمة كانت أقوى من ان تحتملها الليدى التى كانت تظن أن حكومة مصر لا تجرؤ على إلغاء ترخيص منح لليدى .

وكانت الليدى تعيش بأفكارها فى عصر إنتهى فى مصر !

* * *

عبرت صحف مصر عن العهد الجديد

قالت البلاغ « اختلفت الأمور منذ تولى سعد زغلول الحكم . وهذا التطور ينهى طموح كارتر الذى انتعش فى عهد الحكومات الضعيفة . لقد أغلق كارتر قبر الفراعنة وكأنه قبر أبيه » .

وهنأت المحروسة الحكومة على موقفها الحازم وقالت « يجب ان يعرف كارتر ان لدينا حكومة حقيقية » .

وقالت الأخبار ان « سياسة الحزم والعزم التى اتبعتها الحكومة كانت الجواب الوحيد على تصرفات كارتر » .

وأضافت :

« كان يجب على الحكومة ان تلغى الترخيص بعد وفاة اللورد لوضع حد لطغيان كارتر » .

وقالت الأهرام « ضل كارتر السبيل فحكومة اليوم غير وزارة الأمس . وارادة الوزير الجليل الذى يشرف الان على أعمال البلاد

العمومية هى ارادة رجل ليس كالرجال الذين عرفهم كارتر فى وزارة الأشغال .

وانتقدت صحيفة النظام كارتر لأنه « مزق الاتفاق الذى وقعه بيده وأعلن الحرب على الوزارة لمصلحة السيدات الزائرات » .

وقالت انه « لم يكتف بوضع يده على الآثار والتعامل على هواه مع الموتى بل أراد أن يمارس نفوذه على الوزراء وتخيل نفسه ملكا على وادى الملوك » .

وحتى صحيفة المقطم التى تعبر عن رأى الانجليز طالبت بحل الخلاف ولكنها لم تستطع أن تعارض الحكومة .

وقالت المقطم : « هذا الحادث يجب أن يفتح عين الحكومة والشعب لدراسة آثارنا والقيام بالحفر والتنقيب عنها » .

وفى البداية رأت جريدة السياسة الناطقة بإسم حزب الأحرار الدستوريين المعارض لسعد والوفد ان فى تصرف وزير الأشغال شيئا من المبالغة والتشدد ولكن بعد ذلك وقفت مع مصر . . وآثارها .

وكشفت صحيفة الوطن السر الحقيقى للخلاف .

قالت : « من غير المعقول ان يكون السبب راجعا إلى السماح بدخول بعض السيدات إلى المقبرة بل ان السبب أعمق من ذلك . ان كارتر يريد التخلص من الاشراف الحكومى الفنى وأن تكون له حرية العمل كاملة ليحصل على نصيبه من الآثار » .

* * *

أصدرت المفوضيتان المصريتان فى باريس ولندن بيانين يشرحان فيهما موقف الحكومة المصرية وينددان بأعمال كارتر .

وأيدت الصحف الفرنسية فى باريس قرار الحكومة المصرية لأسباب كثيرة قد يكون منها أن مصلحة الآثار يديرها فرنسيون بحثوا ونقبوا كثيرا فى مصر ولكنهم لم يقوموا بكشف يعادل ما حققه كارتر .

وادلى سعد بحديث إلى صحيفة التايمس قال فيه :

« ان الحكومة المصرية لم تتجاوز قط دائرة حقوقها ، وأظهرت روح الصداقة التامة من البداية حتى النهاية . ولم يكن لجنسية كارتر ، فى أى وقت ، أقل تأثير فى العمل الذى قامت به الحكومة بل كانت ترغب دائما فى تجنب ما قد يؤدى إلى تعكير صفو العلاقات الودية بين البلدين » .

وقال سعد :

« لو كان صاحب الامتياز مصريا ، لما أظهرت له الحكومة هذه الرعاية » .

سأله مراسل التايمس

- يقال انكم اتخذتم قرار إلغاء الامتياز لأرضاء الجمهور .

أجاب سعد :

- ما الضرر اذا اخذنا فى الاعتبار مشاعر الرأى العام عند اصدارى القرار . وليس ذلك هدفنا ولكنه لا يخيفنا مادام يتفق مع الحق .

وقال سعد :

- لا تستخف الحكومة الدستورية ابدا بالرأى العام !

* * *

كتب فكرى أباظة رسالة نشرتها الأهرام :

« مولاى الملك المدفون :

خاطبت « الاحياء » فلم يصغوا لخطابى .

وهأنذا أخاطب « الأموات » فأشكو إليك ابناءك . . فقد قيل ان « سرك » عجب . . وأنك كما استطعت ان تقضى على نابش قبرك « بالفناء » تستطيع ان تلزم غاصب وطنك « بالجلاء » .

أى مولاى :

عذرا اذا تحالفنا مع أعدائنا على جثتك الهامدة .

وعذرا اذا اختلفنا معهم الآن على أحترام جلال الموت ، ورقدة الأبدية ، بل على إقتسام التحف الملكية ومخلفاتك الفضية والذهبية .

مولاى المدفون :

ايه ـ الملك ـ لا يدوم . . وكما كنت فى الثريا فقد أصبحت الآن فى الثرى .

ولا تحقد أيضا على الحضارة اذا انقضت مخالبها أو أظافرها على جسمك البالى فانها حضارة المظاهر لا الحقائق ـ ومدنية الماديات لا الأدبيات .

استيقظ واسمع . .

اننا لا نحترم دينا ولا عهدا .

لا نعبد الا المادة . .

ولا نقدس الا المنفعة .

ننبش فى قبور ملوكنا . ونهتك حرمة أجدادنا .

حتى اذا وصلنا إلى الجثث المسكينة صعقنا وخاطبناها قائلين :

ـ أخرجى نضعك فى الأسواق .

ثم ننادى أيها السياح :

ـ ندعوكم إلى الفرجة مقابل دراهم معدودة . . دعوة صادقة من المصريين « الاحياء » للفرجة على المصريين « الاموات » .

أى مليكى المقبور :

عفوا اذا جعلناك « سلعة » يستغلها المستر « كارتر » .

وجعلنا قبرك « حانوتا » يقفله المستر كارتر بمفتاحه اذا شاء . ويفتحه اذا ما شاء . . فهكذا شاء القدر وهكذا شاء حظنا المنكود .

أيها الملك الشاب :

أرثى لك وأرثيك وأبكى .

ولكن هل يجدى البكاء .

هل يعيدونك ملكا لك ما كان لك وبجوارك ما كان بجوارك . . ويحف بك ما كان يحف بك . لا ، واحسرتاه سيخرجونك كما يستخرجون المعدن من جوف الأرض . .

يضعونك فى « دولاب » صغير سافر ثم يزدحم حولك الأطفال والرجال والنساء يحدقون فى عينيك للتسلية ومجرد اللهو .

وهذه هى « ماموريتك » فى عهد الحاضر أيها الملك الغابر .

أى مليكى :

سينقلونك إلى المتحف فى جوار قشلاق قصر النيل حيث توجد ثكنات لجيش الاحتلال البريطانى . . امعانا فى أهانتك وغلوا فى ايذائك

لتشاهد أيها الملك الحر شعبك المستعبد ولتعلم ان الـذين نبشـوا قبـرك يحفرون الآن القبر لأمتك ! ! !

أيها السادة نابشو القبور :

بعثكم هذا ليس بعث الله . .

اذكروا أنكم ستموتون .

واذكروا أن ضجعة الموت لها جلال . استحلفكم بآبائكم الهادئين فى قبورهم . المطمئنين على عـالمهم الثـانى . ان تـرحموا « الملك الميت » فقد اراد ان يثوى فى قبره هو لا فى قبركم أنتم ، فـاحترموا ارادة الملوك واحترموا ارادة الأموات ! ! !

القضية

لم يقف كارتر صامتا بل أسرع بـإقامة دعـوتين أمـام المحـاكم المختلطة .

الأولى يطالب فيها بنصف الآثار طبقا للترخيص والثانية أمام محكمة الأمور المستعجلة المختلطة يطلب فيها - بصفة عاجلة - تعيينه حارسا على قبر توت عنخ آمون والمقابر المجاورة التى يوجد فيها إستديو التصوير والمعامل التى تحفظ فيها الآثار وترمم قبل نقلها للقاهرة .

وقال إنه يريد أن يكون حارسا ثمانية شهور ونصف الشهر حتى أول نوفمبر ١٩٢٤ .

وطلب أن يفوض - تحت ملاحظة مصلحة الآثار - فى عمل ما يراه لازما لحفظ الآثار ، ونقل ما يمكن نقله إلى متحف القاهرة وإقفال القبور الموجودة بداخلها هذه التحف إقفالا محكما مع بقاء مفاتيح القبور فى حيازة كارتر !

وقال انه ظل واضعا يده بطريقة تامة مطلقه على القبر ووضع له بموافقة مصلحة الآثار ابوابا من الصلب يحمل - وحده - مفاتيحها .

وقال إنه حاول أن يتخذ الاجراءات اللازمة لصيانة الناووس الذى ترك مفتوحا فى القبر بصفة مؤقته فمنعته القوة المسلحة يومى ١٥ و ١٧ من فبراير . .

وبنى دعـواه على أسـاس أن أعمـال الاسـتخراج ، والفحص ، والتحريات العلمية ، لن تتم ، وأنه ـ وحـده ـ العليـم بـطرق صيانة الآثار ، ويملك ـ وحده ـ المواد اللازمة لذلك والتى توجد بالقبر !

وقال ان له الحق فى نصف الآثار طبقا للقانون رقـم ١٤ لعـام ١٩١٢ الخاص بالآثار وقرار وزير الأشغال رقم ٥٢ لسنة ١٩١٢ .

بدأت المحكمة نظر القضية بالقاعة الكبرى فى العـاشرة مـن صـباح السبت ٢٣ من فبراير برئاسة القاضى الامريكى كرابيتس .

وكرابيتس ـ ٤٧ سنة ـ كاثوليكى بدأ عمله فى المحـاكم المختلـطة قبل ١١ عاما . وظل يشغل منصبة فى القضاء المختلطربع قرن حتى سنة ١٩٣٦ .

وإختير بعد عودته لبلاده محاضرا جامعيا فى القانون ست سنوات ثـم عينته حكومته مساعدا للوزير الامريكى المفـوض فى القـاهرة عـام ١٩٤٢ لمدة عام .

ومن القاهرة إنتقل إلى العراق .

وقد ألف كرابيتس ٩ كتب عن الملـكة فيـكتوريا وهنـرى الثـامن وأسبانيا ، تأثر بالسودان فألف عنه كتابين كما ألف ٤ كتب عـن إبـراهيم باشا والخديو إسـماعيل والضـباط الامـريكيين فى الجيش المصرى وقنـاة السويس .

بدأ الكتابة عن مصر وهو قاض بالمحاكم المختلطة .

وفى عام ١٩٢٤ لم يكن كرابيتس قد أصدر كتابا واحدا ولكن بقاءه فى مصر ١١ عاما جعله يعرف رجالها المسئولين ، ويتابع تطوراتها السياسية ويلمس عن قرب حكاية الآثار . . .

روسيتى : الأنظمة القانونية المتبعة فى المحاكم المختلطة لا تعترف لهذه البرقيات بقيمه ما . ولا تحسب كتوكيل .

والكلمة الواردة فيها هى :

« أرفع الدعوى بإسمى » .

رد مكسويل بأن القوانين البريطانية تؤيد التوكيل برقيا .

روستى : رغما عن تعظيم المحامى مكسويل للقوانين والأنظمة البريطانية فإننا هنا نعتبر القانون المصرى ولا نعمل إلا به .

وإذا فرضنا أن كارتر فى يده الوكالة الكافية لرفع هذه القضية فلا هو ولا موكله ، لهما صفة تجيز لهما رفعها .

وما قولكم لو جئت أمامكم وطلبت - أنا روسيتى - أن تضعوا تحت الحراسة أهرام الجيزة .

أن تقديم طلب كهذا يقضى أن يكون لصاحبه شأن أو مصلحة . وهؤلاء لا صالح لهم فى مقبرة توت عنخ آمون . ان الرخصة أعطيت للورد ثم لارملته بعد وفاته . وليس بين الحكومة وكارتر ، أقل صلة ، أو علاقة قانونية .

مكسويل : عدل اللورد وصيته هنا فى القاهرة وهو على فراش الموت . وأوصى بأن كارتر هو الذى يتفاوض بالنسبة لمجموعته الأثرية .

روسيتى : أين الوصية ؟

ماكسويل : الوصية مسجلة فى القنصلية البريطانية فإذا أرادت الحكومة الاطلاع عليها فلها أن تسعى إلى تلك القنصلية .

وقد أثر ذلك كله فى تطورات القضية !

* * *

ملأ الحاضرون القاعة حتى أن المحامين لم يجدوا مكانا وإخترق القاضى ردهات المحكمة . . بصعوبة .

وحضر عن مرقص حنا وزير الاشغال روسيتى المستشار الملكى لادارة قضايا الحكومة .

وجاء ثلاثة من المحامين يدافعون عن كارتر وهم مكسويل وكاتو وبولاد .

ويتدخل سوء حظ كارتر والصدفة السيئة الضخمة فى حياته .

كان أحد محامى كارتر ـ وهو مكسويل ـ النائب العام الذى وقف أمام المحكمة العسكرية البريطانية يطالب بإعدام مرقص حنا .

قال مكسويل ان كارتر يمثل الاوصياء على تركه اللورد كارنارفون وهم الجنرال السير جون جرانفيل ماكسويل ، وهو غير المحامى ما كسويل ، والجنرال السير روبرت هاتشنسون وآرثر فتزهاردنجز بيوكلى بورتمان .

رد روسيتى محامى وزير الاشغال بأن المحامى مكسويل موكل عن كارتر وليس لديه توكيل عن الأوصياء الثلاثة ولا يجوز له الحضور نيابة عنهم فهم لم يقيموا دعوى وليس لهم شأن بها ودفع بعدم قبول الدعوى بالنسبة لهم .

مكسويل : هناك ثلاث برقيات بأسم كارتر من « لندن » و « كان » و« نيس » يصرح له مرسلوها بإقامة الدعوى فى المحكمة المختلطة .

روسيتى (بحدة) : ليس على الحكومة المصرية أن تسعى بنفسها للحصول على هذا المستند .

وعلى الفور أصدر القاضى كرابيتس حكما فى هذا الدفع قال فيه :

أن كارتر لم يقدم ما يثبت وكالته عن الاوصياء المنفذين لوصية اللورد ولذلك فان ماكسويل لا يستطيع أن يتكلم إلا بإسم كارتر وحده .

. . أى أن القضية أقامها كارتر ولم يرفعها الاوصياء على تركة اللورد !

* * *

طلب روسيتى بعد ذلك رفض دعوى كارتر شكلا على أساس أن ترخيص التنقيب أعطى للورد كارنارفون ومن بعده لزوجته ، وهى وريثته .

وقال ان السيدة المينا لم تقم دعوى وليست طرفا فيها والحكومة لا تعرف شخصا غير اللورد . ولا يهمها من يكون المنقب . ولا يهم الحكومة المصرية من كان يدير أعمال اللورد أو يعاونه . .

وأضاف روسيتى :

- ومع ذلك فإن كارتر يطلب أن يعين حارسا قضائيا . . « كمان » !

ضحك الحاضرون

القاضى : سكون أيها الساده .

روسيتى : يجب وضع حد لهذه المهزلة السيئة بتطبيق أبسط المبادىء القانونية .

ماكسويل : المادة السادسة من ترخيص التنقيب تعطى كارتر حقوقا .

وتنص على حريته فى إتخاذ اية اجراءات يـراها للفحص والتحـريات العلمية لما يكتشف فى القبر من آثار . وقد منحته الليدى كارنارفون حـق متابعة العمل .

القاضى : هل يمكن أن نصدر الحكم فى نزاع خطير كهذا تتـأثر بـه حقوق الليدى كارنارفون دون حضورها .

مكسويل : المسألة خطيرة وعاجلة لأنها تتعلق بصيانة الآثار .

القاضى : هل إذا أجلت القضـية يمـكنك إدخـال الليـدى فى الدعوى ؟

مكسويل : الليدى لا شأن لها فهى لا تقاضى .

روسيتى : نحن نقدر حقوق الليدى . ولكنها ليست ماثلة أمامنا . وليس لهم أسم فى القضية .

مكسويل : ذكر أسم كارتر فى التـرخيص بجـانب أسـم اللـورد كارنارفون .

القاضى : تريدون منا أن نفصل فى أمـر جـم الخـطورة . فلتـأت الليدى وتعلن أن كارتر موضوع ثقتها وصديق زوجها .

أريد أن أعرف ماذا تريده الليدى .

وأصدر القاضى قراره بتأجيل القضية ثلاثة أيام .

خلال الأيام الثلاثة جرت محاولات للتـوثيق والصـلح بيـن كارتـر ووزارة الأشغال وتم شطب القضية

ولكن الوساطة لم تستمر سوى ٢٤ ساعة .

لم يقبل كارتر الشروط .

ومن ناحيته قال مرقص حنا أنه يرفض المفاوضات ، لأن القضية معروضة على القاضى .

* * *

صباح السبت أول مارس تقدم كاتو محامى كارتر يطلب إلى القاضى تجديد القضية .

حدد القاضى كرابيتس الساعة الرابعة من بعد ظهر السبت ٨ من مارس موعدا لنظرها .

بدأت القضية بمفاجأة . .

أعلن أن من بين الحاضرين الجنرال السير جون ماكسويل القائد العام للقوات البريطانية فى مصر عند قيام الحرب . . جاء من كاليفورنيا ليعلن أنه بوصفه أحد ثلاثة ينفذون وصية اللورد كارنارفون . . يقيم الدعوى ويوكل - عنه - المحامى ماكسويل .

قال القاضى كرابيتس عند رؤيته :

- أتخلى عن منصبى لحظة لتحية الجنرال واقول له « ارى صحتك فى تحسن يا جنرال » .

رد السيرجون ماكسويل شاكرا .

ووضح أن الهدف من حضوره التأثير على المحكمة وعلى مصر كلها . . بماضيه العسكرى . . وماضيه فى مصر .

روسيتى : أدهشنى كثيرا حضور الجنرال .

كرابيتس : أترك هذا الموضوع .

روسيتى : لست عازما على قول كلمة يشتم منها أنى لا أحترم الجنرال .

* * *

. . وبحضور الجنرال ماكسويل أنهار أول دفع فرعى لمحامى الحكومة فها هو أحد الأوصياء على تركة اللورد يعلن شخصيا أنه يقيم الدعوى ضد وزير الاشغال المصرى .

* * *

قال ماكسويل محامى كارتر والأوصياء ، وهو غير الجنرال ماكسويل :

وضعت الحكومة المصرية ابوابا من الصلب أمام المقبرة لمنع كارتر من دخولها وهو المؤهل والمدرب والخبير الوحيد الكفء الذى يستطيع القيام بهذا العمل العلمى الهام .

أنه يريد صيانة الاشياء ويأخذ عنها المذكرات اللازمة لخدمة علم الاثار فى الحاضر والمستقبل .

ومن الصعب أن يستمر فى عمله إذا أصر مدير مصلحة الآثار على مضايقته من آن لآخر لدوافع تافهة فذلك مضر من الوجهه العلمية للحكومة ذاتها .

ولا يستطيع كارتر أن يقوم بالمهمة الشاقة إذا أرهق وأزعج .

أن التحقق من نوع التحف من الوجهة العلمية ، وضبط عصور وجودها ، وصناعتها أثمن ألف مرة من وجود التحف فحسب .

. . وأطال ماكسويل فقال القاضى :

- أريد أن تتكلم فى الموضوع وتهدى طلباتك .

ماكسويل : كارتر يريد أن يكون حارسا تحت إشراف مصلحة الآثار ولكن دون تدخلها فى عمله .

وأخذ ماكسويل يتلو ما يؤيد وجهة نظره من كتاب عن الآثار .

القاضى : لقد اطلعت على الكتب التى وضعت عن مقبرة توت عنخ آمون . ومن هؤلاء مستر كارتر نفسه وهو صديقى . وأريد أن أقول هنا جهارا انه صديقى فلا لزوم لقرأة فقرات أو صفحات من كتب قرأتها من قبل .

أستمر ماكسويل فى القراءة

القاضى : من هو المؤلف ؟

ماكسويل : أنه مستر كارتر نفسه .

القاضى : لا يمكن أن تستدعى خبيرا للشهادة ، أو تستند إلى شهادة خبير ، هو نفسه خصم فى الدعوى أليس الافضل أن تقرأ من كتاب آخر .

ماكسويل : ان مصلحة الآثار سمحت ل ١٥٠ شخصا بزيارة المقبرة .

القاضى : لماذا سمحت أنت لشخص دون آخر بزيارة المقبرة ؟

ماكسويل : لأن بعضهم جاء فى أوقات لا تتعارض مع مصلحة العمل ولا تعطله .

وتكلم عن المصاعب الفنية والاخطار التى تتعرض لها التحف من جراء الزيارات التى قد يلحق غبارها وحده ضررا بالآثار - لا يقدر .

وضرب مثلا بما يطلب من كارتر من السماح لفلان باشا أو لعقيلته بزيارة القبر .

اعترض روسيتى على الكلام عن الحكومة المصرية بتلك اللهجة .

ولكن ماكسويل إستمر قائلا : يضيع صواب الباحث إذا إستمر إزعاجه .

وقد رأى كارتر إتخاذ مايراه لازما لوضع حد لذلك حتى يستطيع الاستمرار فى عمله وليس عليه أن يسلم القبر قبل أن يتم أبحاثه ولذا أغلقه واحتفظ بمفتاحه .

القاضى : ـ تقول فى مذكرتك أن المدعوين يريدون المحافظة على القبر وإجراء الابحاث فيه صيانة لمصلحة العلم . فهل المصلحة العلمية ضرورة ؟

مكسويل : نعم

* * *

كان القاضى كرابيتس حريصا بأسئلته على أن يتيح الفرصة لمحامى كارتر ليشرح وجهة نظره .

سأله :

- هل هدفك الأول خدمة العلم بإتمام العمل فى المقبرة ؟

ماكسويل : طبعا . ولذلك لا ارغب فى مزيد من الزوار .

تلا القاضى خطاب محمد زغلول باشا وكيل وزارة الاشغال بمنع زوجات العاملين من دخول المقبرة . . وسأله :

- لماذا يسمح لهن بالدخول ؟

ماكسويل : عدد منهن يساهم فى تسجيل الآثار وتصنيفها وصيانتها مثل زوجة العالم الاثرى نيوبرى .

القاضى : كيف جاز للمستر كارتر أن يوقف العمل صباح ١٣ من فبراير ويغلق ابواب المقبرة ويعلن على الملأ أنه أوقف الاعمال إلى أجل غير مسمى مع أن قرار الحكومة بإغلاق المقبرة لم يصدر إلا فى السادسة إلا ربعا من مساء اليوم نفسه .

انى أعيد القول هنا أنى صديق للمستر كارتر ، ولكنى أريد منك جوابا على هذا .

كيف يتفق الدفاع عن العلم مع العمل على الاضرار به ؟

إنك تركت العمل بمحض إختيارك والحكومة نفذت رغبتك . وهو أصعب مافى القضية .

التقط المحامى الهدف فقال :

- إغلاق المقبرة أمر عادى . فهى تغلق مساء كل يوم وتغلق فى نهاية موسم الحفر شتاء . وتوضع عليها أكوام من التراب لمنع التسلل إليها

لقد أوقف كارتر العمل لأن الحكومة جعلت الأستمرار مستحيلا .

القاضى : كان يمكنك الاستمرار فى حيازة المقبرة ثم تأتى إلى المحكمة تطلب تعيينك حارسا .

ماكسويل : انه لم يهجر المقبرة بل توقف حتى يستطيع العمل ، دون مقاطعة ، أو تدخل مستمر .

وتلا القاضى نص إلا تفاق الخاص بالزيارات الذى عقد بين وزارة الاشغال وكارتر .

وأضاف :

- ألم تتنازلوا حينما أغلقتم المقبرة عن متابعة الاعمال ؟

مكسويل : موقف كارتر مثل موقف مستأجر لبيت من الحكومة فالمستأجر يحتفظ وحده بمفتاح البيت ومن كان معه مفتاح البيت كان البيت له . والمستأجر هو الذى يقرر من يدعى للغداء أو للعشاء .

القاضى : كيف تدعى أنك تضع اليد ثم تغلق المقبرة وتطلب منى مساعدتك على الاستمرار فى الحيازة .

ماكسويل : فعل كارتر ما فعل لأن الحكومة اضطرته إلى ذلك وجعلت عمله مستحيلا . وكنا عازمين على الرجوع إلى المقبرة لمواصلة العمل . ولكن الحكومة المصرية دخلت إلى المقبرة كما يدخل اللص !

وهنا انتفض محامى وزارة الاشغال روسيتى من مقعده يصرخ محتجا وقال :

- من المخجل أن يتفوه أحد المحامين بمثل هذه الكلمة القبيحة فى هذا المكان المقدس لاسيما إذا كان هذا اللفظ موجها إلى الحكومة :

إنى أطلب تسجيل تلك الكلمة فى محضر الجلسة محتفظا للحكومة بحق إتخاذ الاجراءات القانونية ضد قائلها .

سمعت همهمة احتجاج من الحاضرين على ماكسويل .

وجه القاضى كرابيتس الحديث إلى المحامى قائلا :

- الكلمة التى تفوهت بها من الكلمات التى يسأل عنها قائلها . وأنصحك بسحبها .

ماكسويل : إنى أسحب هذه الكلمة .

عاد روسيتى يحتج على كلمة لص فقال القاضى :

- لقد أعتذر ماكسويل .

ماكسويل : لقد حاول المدعى أن يدخل المقبرة مرارا فمنع من الاقتراب منها فلجأ إلى المحكمة المستعجلة .

أنه مستمر فى وضع يده إلى الآن . أما يد الحكومة فهى يد غير شرعية .

ان الحكومة جعلت عمله مستحيلا ولذلك أطلب جعله ممكنا .

وشرح ماكسويل تاريخ كارتر كموظف فى الحكومة ومنقب أثرى .

وأفاض فى ذكر المعاملة الحسنة التى كان يلقاها المنقبون من قبل فى عهد ماسبيرو .

حاول روسيتى محامى وزارة الاشغال الدفاع عن الوزير قائلا : إن الوزارة أتخذت أجراء اداريا لا يعرض على المحاكم .

رد محامى كارتر قائلا أنه بمجرد إكتشاف المقبرة أصبحت العملية عقدا بين كارتر والمصلحة يخضع - مثل كل العقود - لرقابة القضاء .

ثم تلا نص ترخيص التنقيب الذى منحة ماسبيرو عام ١٩١٥ إلى اللورد كارنارفون وحددت فيه حقوق وشروط التنقيب وما نص عليه قانون الآثار من أقتسام ثمن الاشياء عند تقدير المكافأة .

وقال ماكسويل : أن حق المكافأة ترك فى حالتنا دون نص ما ، وان الخلاف كله نشأ من تعسف مدير مستبد لمصلحة الآثار .

وأضاف :

ـ ليس لدى الحكومة المصرية أخصائى يستطيع أن يقوم بعمل كارتر من الوجهة الفنية .

روسيتى : إذا كان الترخيص قد منح فى عهد سابق (سنة ١٩١٥) فان الادارة المصرية تأثرت ـ عندئذ ـ بشخصية اللورد وبجنسيته .

وليس أدل على موقف الحكومة المصرية من البرقية التى رد بها دولة زغلول باشا رئيس الوزارة على الليدى كارنارفون حينما أبرقت إليه برجاء تسوية النزاع فقال:

« أريد أن تعتقدى أنى أحفظ ذكرى الوداد والاخلاص للورد . وآسف جم الأسف للموقف الحاضر الذى منعنى كارتر ـ بإثارته ـ من أظهار كل ما أشعر به من الاحترام والشكر لما قام به زوجك من خدمة العلم .

وأملى أن تسدى النصح لكارتر فى هذا الصدد » .

فمن اللحظة الأولى تصرفت الحكومة ـ والأمر متعلق بكنوزها وثروتها الوطنية ـ لا بوصفها حكومة ، وإنما بدافع من الاخلاص والاجلال للعلم وذوية فى حين أن الجانب الآخر يصر ـ إلى هذه اللحظة ـ على العنت والغطرسه وإمتهان الحقائق .

ذكرت كلمة « لص » فى هذه الدعوى وجاء ذكر موظفى مصلحة الآثار بطريقة تكشف عن حقيقة الظروف السيئة المحيطة بهذه القضية المشئومة

لقد شوهوا الحقائق أيما تشويه .

إن منشأ القضية خطأ جاهدناه تارة بالوداد والحسنى وتارة بتقدير المسئولية . لما نمى خبر أكتشاف القبر إلى اللورد قدر لفوره أن عاصفة هائلة من الفضول والاستطلاع ستثور حول هذا الاكتشاف وأن الامر سينتهى بهجوم من جانب الصحفيين .

وجال بخاطره الهام أنه محافظة على سكينته والاستمرار فى عمله الفنى أن يعهد إلى صحيفة يومية كبرى بنقل الاخبار ونشرها .

وجاء هذا التدبير عكس ما كان يتوقع لأن الجريدة الكبرى ـ « التايمس » أقامت العالم وأقعدته ، وأثارت شوقه لرؤية تلك الكنوز العظيمة .

نهض الزوار من أقاصى الكرة ونظمت الرحلات . وسارعت وكالات السفر ، بنشر الاعلانات الضخمة وأنهمر على الاقصر سيل لا نهاية له من الزائرين .

هذا هو منشأ الخطأ الذى أثار سخط فريق كبير من الصحافة وخلق موقفا عجيبا داهما إلى أن كان ذات يوم وصل فيه إلى مصلحة الآثار خطاب . . .

القاضى : أرجو الدخول فى الموضوع : أنى أعجب ببلاغتك و . . .

روسينى : ليس عندى من البلاغة شىء . . . وصل إلى مصلحة الآثار خطاب من المستر كارتر هذا نصه :

« تزعجنى جدا مضايقة وفود كثيرة تأتى للزيارة فأرجو إتخاذ الاحتياطات اللازمة لحمايتى » .

ان مصلحة الآثار لم تحسن إلى إنسان بأكثر مما أحسنت إلى كارتر وهذا الخطاب حجة قاطعة على ذلك .

مضت ستون سنة على أعمال التنقيب بمصر وأصدرت الحكومة ستين ترخيصا ، فأتونا بمثل اضطرت فيه الحكومة إلى أن تقف الموقف الذى اتخذته فى مسألة توت عنخ آمون .

لا أتكلم عن الاف البرقيات والرسائل ومئات الوفود التى احتجت لدينا على إنتهاك حرمة القبور .

ولكن حدث موقف غريب جديد . فوجدنا الضرورة تقضى بإتخاذ الاجراءات التى طلبها كارتر نفسه .

مضى العام الاول بسلام لأنه كان هناك شخص غير موجود الآن هو اللورد .

واللورد كان على يقين من أنه ضيف الحكومة وليس فى داره ويعمل بترخيص فى يده لا أكثر ولا أقل .

وجددت الحكومة الرخصة لليدى بدافع من الاخلاص والولاء ، والليدى لا تستطيع متابعة العمل فحدث ما حدث بيننا وبين كارتر .

سمعنا كثيرا من الغرائب أولها إن كل ما ارتكب ضد مصلحة الآثار كان فى مصلحة العلم.

إن مصلحة الأثار المصرية أحق بالكلام عن مصلحة العلم .

وتكلموا لنا عن الخبرة . وقرأوا لكم فقرات من كتاب وضعه كارتر ثم أتى يقول لكم يجب أن أضع يدى إذ توجد أعمال لا يستطيعها سواى !

وأكد لكم أنه فيما يتعلق بباقى مجودات القبر لا يعطيكم صفة فى العمل على صيانتها سوى مصلحة الآثار المصرية .

قيل أيضا أن الاشياء ثمينة دقيقة تجب صيانتها وإن المستر كارتر يقوم بحفظها لنا .

ما هو أساس مزاعمكم ؟

لسنا نريد عملكم أيها السادة !

حدث أن الحكومة حظرت الزيارة بلا تصريح بناء على طلب كارتر ذاته . فقيل لنا يوما أن وفدا من الانسات والسيدات (وهن لسن بعالمات طبعا) دعاهن كارتر لمشاهدة الآثار . ولما لم تستطع الحكومة إحتمال كل هذا صرخ كارتر وزعم أننا منعنا زملاءه ، العلماء ، وقريناتهم ، من الزيارة .

قالت له الحكومة اتركنا نتخذ كل الاجراءات إذا أردت أن تستمر فى عملك .

عندئذ أملى عليه خياله المتوقد أن يغلق المقبرة ليمنعنا من الدخول . قلنا له نعطيك عددا من التصاريح تمنحها لمن تريد بشرط أن تقدم لنا كشوفات منظمة لنطلع على صفات الزائرين وكم منهم من العلماء .

وضع برنامج هذه الزيارات وزير الاشغال وكارتر نفسه

وصيغت نصوصه فى عبارات دقيقة جدا دفعا لما عساه يحدث من الخلاف واستبقاء للوفاق .

ولكن كارتر أغلق القبر ونشر إعلانا أهان فيه الحكومة وقال : هذا

قبرى قد اغلقته

ماكسويل : لم يقل هذا .

روسيتى : أهينت الحكومة بأكثر مما يهان فرد عادى . ومع ذلك حافظت على بقية ، من حسن النية والود ، فمنحته يومين للتفاهم واستئناف العمل وإلا الغت الرخصة .

أجاب كارتر بطلب الاعتذار والتعهد بعدم مضايقته فى عمله .

وإمام هذا الرفض القاطع ألغت الحكومة الرخصة وأمرت مدير الآثار أن ينفذ قرارها .

يطلب كارتر طلبا غريبا بإقامته حارسا على المقبرة .

فإذا كانت الحراسة للصيانة فقد أتخذت كل الاجراءات الخاصة بذلك طبقا للقرار الوزارى ونفذ القرار بمعرفة مصلحة الآثار .

تزعمون أنكم أهل لصيانة الأشياء أكثر منا . ولكن الاشياء فى يدنا أكثر أمانا وصيانة مما لو بقيت فى يدكم .

ماكسويل : هذا ما نريد أن نقوله بالذات وهو أن التحف ستهلك إذا بقيت فى يد الحكومة

روسيتى : أن حفظ الآثار ونقلها عمل كيمائى . والكيمائى الذى كان يعنى بالآثار وبحفظها منذ فتحه حتى إغلاقه موظف مصرى ملحق بمصلحة الاثار المصرية وهو مستر لوكاس . . فمصلحة الأثار هى التى كانت تعنى بالآثار وليس المستر كارتر .

القاضى : هل يأخذ لاكو على عاتقه امام العالم مسئولية حفظ هذه الكنوز ؟ إن لاكو عالم بارع ولكن هل له أن يتحمل هذه المسئولية أمام

العالم بأسره ؟

روسيتى - ان مصلحة الآثار على يقين من صيانة الاشياء من الوجهتين المادية والعلمية .

روسيتى : يجب أن يكون هناك خطر على الاشياء المراد حراستها سواء من جهة فقدها أو ضياعها .

ماكسويل - اجرؤ فأقول : هناك خطر على هلاكها وضياعها أيضا .

روسيتى - بل هو خطر سرقتها ولا يصح طبقا للمادة (١١) من لائحة ترتيب المحاكم المختلطة أن تتعرض المحاكم لالغاء قرار وزارى . وطلب الحراسة مناف للقرار الوزارى القاضى بالغاء الترخيص .

آسف لما يقال من أن كارتر إهان الحكومة لأنها أساءت معاملته . اننا لم نسم كارتر لصا .

ماكسويل : كان كارتر يعمل لصيانة الاشياء . والحكومة تريد أن تستعمل المقبرة معرضا .

ولو راجعتم أسماء مئات الزائرين الذين صرح لهم بالزيارة ما وجدتم بينهم عالما واحدا .

فإذا كان هذا منزع الحكومة وذاك منزع كارتر فلا عجب أن يقع النزاع بينهما . والحكومة عاجزة عن العمل بأحسن من أى شخص أخر من الوجهة الفنية .

روسيتى (محتدا) سمحت المحكمة لمحامى المدعى أن يتكلم بلهجة معينة .

القاضى : لا

ماكسويل : أن محامى الحكومة لا يحافظ على أسلوب المجاملة .

القاضى : لكل محام ، من أية جنسية ، أن يترافع بالطريقة القضائية وفى حدود معينة .

روسيتى : لقد منحت إمتيازات معينة لمحامى المدعين .

أنهى القاضى الجدل قائلا :

- سيودع الحكم فى قلم الكتاب سأقرأ القضية لافهمها ثم أصدر حكمى بأسرع ما يستطاع .

رأى الجنرال مكسويل بصفته من الاوصياء على تركة اللورد أن يتخذ خطوة تخفف من حدة الخصومة وتهيىء للتسوية والصلح . فبعث إلى الوزير مرقص حنا يصف فيها تنازل الليدى كارنارفون عن الدعوى وعن كل حقوقها فى آثار المقبرة .

قال :

« عزيزى الوزير

من أجل إنهاء نزاع مرير وأعادة العلاقات السليمة التى لاغنى عنها للعمل العلمى فى مصر فى المستقبل وعلى وجه الخصوص . . من أجل تمكين مستر هوارد كارتر من إنجاز العمل القيم الذى بدأه ، فانى أتنازل هنا طواعية عن كل الدعاوى من جانب الكونتيسة المينا كارنارفون » والاصياء على أملاك اللورد الراحل كارنارفون والقائمين عليها بالنسبة . . للاثار فى مقبرة توت عنخ أمون .

وأوافق على سحب كل الاجراءات القانونية التى تتصل بتنفيذ هذه الدعوى .

وفى الوقت نفسه أوجه عناية الحكومة المصرية إلى القيمة الهائلة للاكتشاف بالنسبة لمصر وإلى نفقات عملية الانتشال المكلفة لهذه الآثار من المقبرة والتى تم إستخراجها ولا تزال مستمرة ، وكلها لصالح المتحف المصرى والحكومة المصرية وشعب مصر دون أن يتحملوا التكاليف .

وقد اعترفت الحكومة المصرية أكثر من مرة بأنه فى عملية إستخراج الآثاز التى لا نظير لها أبدى مستر كارتر مكتشف هذه الآثار - أخلاصا لا حدود له وكفاءة لا مثيل لها يتضاءل أمامها أى ثناء ، كما أن هيئة العاملين معه قدموا خدمة لا تقدر بثمن .

وفى ظل هذه الظروف إجازف بالقول ، بأن هناك عددا كبيرا من الآثار التى توجد فى المقبرة لها أكثر من نسخة

وأوجه العناية إلى أن قيام الحكومة المصرية بتقديم بعض هذه النسخ للمتحف البريطانى ومتحف المتروبوليتان فى نيويورك باسم الكونتيسة كارنارفون سيكون تعبيرا ملائما عن اعتراف الحكومة المصرية بالخدمات التى سبقت الاشارة إليها » . .

* * *

لم يبعث الوزير بهذه الرسالة إلى المحكمة المختلطة ، وبالتالى لم تؤثر فى سير الدعوى .

* * *

فى اليوم التالى ١٣ من مارس ١٩٢٤ أصدر كرابيتس حكمه فى القضية وهو يقضى من حيث الشكل بإختصاص المحكمة المختلطة وقاضى الامور المستعجلة بنظر القضية .

وفى الموضوع فإن القاضى قرر أنه قبل إصدار الحكم فى القضية فإنه يأمر أن يمثل امامه جميع الخصوم شخصيا .

وأن يمثل وزير الاشغال العمومية مندوب يعينه الوزير لهذا الغرض .

وأن يكون مثول الخصوم شخصيا فى اليوم والساعة اللذين سيعينان بناء على طلب الفريق الذى يهمه الأمر أكثر من الآخر أو يعينهما قاض الأمور المستعجلة نفسه .

وبعد إتمام اجراءات التحقيق والبحث يصدر الحكم بلا مزافعة .

* * *

كان حكم القاضى كرابيتس تمهيديا لم يتناول موضوع القضية ، أى موضوع فرض الحراسة ، وكل ما قضى به أن المحكمة المختلطة مختصة بنظر القضية .

وكان هدف القاضى تسوية الموضوع وديا إذا حضر أمامه جميع الاطراف بدلا من المحامين .

قالت الصحف فى اليوم التالى ان ماكسويل خرج من مرافعته عن حدود اللياقة ، وأنه وكارتر بإتهامهما وزيرا بأنه لص ، فقد أتهما شعب مصر كله .

* * *

سارت مظاهرات الطلبة فى الشوارع تهتف للاستقلال وتندد بكارتر .

وإتهم وزير الاشغال كارتر بالكذب .

وأعلن الوزير أنه سيرفض حكم المحكمة لو أعادت الامتياز إلى الاثرى البريطانى . ثم استأنف الوزير الحكم الابتدائى الذى يقضى بإختصاص المحكمة المختلطة .

عرضت القضية على محكمة الاستئناف المختلطة بالاسكندرية يوم ١٩ من مارس برئاسة المستشار ارنست إيمان وعضوية فؤاد جريس ، وصبحى غالى ، وكاتور ، وبرنتون .

قال روسيتى محامى الوزارة ان مقبرة توت عنخ آمون ملك للحكومة المصرية وليس فى وسع أحد تعيين حارس قضائى على شيء لا حق له فيه .

وأعترض على ماقضى به قاضى الامور المستعحلة من دعوة الخصوم للصلح قائلا ان القانون لا يجيز ذلك .

وتمسك ماكسويل محامى كارتر بالحكم المستعجل .

وأجلت القضية إلى ٢٩ من مارس .

وفى تلك الجلسة ـ السبت ٢٩ من مارس ـ قدم النائب العام لدى المحاكم المختلطة ، فان دن بوش ـ البلجيكى ـ مذكرة إلى المحكمة ، قال فيها :

« أصدر قاضى الأمور المستعجلة قبل الفصل فى الحكم أمرا شخصيا .

وهذا القرار الصادر عن شعور سام وميل شديد للتوفيق جدير بكل احترام ومشرف للقضاء خصوصا فى هذه القضية التى إهتم العالم بها إذ يقصد به إحلال الوئام والصلح محل الخصومة ليضمن النجاح فى عمل

علمى عظيم الفائدة فى جو يظلله هدوء وطمأنينة وفى الوقت نفسه فيه محافظة على حقوق حكومة مسئولة .

ولكن مهما كان هذا المسعى نبيلا فلا بد لتبريره أن يكون القاضى والهيئة القضائية التى ينتمى إليها مختصة .

إن الحارس القضائى مدير مؤقت معين من جهة القضاء على أشياء متنازع فيها فهل هناك أشياء متنازع عليها فى هذه القضية .

إن المستر كارتر ليس بالمنتفع ولا هو شريك للمنتفع وترخيص التنقيب منح للورد كارنارفون والليدى أرملته .

أنه وكيل عنهما يعمل تحت رعايتهما وليس له أن يدعى لنفسه حقوقا فى قبر توت عنخ آمون ومشتملاته تزيد على حقوق صاحب الرخصة .

ولسنا فى حاجة إلى الرجوع إلى نص ترخيص البحث بعد أن صرحت الليدى كارنارفون فى ١١ من مارس فى رسالة غاية فى الرقة انه ليس لها أى مطمع فى قبر فرعون ولا فى التحف التى وجدت فيه .

ومادام الامر ظاهرا بعد هذا التصريح فلا يوجد شىء متنازع فيه ولا ما يبرر تعيين حارس قضائى على القبر لادارته بالنيابة عن المالك الحقيقى . والمالك هنا هو الحكومة المصرية .

ومهما تكن وجهة النظر هذه قاطعة بعد الرسالة التى كتبتها الليدى كارنارفون فإن هناك وجهة نظر لها إهميتها وهى إحترام القاضى لفصل السلطات .

. . . فى ٢٠ من فبراير سنة ١٩٢٤ على اثر حوادث معلومة الغت الحكومة المصرية الترخيص الذى منحته لليدى كارنارفون وأصدرت أمرها بحيازة

مصلحة الآثار بصورة قطعية لقبر توت عنخ آمون وملحقاته .

وهذا عمل إدارى قامت به السلطة التنفيذية مستندة إلى حق إتخاذ تدابير قانونية إلى أن تلغى بواسطة السلطة التى أصدرتها .

فأعطاء الحق للسلطة القضائية فى مناهضة تنفيذ أمر من جهة السلطة التنفيذية يعتبر تعديا من سلطة على سلطة أخرى وهو مانهت عنه كافة القوانين الحديثة .

· ان تعيين حارس على قبر توت عنخ آمون وعلى الاشياء التى إستخرجت منه لا يكون فقط تأويل أمر إدارى ووقف تنفيذه كما تقول المادة ٧ من القانون المدنى بل يكون إلغاء لهذا الأمر فى ذاته .

والنتيجة شل للسلطة العامة فى تنفيذ قراراتها وتداخل فى شئونها ولا نستطيع أن نتصور مثلا أشنع خزيا لاعتراض السلطة القضائية للسلطة الادارية ومهاجمة أكثر جرأة لمبدأ فصل السلطات .

ولذلك نرى أنه كان على قاضى الامور المستعجلة أن يتنحى عن الاختصاص ونحن نطلب من المحكمة أن تأخذ بهذا الرأى الذى يجد تأييدا فى قضائها وتقاليدها ويبقى الطريق مفتوحا للتفاهم والاتفاق .

* * *

حددت المحكمة يوم أول أبريل للنطق بالحكم

وفى ذلك اليوم طلب محامى كارتر تأجيل النطق بالحكم فقد وردت من لندن برقية تكذب تنازل ورثة اللورد كارنارفون عن حقهم فى محتويات مقبرة توت عنخ آمون وأراد ماكسويل أن يتمكن من الرد على أقوال النائب العمومى .

دارت مناقشة فى هذا الشأن بين القـاضى والمحـامى والنـائب العـام خلت المحكمة لتتداول فيما إذا كان ورود هـذه البـرقية يـؤثر فى النــطق بالحكم أم لا .

وفى النهاية أصدرت المحكمة حكمها بقبول الاستئناف المرفوع مـن الحكومة شكلا وفى الموضوع بعــدم إختصــاص المحــكمة فى نـــظر الدعوى .

إن المحكمة رأت أن القضاء المختلط لا ينـظر طعنـا فى قـرار إدارى فان مجلس الدولة لم يكن قد أنشىء ... بعد !

الوساطة

السير آلان هندرسون جاردنر متخصص مرموق فى الآثار المصرية ، وهو سكرتير سابق للجمعية البريطانية للآثار المصرية وتولى رئاسة تحرير مجلة الآثار المصرية منذ عام ١٩١٦ .

اهتم بالآثار المصرية وهو طالب وكتب اول مقال عنها وعمره ١٥ سنة . تابع بعض محاضرات جاستون ماسبيرو فى لندن ودرس العربية والهيروغليفية فى اكسفورد وعاش عشر سنوات فى ألمانيا اشترك خلالها فى وضع قاموس الكتابة الهيروغليفية .

حاضر فى جامعة مانشستر وشيكاغو ومنح الدكتوراة الفخرية من عدة جامعات . والف ٢٦ كتابا عن مصر و ٢٢١ بحثا ودراسة من بينها كتابه عن تاريخ مصر الفرعونية وآخر عن قواعد اللغة المصرية القديمة .

زار مصر لأول مرة عام ١٩٠١ وهو صديق لكارنارفون وكارتر استعانا به ضمن مجموعة العلماء الذين اوفدهم متحف المتروبوليتان فى نيويورك لفحص مقبرة الملوك توت .

ترجم من الهيروغليفية كل النقوش التى وجدت على المقبرة وكتب عدة مقالات عن الآثار المكتشفة نشرها باسم مستعار حتى لايخل باتفاق كارنارفون مع جريدة « التايمس » .

يعرف جاردنر ان هناك تعاطفا بين حزب العمال البريطانى والوفد وظن جاردنر ان الصلة بين الحزبين ستحل كل مشاكل كارتر . واعتقد ان اية إشارة او إيماءة ، تلميحا او تصريحا ، من رامزى

ماكدونالد رئيس وزراء بريطانيا الى سعد زغلـول رئيس وزراء مصر ستحل كل مشاكل كارتر

كتب جاردنر ـ وكان فى الخامسة والاربعين ـ من فندق سميراميس بالقاهرة الى ماكدونالد ـ فى اول فبراير ١٩٢٤ ـ يطلب تدخله فى ازمة المقبرة بعد ٧٢ ساعة فقط من اسناد الوزارة الى سعد .

قال جاردنر :

« عزيزى رئيس الوزراء :

ترددت قبل الكتابة لأنى اشعر بانى سأسبب لك ازعاجا فى الوقت الذى تسترعى فيه اهتمامك مشكلات كبرى .

ولكنى احس بانى سأكون مقصرا فى واجبى تجاه علمى وتجاه زميل عزيز على نفسى اذا لم الفت انتباهك الى الظلم الفادح الذى ارتكب فى حق هوارد كارتر .

تعرض هذا الشتاء لمضايقات عديدة . وصدرت قوانين تتسم بضيق الافق لم يسبق لها مثيل تمنع الزائرين من دخول المقبرة . ولا تسمح له بتشكيل فريق العاملين منه .

ومنذ استدعى الى القاهرة لمناقشة هذه الموضوعات مع وزير الاشغال العامة وبيير لاكو المدير الفرنسى لمصلحة الآثار فإن عملية التسجيل العلمى لهذا الاكتشاف الوحيد ارجئت مما ملأنى وزملائى بسخط عظيم .

ووصلت ذروة هذا السخط الى كارتر عن طريق تهديد ضمنى اذا لم يقبله فان العمل فى ذلك الكشف العلمى الهام سيتوقف

وسيرفض كارتر بالتأكيد تقديم مزيد من التنازلات بدافع من ضيقه وشعوره بالألم نتيجة الاخطاء التى ارتكبت فى حقه فى الوقت الذى يقوم فيه ببراعة باستكمال عمل سيتم الحصول من ورائه على اعظم النتائج العلمية فضلا عن ضم اعظم الكنوز الى متحف القاهرة .

وفى هذه الحالة سنواجه باحتمال الأطاحة الطائشة - لاسباب تافهة وغير منطقية - بهذه الفرصة العلمية التى قد لاتتاح مرة اخرى .

- ان من الصعب فهم الموقف العدائى لبيير لاكو .

ارسلنا اليه احتجاجا شديد اللهجة موقعا منى ومن البروفسور بريستد استاذ التاريخ المشهور والمتخصص فى مصر القديمة ومستر ليتجو مدير متحف متروبوليتان للفن فى نيويورك والبروفسور نيوبرى المدير السابق لمتحف ليفربول .

ولاأتمالك نفسى عن اتهام مصلحة الآثار التى يرأسها رجل فرنسى طبقا لمعاهدة ١٩٠٤ بانها تحاول مضايقة واهانة مستر كارتر - وهو بطبعه سريع الغضب - ليرتكب خطأ فتسحب عملية الاكتشاف منه .

وهذا الأمر يعد اسوأ انواع القرصنة .

وإذا أضيف لذلك ان هناك اجماعا على انه ليس لدى مصلحة الآثار خبراء اكفاء يحلون محل كارتر وفريقه فستكون النتيجة خسارة للعلم لايمكن علاجها .

- ولدى اسباب قوية للاعتقاد بان اللورد اللنبى متعاطف تماما مع حقوق كارتر ولكن ليس مسموحا له - ربما على اسس من السياسة العامة - بالتدخل الى جانبه .

فاذا سمح للورد اللبنى بالتدخل فى هذا الموضوع فسيتم التوصل الى قرار عادل

انى انشد مساعدتك فى هذا الاجراء .

٤ ـ وفى موضوع يتعلق بالعدالة لا احتاج الى تذكيركم بانه كان لى شرف لقائكم . عندما طلب منى مستر ريتشارد لابيرت تناول الشاى معكم فى مجلس العموم ، وكنت مسرورا جدا عندما علمت انك شخصيا مهتم بالعلم الجذاب الذى امارسه » .

* * *

انتظر جاردنر ثلاثة ايام ظنها كافية لتغيير مجرى الايام ، فلما لم يصله رد ابرق الى رئيس وزراء بريطانيا قائلا :

« أرجو التعجيل باتخاذ اجراء » .

* * *

توجه كلارك القائم باعمال اللنبى الى فندق مينا هاوس حيث يقيم سعد زغلول لابلاغه رسالة من رئيس وزراء بريطانيا .

قال ماكدونالد فى رسالته ان بريطانيا تتنازل عن حقوقها إزاء المصريين المتهمين فى قضية المؤامرة الكبرى ضد الانجليز . وتوافق على العفو عن المسجونين السياسيين . فأمر سعد زغلول بالافراج عنهم فورا .

وزاد امل كارتر وجاردنر فى ان الافراج عن المسجونين المعاصرين سيجعل وزارة الاشغال المصرية مرنة فى حقوقها بالنسبة لآثار قدماء المصريين !

ويلزم ماكدونالد الحذر فى تصريحاته العلنية .

سأله عضو مجلس العموم الدكتور كابل ، قبل اغلاق المقبرة . عما اذا كان سيعلن عن الامتيازات التى منحتها الحكومة البريطانية لكارتر فى الاكتشافات التى يقوم بها .

رد ماكدونالد فى مجلس العموم قائلا :

- لم تخول الحكومة البريطانية ، هوارد كارتر ، أى حق او امتياز فى الاعمال التى يقوم بها للتنقيب فى مصر . وهو خاضع لنصوص القانون المصرى للآثار .

واثيرت المشكلة مرة ثانية فى مجلس العموم بعد اغلاق المقبرة وقبل الغاء الترخيص

وجه العضو اورسبى جور سؤالا الى رئيس الوزراء :

- هل يفاوض رئيس الوزراء الحكومة الامريكية بناء على الحوادث التى وقعت اخيرا . فى مصر ، ليقدما معا احتجاجا مشتركا على معاملة وزارة الاشغال للآثريين الانجليز والامريكيين .

اجاب ماكدونالد :

- أشكر النائب المحترم على اقتراحه . ولكن ليس فى الأمر مايوجب مثل ذلك على الحكومة فى الوقت الحاضر .

ومعنى هذا الرد الدبلوماسى ان ماكدونالد يرجىء اتخاذ قرار بالتدخل .

ولكن وزارة الخارجية البريطانية تنصح رئيس الوزراء ، ووزير الخارجية بعدم التدخل . . . نهائيا .

درست الوزارة شكوى جاردنر ، وقدمت مذكرة الى رامزى ماكدونالد قالت فيها :

« المشكلة التى ثارت بين مستر هوارد كارتر وبين مصلحة الآثار المصرية ، مشكلة تثير الغضب . لكن علينا ان نلزم جانب الحرص قبل ان نتورط فى النزاع .

لم تكن لحكومة صاحب الجلالة علاقة من قبل بموضوع حفائر مقبرة توت عنخ آمون الذى كان محصورا بين القائم بالحفائر والحكومة المصرية متمثلة فى مصلحة الآثار المصرية التابعة لوزارة الاشغال العامة .

ويخضع القائم بالحفائر لاحكام قانون الآثار المصرى الصادر عام ١٩١٢ .

(أ) لكنه فى حالات خاصة يستطيع القيام بترتيبات خاصة مع مصلحة الآثار فى حالة قيام ظروف خاصة .

ويعتقد ان لورد كارنارفون فعل ذلك .

ومن وجهة النظر التكنيكية يبدو انه اذا كان لمستر كارتر اية شكوى يمكنه اللجوء الى القضاء المختلط وهو قضاء يتمتع بنفوذ كبير ولا مجال لشكوى من عدم توفيره العدالة للشاكى .

ونتائج الحفائر الحالية لمستر هوارد كارتر على اى حال نتائج فريدة من نوعها وتكاد تكتسب اهمية عالمية ولايمكن انكار ان ذلك اكسبها درجة من الدلالة السياسية .

وقد حاول الوطنيون المصريون فى العام الماضى استغلال هذا الموضوع كدليل على التدخل الاجنبى فى الشئون الداخلية لمصر ، كما علم من مصدر خاص ان غيرة المدير الفرنسى لمصلحة الآثار (مسيو لاكو) كانت العقبة الرئيسية امام عمل الرجل الانجليزى (مستر كارتر) .

وتؤكد المعاهدة المصرية - الفرنسية لعام ١٩٠٤ موقف السيطرة لفرنسا فى مصلحة الآثار فى مصر .

وستحقق الشهرة الواسعة والاهمية العلمية العالمية لعمل مستر كارتر اهمية كبيرة فى هذا النزاع السخيف .

ومع ذلك نشعر شعورا قويا بان على حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ان تبذل كل ما فى وسعها حتى لاتتورط فيه

ومن المستحيل التدخل قبل احاطة حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا بمختلف جوانب الموضوع وعواقبه

واذا لعب مستر كارتر اوراقه بمهارة فيمكن ان يترك للرأى العام فى العالم مهمة اعادة الحكومة المصرية الى صوابها .

وربما يمكن ارسال تلميح قضائى الى الوزير المصرى بشأن الموضوع وفى الوقت نفسه الرد على مستر جاردنر بابداء الاسف لأن يضطر مستر كارتر لأن يواجه هذه الصعوبات التى ذكرها ، مع تأكيد اننا نقدر اهمية عمله تقديرا كبيرا .

ولكن من الصعب ان تعلن حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا أى رأى بخصوص قضية مستر كارتر فليس لهذه الحكومة موقف رسمى فى

المسألة فهى بين احد الافراد والحكومة المصرية تتم تسويتها بـاللجوء الى المحاكم المختلطة .

وليس لدى حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا المام بتفاصيل ايـة ترتيبات قد يكون مستر كارتر توصل اليها مع الحكومة المصرية مع اضـافة ان دار المندوب السامى يمكنها ان تقـدم لمسـتر كارتـر التـأييد الممكن » .

* * *

وافق رامزى ماكدونالد على مذكرة وزارة الخـارجية وبعـث سـكرتيره الخاص سلبى بالرسالة التالية الى آلان جـاردنر يـوم ٢٣ مـن فبـراير ١٩٢٤ . بعد اغلاق المقبرة والغاء ترخيص التنقيب . قال :

« سيدى ....

علم وزير الخارجية رامزى ماكدونالد بمزيد الاسف ان مستر كارتـر يواجه صعوبات فى حفائره فى مقابر الملوك كما اشرتم فى خطابكم .

ورغم انه يقدر تماما اهمية عمل مستر كارتر فليس مـن الممـكن ان تعلن حكومة صاحب الجلالة رأيا فى موضوع ليس لها فيه مـوقف رسـمى ويعتبر مسألة بين الافراد والحكومة المصرية » .

ولا يكتفى رئيس وزراء بريطانيا بالرد الرسمى الكتابى ..

انه يجتمع بمدير المتحف البريطانى فى لندن ويطلب منه ابلاغ كارتـر بالامتثال لرأى الحكومة المصرية والتفاوض معها .

ان رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الوقت يسـعى للتفـاوض مـع سـعد زغلول . ولم يكن يرغب بأى حال من الأحوال فى اثارته .

وتكون نتيجة الاحاديث بين رئيس الوزراء البريطانى ورئيس المتحف البريطانى سلسلة من البرقيات بعث بها مدير المتحف البريطانى الى كارتر عن طريق وزارة الخارجية البريطانية .

قالت البرقية الأولى :

« الى البروفيسور نيوبرى : بعثة كارنارفون بالاقصر .

اطلب من مستر كارتر بناء على تعليمات من المستويات العليا وقف الاجراءات القانونية . وان يقوم بترتيبات ودية مع الحكومة المصرية » .

وقالت البرقية الثانية :

« الى مستر كارتر بالاقصر :

عندى سبب قوى يدعونى لاتوجه اليك بالنصح بان توقف الاجراءات القانونية ، وان تتوصل الى تسوية ودية مع الحكومة » .

* * *

لم يكن سعد زغلول او وزارة الوفد يعرفون بالرسائل والبرقيات المتبادلة بين جاردنر ورامزى ماكدونالد . او بين رئيس وزراء بريطانيا ورئيس المتحف البريطانى فى لندن . . وبين هؤلاء جميعا وبين كارتر .

ولكن الحكومة المصرية كانت متمسكة بحقوق مصر لايعنيها موقف بريطانيا .

ولم يكن كارتر يعرف حقيقة موقف الحكومة البريطانية ، وانها لن تتدخل .

وكان اللورد اللنبى يجهل ذلك ايضا .

وظل اللورد خلال الشهور الثلاثة الأخيرة يشير - تلميحا - الى انه يؤيد كارتر وينصحه بمقاومة حكومة مصر . ولكن بعد ان عرف اللنبى ان رامزى ماكدونالد رئيس الوزراء يقف موقف المتفرج ابتعد المندوب السامى البريطانى عن كارتر ورفض لقاءه !

توجه كارتر للقاء نائب القنصل البريطانى فى القاهرة يحتج على سوء معاملة الحكومة المصرية ويطلب الحصول على نصف ما فى المقبرة .

قال نائب القنصل بعد نقاش طويل :

- لا تتوقع منا اية مساعدة .

احتد كارتر وفقد اعصابه فالقى مساعد القنصل بمحبرة فى وجهه .

نشرت صحيفة « الأهرام » ان كارتر باعتباره بريطانيا قدم الى اللورد اللنبى المندوب السامى - احتجاجا على الحكومة المصرية لتعمدها تقييده بقيود ثقيلة واهانته .

وقالت « الاهرام » انها علمت من واثق المصادر ان دار المندوب السامى البريطانى لاترى لنفسها حق التدخل فى مسألة الخلاف بين كارتر والحكومة المصرية لأنها تعدها مسألة داخلية بحتة لاينازع الحكومة المصرية منازع فى حلها والبت فيها .

ويبدو أن مانشرته الاهرام كان موعزا به ومتعمدا .

إذا كانت الحكومة المصرية هى التى أوحت بنشره فان الهدف منه ان يكون رسالة غير مباشرة الى اللورد اللنبى بأن الخلاف موضوع داخلى لاشأن للإنجليز به.

واذا كانت دار المندوب السامى هى التى طلبت النشر فأن الرسالة قد ابلغت بهذه الطريقة الى سعد

* * *

تدخل البروفسور بريستد للوساطة بين وزير الاشغال وكارتر .

ابدى الوزير استعداده لمنح ترخيص جديد لأرملة اللورد . بشرط اساسى وهو الاعتذار عن كلمة « لص » وتنازل عن حقها فى نصف الآثار .

وعرض الوزير شروطا جديدة وهى ان يكون لوزير الاشغال الرقابة والاشراف على جميع الاعمال فى وادى الملوك وان يكون نشر انباء الاكتشافات من حقوق الحكومة المصرية توزعها على الصحف بالتساوى .

وقال الوزير انه بعد ذلك سيسمح لكارتر باستئناف العمل فى المقبرة .

قال ماكسويل لكارتر :

- ستحصل على شروط افضل اذا تمت التسوية الودية بعيدا عن ساحة المحاكم وستكون امتيازاتك اكثر مما يمكنك الوصول اليه بالطريق القانونى .

وأضاف ماكسويل :

- ان تنازلك عن حقك فى نصف الآثار سيجعل صورتك افضل امام الرأى العام المصرى والعالمى لأنه سيثبت اهتمامك بالعلم لا بالحصول على حصة من آثار مصر . وسيجعل المحكمة المختلطة تتعاطف معك .

وستضطر الحكومة لأن تكون كريمة معك فى نهاية الامر .

ولكن كارتر رفض .

ويبرق القائم باعمال اللنبى الى لندن .

« اذا استمر كارتر على رفضه فان المفاوضات لن تنجح » .

ويطلب القائم بأعمال اللنبى من الماجور جون استور صاحب جريدة « التايمس » اقناع ارملة اللورد كارنارفون بارسال البرقية التالية الى سعد زغلول :

« بعد معرفة دقيقة بطبيعة الموقف فانى اقبل الامتياز الذى تعرضونه دولتكم على عودة كارتر الى موقع العمل .

وأتمنى ان يتم سحب قضية كارتر من المحاكم » .

ولكن كارتر يرفض مرة اخرى

أرسل القائم بأعمال اللنبى إلى سلبى سكرتير رئيس وزراء بريطانيا قائلا:

«أبلغنى البروفسور بريستد وزملاؤه ان كارتر أصيب بانهيار ووصلت خطورة الأمر إلى أنه لا يمكن اعتباره مسئولا عقليا عن تصرفاته. ولا يستطيع اتخاذ القرار الذى يتطلبه الموقف».

ويوافق كارتر على استمرار الوساطة .

* * *

كان هناك عامل ضغط على الوزارة المصرية وكارتر ايضا .

ان كارتر رفع غطاء التابوت - الذى يزن نحو طنين - وتركه معلقا بالحبال فى الهواء ويمكن ان يسقط فى اى وقت ليحطم التابوت والمومياء ويدمر أهم مافى المقبرة .

ومن ناحية اخرى فان الحكومة كانت قد دعت اللورد اللنبى وقرينته وعددا من افراد الاسر المالكة فى اوروبا الذين وفدوا على مصر وبينهم الامير فردريك ليوبولد ولى عهد بروسيا - المانيا - لزيارة المقبرة وكذلك بعض المسئولين .

وجاء اغلاق المقبرة ليجعل وزارة مصر فى موقف حرج .

طلب مرقص حنا وزير الاشغال الى رجال متحف المتروبوليتان فى مصر استئناف العمل فى المقبرة فاعتذروا متضامنين مع كارتر .

ولم يكن رجال مصلحة الآثار مؤهلين لهذا العمل .

وكان مستحيلا على حكومة مصر التراجع والسماح لكارتر باستئناف العمل ، ومن هنا نشأت فكرة منح ارملة اللورد ترخيصا جديدا .

أما الحل الثانى فهو تأجيل دعوة اللورد اللنبى وغيره .

ولم يكن امام الحكومة المصرية إلا اقتحام المقبرة مع رجال الشرطة الذين حطموا الاسلاسل والباب الصلب الذى اقامه كارتر وانزلوا غطاء التابوت بهدوء ووضعوه بجوار الجدار .. على ضوء الشمع وسط تنهدات ارتياح رن صداها فى العالم الذى كان يتابع فى قلق كل مايجرى داخل المقبرة الفرعونية !!

واستقل اللورد اللنبى قطاره الخاص من القاهرة الى الاقصر ترافقه قرينته .

واستقل باقى المدعوون قطارا آخر ، استقبله الناس على طول الطريق بالهتاف لمصر واستقلالها .

وامضى اللورد الليلة فى القطار بينما نام فى القطار وفندق ونتر بالاس باقى المدعوين .

وزار الجميع المقبرة يوم ٦ مارس فقاطع الزيارة كل الأثريين الاجانب عدا فوكار رئيس البعثة الفرنسية . وعاد اللورد فورا الى القاهرة ولم يشهد الحفل الذى اقيم بهذه المناسبة فى الفندق وتدفق نحو ٢٠٠٠ من المصريين والاجانب على المقبرة خلال الايام العشرة التالية ثم أغلقت بعد ذلك .

* * *

وجاء دور وساطة الصحافة .

تدخل جيرالد ديلينى مراسل وكالة رويتر الانجليزية للانباء للوساطة بين الحكومة وكارتر .

وديلينى صديق لسعد زغلول توسط كثيرا بينه وبين الانجليز . وهو صديق ايضا للوفد ومرقص حنا .

التقى ديلينى بمرقص حنا عدة مرات وحاول اقناعه بحل الأزمة بطريقة تحفظ للحكومة المصرية كرامتها .

ولكن ديلينى فشل ايضا .

* * *

استؤنفت جهود الوساطة بعد الحكم الابتدائى الذى اصدره القاضى كرابيتس .

قصد بريستد الى منزل مرقص حنا وزير الاشغال ومعه ماكسويل المحامى الذى رافقه حتى الباب ثم انصرف .

قدم بريستد للوزير خطابا من كارتر يعتذر فيه عن كلمة «الص» التى نطق بها ماكسويل ، ولكن الوزير انفجر ثائرا ضد ماكسويل قائلا :

ـ لقد اتهمنى ماكسويل مرة بالخيانة وطلب اعدامى ، والآن يتهمنى باللصوصية، ولمح الوزير شبح ابتسامة على وجه بريستد فسأله عن السبب .

قال برستد :

ـ انظر خلفك ياسيدى الوزير .

تطلع الوزير فوجد صورة له ولزملائه بملابس السجن .. داخل السجن . وأضاف برستد :

ـ معذرة سيدى الوزير .. أليس هؤلاء الذين امامى فى الصورة يشبهون اللصوص ! .. انفجر الوزير ضاحكا وقال انه مستعد لمنح أرملة اللورد ترخيصا جديدا وحدد موعدا ـ بعد يومين ـ لاجتماع آخر .

* * *

... جاء جيمس هنرى بريستد عالم الآثار الامريكى للقاء الوزير ومعه مورتون هاول وزير الولايات المتحدة المفوض .

قال لهما وزير الاشغال :

* لابد ان يعتذر ماكسويل عن كلمة لص .
* لابد ان يتنازل كارتر ـ كتابة ـ عن أى حق له فى اقتسام الآثار .
* لابد ان يتوقف كارتر نهائيا عن انتقاد الحكومة المصرية .
* لن يسمح لكارتر بدخول المقبرة إلا بعد الالتزام بهذه الشروط .

عاد العالم والدبلوماسى للقاء الوزير قائلين انهما يقبلان هذه الشروط باسم كارتر . وعندما ابلغا الوزير بموافقة كارتر اجابهما قائلا :

ـ لقد استأنفت الحكم الابتدائى .. لننتظر حكم الاستئناف .

علق ادوار روبنصـون مـدير متحف المتـروبوليتان على ذلك . قـال لكارتر :

ـ لقد لعب بك المصريون . وسقطت بين ايديهم .

وأدلى كارتر بحديث الى الصحافة البريطانية قال فيه :

ـ ضحك المصريون على مورتون هاول وزير امريكا المفوض وخدعوه أكثر من مرة .

* * *

كتبت نيويورك تايمس برقية بعث بها مراسلها فى القاهرة بـرادستريت قال فيها : الدكتور مورتون هاول وزير الـولايات المتحـدة فى مصر نـالته اساءة بالغة من الحكومة المصريـة . واذا لـم تغض حـكومة الـولايات المتحدة النظر متحملة الذل والعار عن المسألة وتدعها دون ان يـلاحظها احد فان عليها ان تقوم بعمل شديد ضد الحكومة المصرية »

قرأ ايفانز هيوز وزير خارجية الولايات المتحـدة هـذه البـرقية فلـم يتدخل لصالح كارتر او بريستد او هاول بل بعث برسالة لائمة الى مـورثون هاول الوزير الامريكى المفوض فى القاهرة .

وكان مورثون هاول جراحا فى الستين من عمره . عين فى منصبه قبل عامين .

اضطر هاول للادلاء بالبيان التالى الى الصحفيين :

قال :

« علمت ان تلغرافا ارسل الى امريكا يقـول انـى بـاعتبارى وزيـرا مفوضا للحكومة الامريكية تحملت اساءة من الحكومة المصرية .

ثم علمت ايضا ان هذا التلغراف يلمح الى انه اذا لم تغض حكومة الولايات المتحدة النظر عن « الاساءة » المزعومة وتدعها تمر دون ان يلاحظها احد فان الوسيلة الوحيدة التى امامها هى اتخاذ عمل سياسى قوى ضد الحكومة المصرية .

وعلى ذلك أريد ان اقول ان حكومة الولايات المتحدة ليست « مشتبكة » بأى حال من الأحوال مع الحكومة المصرية فى نزاع يتعلق بمقبرة توت عنخ آمون او بأية مسألة اخرى .

وقد استخدمت مساعى الطيبة بصفة غير رسمية لمساعدة الاستاذ بريستد وغيره للوصول الى تسوية ودية وفض النزاع .

ولو كان الذين عليهم ان يهتموا بتسوية هذه القضية اكثر حزما وأعظم مسالمة فى خطتهم ازاء الحكومة المصرية لكانت المهمة التى القيت على عاتقى وعاتق الذين يشتغلون معى اسهل كثيرا مما هى الآن .

وأريد فى هذه الأونة ان اعرب عن تقديرى للمجاملة التى لقيتها من الحكومة المصرية .

ولا صحة للتهم الخطيرة التى عزاها الكاتب الى الحكومة المصرية !

وقرر هاول الوزير الامريكى المفوض نفض يده من المشكلة فتوجه اليه ـ فى بيته ـ القاضى كرابيتس الذى أصدر الحكم الابتدائى . وطلب منه ان يتحرك ولا يستسلم للاهانة ولا يخضع لوزير الاشغال المصرى .

وقدم العالم بريستد شكوى الى شارلز ايفانز هيوز وزير خارجية امريكا .

حاول كرابيتس اقناع هاول بالتدخل مرة اخرى فرفض وقال انه مريض فكتب اليه كرابيتس خطاب توبيخ شديد .. وطالبه بان يتحرك حتى لايظن المصريون ان استقلالهم يعنى السخرية بالاجانب .

وأضطر هاول الى ان يبعث الى واشنطن قائلا فى برقيته رقم ٤٥٩ بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٢٤ :

« هذه الحالة تبين التغييرات السياسية فى مصر .

وقع هوارد كارتر فى خصومه مع السلطات المصرية بشأن اجراءات معينة فيما يتعلق بالمقبرة .

وكان عمل كارتر متعجلا للغاية ، لا فى مصلحته ، او فى صالح الاجراءات العلمية .

وانى واثق انه فى ظل حكومة يحيى ابراهيم كان مستر كارتر سيفوز بقضيته فليس هناك شك فى ان رئيس الوزراء - يحيى ابراهيم - كان يميل دائما للاصغاء للمقترحات البريطانية .

ومن ناحية اخرى أوضح سعد زغلول انه مستعد للتنازل عن كل شيء لبريطانيا لصالح السلام . ومع ذلك ففى الموضوعات الاساسية المصرية ، سيقف مدافعا عن الحقوق المصرية . كما فعل فى الماضى » . !!

. فى المنفى

انهارت أعصاب كارتر .

نصحه زملاؤه من علماء الأثار الانجليز والامريكيين بقبول دعوة لالقاء محاضرات فى الولايات المتحدة ليبتعد عن الأحداث فغادر مصر إلى لندن يوم ٢١ من مارس ، ومنها استقل الباخرة « بير نجيريا » إلى نيويورك .

وأمضى وقته فى عزلة داخل قمرته . وابتعد عن الركاب كلما صعد إلى سطح الباخرة .

وعندما رست به الباخرة إلى الشاطىء الامريكى فى ٢٠ من أبريل كان قد اتخذ قراره .

رأى أن يسافر إلى الحبشة ، ينقب فى أعماق الأرض فى القارة السوداء بحثا عن حلقات مفقودة فى التاريخ .

وكان هدفه الانتقام من مصر بأن يجد جذورا للحضارة هناك ليثبت أنها الحضارة الأم التى انتقلت إلى وادى النيل وأرض دجلة والفرات !

* * *

قابل كارتر فى البيت الأبيض الرئيس الامريكى كالفن كوليدج مرتين ، وألقى عدة محاضرات فى الولايات المتحدة وكندا عن المقبرة وما فيها .

أكد كارتر لكل من يسأله عن المقبرة أنـه لا يشـك اطـلاقا فى عـودته اليها . . ولكنه لا يستطيع أن يحدد الموعد بالضبط .

ولكن موقف كارتر كان يختلف تماما عن تصريحاته العلنية .

كان يرافقه امريكى اسمه لى كيديك تـولى تنـظيم هـذه الجـولة والاشراف على ترتيب المحاضرات .

وصف كيديك حالة كارتر النفسية فى هذه البرقية :

« انه لا يجد متعته الحقيقية إلا فى الجدل والنقـاش حـول أكثـر الاشـياء تفاهة حتى مع الاطفال الصغار ، وسـائقى سـيارات الاجـرة ، وبـوابى الفنادق ، وعمال عربات الطعام ومـوظفى التـذاكر بمحـطات السـكك الحديدية وبائعات الزهور

إن هؤلاء لا ينجون من تعليقاته المثيرة للاعصاب .

انتقد سائقى سيارات الاجرة لاستخدام « الفرامل » فجاة .

وانتقد الحمالين بالفنادق وموظفى الاستقبال لنقص تدريبهم .

لم يسلم مهندسو القطارات لسانه السليط .

وعندما يبدأ رحلة طويلة ويتوقف القطار لسبب بسيط فانه يـذهب إلى السائق ويسأله قائلا :

ـ من علمك القيادة ؟ هذه أسوأ رحلة بالقطار فى حياتى !

ويؤدى هذا التصرف إلى إثارة سخط السـائق ويـزيد متـاعبنا خـلال اليوم .

ولاحظ خلال احدى الرحلات من مونتريال إلى اوتاوه فى كنـدا أنهـم طلبوا من الزبائن ان يكتبوا ملاحظتهم عن الخدمة والاصـناف على قـائمة الطعام .

وكانت فرصة لكارتر .

انطلق يكتب انتقادات طفولية مثيرة للسخط حول نقص الخبرة لـدى العاملين فى عربات الطعام وأنهم غير مؤهلين بالفطرة أو بـالتدريب لمثـل هذا العمل .

وكان سروره عظيما وهو يطوى البطاقة ويضعها فى ظرف ويـرسلها إلى المقر الرئيسى للشركة صاحبة العربات ».

* * *

وفى وحدته فى ستاتلر فى « بافالو » كتب فى مذكراته :

« جميع الانباء التى تلقيتها مؤسفة للغاية .

ولا أستطيع الموافقة على اجراء من شأنه الحاق الضرر بالأخرين .

وسأكتفى بالتنازل عن حقوقى ، مهما كانت ، فى كنوز تـوت عنخ آمون .

وسأمتنع عن القيام بأية حـفائر عن الاثار فى المستقبل . أقول ذلك بقلب كسير .

انهم بعد سنوات طويلة من العمل يدعون لى أخـطاء دون أن يـذكروا حسنة واحدة يمكن بها معادلة الكفة »

* * *

لم تنس مصر آثار توت عنخ آمون .

وجه عبد العزيز الصوفانى نائب الحزب الوطنى عـن دائـرة البحيـرة استجوابا لمرقص حنا وزير الاشغال .

قال الاستجواب :

* هل يمكن معرفة الاعمال التى تمت بمقبرة توت عنخ آمون منذ تـولتها وزارة الاشغال لحين اغلاقها .

* يشاع أنه كانت هناك مفاوضات لتجديد الرخصة الملغـاة التـى كانـت معطاة لليدى كارنارفون ، وألغيت ، وأن المساعى أوقفـت مـؤقتا فهـل للوزير أن يفضى برأى للحكومة فى هذه المسألة .

* هل قدمت طلبات حديثة باستمرار التنقيب فى قبر توت عنخ آمون . . وهل تنوى الحكومة اعطاء امتياز للبحث فى المقبرة إلى آخرين عدا الليدى كارنارفون إذا طلب منها ذلك .

رد وزير الاشغال :

ـ حافظت الوزارة على المقبرة واتخذت بشأن ذلك جميع الاعمـال الفنيـة والادارية وترى الحكومة من الحكمة ألا تبدى تصريحا فى مسألة الـوساطة الحاصلة الأن فى صدد القضية .

ولم تقدم للوزارة طلبات أخرى للبحث والتنقيب فى المقبرة .

ويعود الصوفانى يسأل وزير الاشغال :

ـ هل تنوى الحكومة أن تعرض على مجلس النواب أى اتفاق بشأن الحفـر والتنقيب فى مقبرة توت عنخ آمون وتعرف رأى المجلس فيه .

رد مرقص حنا قائلا :

ـ الجواب بالنفى لأن القوانين الحالية تجعل اصدار الرخص مـن حقـوق السلطة التنفيذية وحدها . وهى ـ فى هـذا المـوضوع ـ وزارة الاشـغال وحدها . . دون سواها .

* * *

أدرك رامزى ماكدونالد رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيتها أن ما يجرى فى مصر ضد كارتر يمكن أن يتكرر فى دول أخرى كثيرة فيبرق إلى ممثلى بريطانيا فى كل مكان قائلا : « لفت انتباهى زيادة عدد محاولات الدول لاحتكار حق التنقيب عن الأثار والحاق الضرر بمصالح هيئات الأثار البريطانية وابعادها فى هذا المجال .

ولذلك أطلب ابلاغى على الفور إذا علمت بأية محاولة تقوم بها هيئة أثرية أو فرد للحصول على مثل هذا الامتياز والاحتكار فى الدولة التى تقيم فيها أو فى أية دولة أخرى » !

* * *

أبحر سعد زغلول من ميناء الاسكندرية يوم ٢٥ من يوليه ١٩٢٤ فى طريقه إلى لندن للتفاوض مع ماكدونالد على جلاء القوات البريطانية فى مصر .

وتوقف سعد فى باريس ثم توجه إلى لندن .

ويعود الان جاردنر إلى محاولة ممارسة الضغوط

كتب جاردنر إلى رامزى ماكدونالد يوم ١٢ من سبتمبر يطلب منه اثارة مشكلة كارتر ومقبرة توت عنخ آمون فى المحادثات مع سعد زغلول .

قالت رسالة جاردنر التى كتبها فى لندن

« سيدى العزيز

بالنظر إلى المحادثات القادمة مع سعد زغلول باشا فهل لى أن اتساءل عما إذا كنتم تميلون لاتخاذ خطوات لضمان ادارة مناسبة للأثار المصرية .

هذه الأثار يمكن اعتبارها تـراثا للعـالم المتحضر بـاسره ، وينبغـى توقع المطالبة بادارتها من جانب مصر بشكل عام .

وكان الاثريون يرقبون بقلق متزايد الادارة المعيبة للغاية مـن جـانب هيئة الاثار . التى كانت تمضى من سىء إلى اسوأ خلال السنوات القليلـة الماضية .

وقد اكتظ متحف القاهرة بما فيه

وثلث ما فيه من اثار هى وحدها المسجلة رسميا

ودائما كان عدد العاملين به غير كاف .

والخبراء الاوربيون القلائل العاملون به تلقوا اخطارا بـانهاء عملهـم عام ١٩٢٧ .

وفى مواجهة كل ذلك تمضى حملة نشيطة بتأييد من المـدير الفـرنسى لهيئة الاثار لفرض قيود مشددة على تصدير الاثار .

ان مبدأ المتاحف الذى افاد التعليم فى انحـاء العـالم فـائدة قصـوى يتطلب أن يكون ممكنا تكوين مجمـوعات ممثلـة جيـدة فى كل انحــاء العالـم ، حيث يوجد طلاب وجمهور قادر على تقدير قيمة هذه الاثار .

وانا نكاد أن نصاب باليأس ونحن نرى أنفسنا نواجه الـدمار الـكامل لاهتماماتنا الاثرية

ونشعر بان لنا شكوى حقيقية

فى عام ١٩٠٤ عندما ابرمت بين فرنسا وانجلترا اتفاقية تجارية تتعلـق بمصر والمغرب نصت مادتها الاولى على أن يكون مـدير هيئـة الاثـار منـذ ذلك الحين . . فرنسيا .

وقد تأكدت من مصدر جيد أنه ما كان ممكنا ابرام تلك الاتفاقية دون هذه المادة .

وهكذا تمت التضحية بالمصالح الاثرية من أجل سبب سياسى على نحو متعمد . وكان هذا الترتيب مصدرا لكل متاعبنا .

ولو كانت الادارة الفرنسية تتسم بالكفاءة لما كان بمقدورنا أن نشكو ، فمدير فرنسي سيكون جيدا كأى مدير غيره . ولكن هيئة الاثار اتسمت باقصى درجات عدم الكفاءة .

ومع مجيىء المدير الجديد لاكو ، تدهور الوضع إلى الاسوأ الف مرة . وفى الوقت الذى غادر فيه معظم الموظفين البريطانيين مصر ، أو يستعدون لمغادرتها ، يبقى لاكو ، ويسعى لتقوية وضعه عن طريق الرضوخ للمطالب ، غير الحكيمة ، وغير العلمية ، للمصريين انفسهم .

ان المعاملة التى عومل بها كارتر الذى يعترف اعداؤه بأن عمله لم يوف قدره من الثناء كانت ضربة إلى العلم كنا نأمل ألا نعيش لنرى مثله » .

علقت وزارة الخارجية على طلب جاردنر بان جدول الاعمال فى المباحثات يتضمن مسائل شائكة بما فيه الكفاية . ولا يوجد ما يدعو لاضافة هذا الموضوع .

ولكن جاردنر لا ييأس ابدا .

يكتب إلى وكيل وزارة الخارجية البريطانية يوم ٢٠ من سبتمبر قائلا :

« ارجو ان تنقل إلى مستر رامزى ماكدونالد شكرى العميق لموافقته على الحديث مع زغلول باشا ـ إذا وافته الفرصة ـ حول الوضع المؤسف للاثار المصرية .

وقد وردت اخبار حول صعوبات وشيكة تؤدى إلى خسارة كبيرة فى الوقت والمال »

وفى محاضر محادثات ماكدونالد وسعد زغلول لا نجد إشارة لموضوع الاثار فان رئيس وزراء بريطانيا تجنب الحديث فى هذا الشأن !

استمرت المفاوضات بين رجال متحف متروبوليتان وبين مرقص حنا باشا وزير الاشغال حول السماح لكارتر باستئناف العمل .

ويصر مرقص باشا على ضرورة اعتذار كارتر عن كلمة لص .

قال رجال المتحف أن كارتر لم يوجه هذا الاتهام لحكومة مصر أو للوزير أو لشعب مصر . . بل تلك كلمة نطق بها ماكسويل المحامى فى مرافعته أمام المحكمة .

كما يطلب الوزير تعهدا من كارتر بأن يكون حسن السير والسلوك فى المستقبل .

ويجد رجال المتحف أن هذا الاعتراف يعنى ـ ضمنيا ـ أن كارتر لم يكن حسن السير أو السلوك .

ويقتنع رجال المتروبوليتان بأنهم لن يحصلوا على قطعة واحدة مكررة من آثار المقبرة ، وأن عقود التنقيب ستتغير إلى الابد فى مصر ، وأن أقصى أمالهم الحصول لا على نصف الأثار التى ستكتشف فى المستقبل بل

على قطعة واحدة من كل خمس قطع تكتشف .. بعد أن تختار المصلحة من الآثار .. ما تريد !

ويعلن كاتب مصرى فى نيويورك - بشاره نحاس - أنه التقى بكارتر الذى قال له انه أصبح لا يأمل إلا فى ٢ ٪ فقط من القطع الأثرية .

ورغم ذلك يظل كارتر عنيدا ...

ألف كتيبا صغيرا عنوانه « مقبرة توت عنخ آمون . بيان بالمستندات عن الاحداث التى وقعت فى مصر فى شتاء عام ٢٣ - ٢٤ وأدت إلى الخلاف مع الحكومة المصرية ».

ولكن كبار المسئولين فى المتروبوليتان يقنعون كارتر بالعدول عن توزيعه لأنه سيؤدى إلى خلاف معهم . فهو يذيع كل اتصالاته بالمتحف ومناوراته ومؤامراته معهم .. كما أن هذا البيان سيجعل القطيعة نهائية وكاملة مع حكومة مصر .

وافق كارتر وأوقف طبع الكتيب .

ويقول مسئول المتحف لكارتر :

- لا فائدة إذا اردت العودة لمصر فليس أمامك إلا التنازل عن نصف الآثار .

* * *

عاد كارتر إلى انجلترا مهزوما مكتئبا يملؤه الشعور بالمرارة .

ويتلقى رسالة من رئيس عماله فى الأقصر أحمد جرجار كتبت بلغة إنجليزية بسيطة حملت تمنيات بالصحة من العمال والخفراء !

وتسعد الرسالة كارتر فينشرها فى الجزء الأول من كتابه عن المقبرة .

قالت الرسالة :

« السيد المحترم هوارد كارتر

أكتب إليك هذا الخطاب راجيا من الله أن تكون متمتعا بصحة جيدة وأسأل العناية الالهية أن تحفظك وتعيدك سالما الينا .

وأتشرف بابلاغ سعادتكم ان المستودع رقم ١٥ على ما يرام . وأن المستودع الشمالى على ما يرام كذلك . وأن الوادى والبيت بخير . وأن جميع أوامركم تم تنفيذها طبقا لتعليماتكم الكريمة .

والريس حسين ، وجاد حسن ، وحسن عوض عبد الله أحمد ، وجميع خفراء البيت يلتمسون إرسال أطيب تحياتهم .

مع احترامى إلى ذاتكم الكريمة وشوقنا لحضوركم السريع

خادمكم المطيع

الرئيس أحمد جرجار

أثارت هذه الرسالة شجون كارتر وجعلت عقله يزحف بعيدا عن الحبشة وافريقيا إلى وادى الملوك الذى أحبه ، وإلى الفرعون الطفل الذى عثر على قبره .

أحس كارتر بالامل . .

كتب خطاب الاستسلام بلا قيد ولا شرط وبعث به إلى لاكو .

قال :

« أنا الموقع ادناه هوارد كارتر أقرر بصفة نهائية التنازل عن كل مطالبة أو ادعاء من أى نوع بالنسبة لمقبرة توت عنخ آمون والاشياء التى وجدت بها ، وأوافق على قرار حكومة مصر بالغاء الترخيص والنتائج التى ترتبت عليه .

وأعلن سحب كل الاعمال والقضايا واخول ممثل الحكومة فى مصر أن يطلب ذلك من المحاكم »

* * *

بعد عودته من الولايات المتحدة طلب كارتر من الاوصياء على تركة اللورد التنازل عن حقهم فى نصف الأثار فيرفض الجنرال مكسويل . ولكن أرملة اللورد كارنارفون توافق على التنازل .

فى ٢٣ من سبتمبر وجهت أرملة اللورد كارنارفون رسالة إلى مرقص حنا اعدها كارتر والسير جون ماكسويل تتضمن الموافقة على ما طلبه الوزير .

قالت الرسالة

« درست بعناية شروط الامتياز الجديد المقترح الذى ناقشتموه بصفة خاصة مع مندوبى بالقاهرة والشروط كما تم الاتفاق عليها بصفة مبدئية مرضية لى ولوكيلى مستر هوارد كارتر والصعوبة الوحيدة الباقية هى تنازلى عن حقوقى أنا وكارتر والاوصياء فى القطع الأثرية التى عثر عليها فى المقبرة والتى كان من المفروض منحها لممثلى زوجى الراحل اعترافا بما أداه من أعمال ورغم أنى وكارتر مهتمان بالامر إلا أننا فى الوقت نفسه مستعدان للتخلى عن مطالبنا .

ولكن للاوصياء على تركة اللورد كارنارفون رأى أخر .

وأحب أن أذكرك بأن زوجى الراحل ظل أكثر من عشر سنوات ينقب فى وادى الملوك وكان يقوم بهذا العمل عاما بعد آخر رغم العديد من المعوقات التى اصابته بخيبة الامل .

وتم كل ذلك على نفقته مما كلفه اموالا طائلة قدرها كارتر بحوالى ٤٥ أالف جنيه استرلينى .

وحتى اليوم فأن جميع الهيئات العلمية والأثرية حصلت على مكافآت ومنح كبيرة عندما عثرت على قطع اثرية ذات قيمة .

وكل ما يطالب به الاوصياء . أن يعاملوا على قدم المساواة مع تلك الهيئات .

وإنى لعاجزة عن التعبير عن أسفى الشديد لسوء التفاهم الذى وقع خلال موسم العمل فى الشتاء الماضى . ولكنى على يقين تام من أنك تتفق معى على أنه من مصلحة العلم أن يستمر العمل للتوصل إلى نتيجة سريعة على الاسس نفسها التى يجرى عليها الآن .

أن صديقى هوارد كارتر هو الرجل الوحيد الذى يستطيع القيام بهذا العمل على النحو المرضى الذى تنشده حكومتكم وارغب فيه مع علماء الأثار والعالم كله بفضل مساعديه الاكفاء واشراف الأثار التابعة لكم .

وعلاوة على ذلك اقترح أن يستكمل كارتر هذا العمل بناء على وصية اللورد الراحل* التى عبر عنها قبل وفاته .

وآمل عدم اصراركم على تنازل الاوصياء على تركة اللورد .

وأرى الانتظار حتى يتم حصر المحتويات الفعلية للمقبرة .

وفى هذه الحالة يحال إلى التحكيم موضوع تحديد نصيب القائمين على وصية اللورد كارنارفون لنصوص الترخيص الأصلى .

واقترح أن يتولى التحكيم اثنان من علماء الأثار المحايدين المعترف بمكانتهما العلمية .

وتقوم الحكومة بتعيين إحدهما بينما يعين الاوصياء العضو الآخر . مع ترك الحرية لهم لتعيين محكم إذا كان ذلك ضروريا .

وإذا كان من الممكن قبول هذا الاقتراح فيجب أن يستمر العمل فى المقبرة دون أى خلاف

وعندما يجيء الوقت الملائم سيتم حل هذه المشكلة بالطرق العادية بين اشخاص لا هم لهم سوى الوصول إلى تسوية عادلة . ترضى الجميع وتسعد دنيا العلم . . عامة »

* * *

وهكذا أصبح أمل كارتر الوحيد أن يسمح له بدخول مقبرة الملك ، وترميم اثارها ، ونقلها إلى القاهرة !

قال ادواررونبصن مدير متحف المتروبوليتان :

- إنها مصادفات تعسة قاتلة تلك التى تحيط بقبر توت عنخ آمون . انها لعنة .

ولم يقل روبنصون انها لعنة للحفاظ على اثار الملك . . . لمصر !

* * *

بعث جاردنر إلى سكرتير ماكدونالد يطلب التأييد والمساندة لمطالب الليدى كارنارفون . قال فى رسالة بتاريخ ٢٩ من سبتمبر

« سلمت لسعد باشا رسالة موجهة إلى مرقص حنا باشا من الليدى المينا تقترح فيها السماح لهوارد كارتر بمواصلة وانهاء العمل الذى بدأه بنجاح . ولكن تحت إشراف مصلحة الأثار بطبيعة الحال .

وعندما يتم ذلك ، تحصل دائرة اللورد كارنارفون على تعويض مالى

منصف مقابل ال ٤٥,٠٠٠ جنيه استرلينى التى انفقتها على الحفائر فى مصر .

ولما كان الطرفان يرغبان فى تلافى الاجراءات القضائية بقدر الامكان ، فقد أعربت عن املى عند تسليمى الرسالة ، فى أن يوافق سعد على اقتراحات الليدى ، إذا كان ذلك ممكنا .

إن علماء المصريات سيرحبون بحماس باية ترتيبات تهدف إلى فرض سيطرة دولية حقيقية على آثار مصر »

وتفشل مفاوضات سعد ماكدونالد بشأن الجلاء بعد ٣ اجتماعات وكان مستحيلا أن تنجح فى موضوع الملك توت عنخ آمون وأثاره .

وعاد سعد إلى مصر يوم ٢٠ من أكتوبر والجمود يسود الموقف السياسى . . وعاد سكون الموت يغطى وادى الملوك .

* * *

وتدخل القدر مرة آخرى فى هذه القضية الغريبة .

استقالت وزارتا مصر وبريطانيا خلال شهر نوفمبر ١٩٢٤ بعد أن أمضت كل منهما فى الحكم ٩ شهور فحسب .

استقال رامزى ماكدونالد يوم ٣ من نوفمبر وتولى منصبه فى اليوم التالى ستانلى بولدوين زعيم حزب المحافظين .

وتولى وزارة الخارجية السير اوستين تشمبرلين .

واستقال سعد زغلول يوم ٢٤ من نوفمبر أيضا بعد أيام من اغتيال السردار السيرلى ستاك وتولى الوزارة أحمد زيور باشا فى نفسه اليوم .

* * *

كان زيور باشا فى الستين من عمره يتقن خمس لغات منها الانجليزية والفرنسية والايطالية والتركية .

وهو من أصل قوقازى . تعلم فى المدرسة الفرنسية بالاسكندرية والجيزويت فى بيروت ودرس القانون فى فرنسا ، ثم انضم لسلك القضاء . وكان قاضيا بمحكمة الاستئناف الوطنية عندما اختير ليكون محافظا للاسكندرية .

عين وزيرا للاوقاف بوزارة حسين رشدى باشا فى ديسمبر عام ١٩١٧ وبقى وزيرا لوزارات مختلفة منذ ذلك الحين باستثناء ١٣ يوما فى أعقاب ثورة ١٩١٩ .

وعندما امتنع وزراء مصر عن العمل فى وزارة يوسف وهبى باشا كان زيور باشا هو الوزير الوحيد الذى توجه إلى مكتبه كالمعتاد !

وقد استقال من وزارة يحيى ابراهيم باشا ليعين وزيرا مفوضا لمصر فى روما .

واختاره سعد زغلول وزيرا بلا وزارة وتولى اعمال وزارة الخارجية فترة أثناء غياب وزيرها واصف بطرس غالى فى الخارج .

وبعد استقالة سعد زغلول اختاره الملك أحمد فؤاد ليكون رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية .

وهو رجل كسول يحب النكتة . لا يعادى أحدا وعندما سأله صحفى بريطانى عن ذلك قال :

ـ لماذا أهاجم خصما سياسيا . لدينا مشاكل بما فيه الكفاية .

يؤمن بالصداقة مع الانجليز . ويرى أن مصر مدينة لبريطانيا بما حققته لمصر .

ويرى الانجليز أنه بلا عاطفة وطنية . ويفضل الأجانب على المصريين .

وفى الكتاب الذى وجهه أحمد زيور للملك أحمد فؤاد يعلن فيه قبول رئاسة الوزارة تكلم عن ولائه لذات الملك العلية ولأسرته المجيدة . وقال :

« إنى لعلى بينة مما يحوط مهمتى من المشاق فى الظروف الحالية الصعبة ».

أعلن زيور باشا أن سياسته « انقاذ ما يمكن انقاذه » فسر عبد الرحمن الرافعى ذلك أنه تسليم ما يمكن تسليمه .

فقد وافق زيور على سحب الجيش المصرى من السودان . وطرد الموظفين المصريين منه وبذلك انفصل السودان عن مصر .

وسلم للانجليز بكل ما طلبوه .

وبعث زيور إلى المندوب السامى البريطانى بعد اسبوع من تشكيل الوزارة يقول :

فوضنى مجلس الوزراء فى ابلاغ فخامتكم أن الحكومة قبلت شروطكم بأكملها مذعنة فى ذلك إلى حكم الضرورة ومدفوعة بالرغبة الاكيدة فى المسالمة .

* * *

وبقيت مسألة أثار توت عنخ آمون . .

ثار سؤال ضخم :

ـ هل تكون هذه الأثار هى كل ما يمكن لزيور انقاذه ؟

وتحين الفرصة لجاردنر فيطلب من وزير خارجية بريطانيا التدخل لدى وزير الاشغال المصرى الجديد .

علقت وزارة الخارجية البريطانية على مذكرة جاردنر بعد استقالة سعد فقالت انها « تتعاطف مع البروفسور ، ومتاعب علماء الآثار لأنها على اساس سليم ولكن الوزارة لا تستطيع أن تأخذها فى حساباتها عند تسوية المسائل مع الحكومة المصرية لأن بريطانيا لا يجب أن تبدى مظاهر الانتهازية » !

ويجد تشمبرلين أنه من المستحيل عليه التدخل فان مصر كلها تعرف أن أحمد زيور باشا قد استسلم تماما للانجليز .

كتبت وزارة الخارجية البريطانية إلى جاردنر يوم ٢ من ديسمبر :

« إن حكومة جلالة ملك بريطانيا تدرك الصعاب التى يعمل فى ظلها - أخيرا - علماء الآثار الانجليز والأجانب . ولكن الحكومة لا ترى الوقت مناسبا لعرض الأمر على حكومة مصر » !

تابوت الذهب

عاد كارتر إلى مصر فى ١٥ من ديسمبر ١٩٢٤ بعد استقالة سعد والهزة النفسية العنيفة التى أصابت البلاد .

كان شعب مصر حائرا لا يدرى ماذا يفعل .

استقالت الحكومة التى ظن المصريون أنها ستجىء بالاستقلال التام ، وسترغم الجيش البريطانى على الجلاء ، وتطرد الموظفين البريطانيين ، وتحد من نفوذ الملك . . فإذا بمصرع الرجل البريطانى الثانى فى مصر ، بعد اللورد اللنبى ، يضيع هذا كله ، أو يعطى الفرصة لبريطانيا لتطيح بكل الآمال .

قصد جورج مرزباخ بك المحامى الذى أختارته الليدى المينا بدلا من ماكسويل المحامى الذى اتهم مرقص حنا بأنه « لص » إلى مقر المندوب السامى البريطانى اللورد اللنبى يطلب التدخل .

قدم مذكرة قال فيها :

« أن مرقص حنا بك وزير الأشغال السابق عندما عرض منح ترخيص جديد لليدى المينا أصر على ضرورة تنازلها عن كل حق ، أو مطالبة ، بقطع أثرية .

وفى البداية رفضت الليدى لأن النفقات بلغت ٤٥ ألف جنيه تريد استردادها ولأن لها حقا فى نصف الآثار .

وقد سلم الجنرال السير جون ماكسويل إلى سكرتير سعد زغلول فى لندن فى سبتمبر ١٩٢٤ خطابا بتنازل الليدى كبداية لتسوية ودية ، ولكن وزير الأشغال مرقص حنا ـ رغم ذلك ـ رفض منحها ترخيصا جديدا . وهى تريد الترخيص ومستعدة لاستكمال ترميم الآثار ونقلها على نفقتها .

وكل ما ترغب فيه إتفاق يضمن مصلحة العلم وحقوق الحكومة المصرية ، وحق أولئك الذين أنفقوا المال وأضاعوا سنوات من عمرهم للوصول إلى أروع اكتشاف فى تاريخ الآثار المصرية » .

ويقرر اللورد اللنبى التدخل الحذر دون حاجة إلى إبلاغ لندن ، فلم تعد الأمور مع زيور باشا تحتاج إلى الرجوع إلى وزارة الخارجية البريطانية فى كثير من الشئون !

* * *

ويلتقى كارتر بزيور باشا بعد ساعات من وصول كارتر .

بدأ رئيس وزراء مصر الحديث فى موضوع آثار توت عنخ آمون .

تطوع زيور باشا بأدانة كل ما فعلته وزارة سعد زغلول ضد كارتر .

ووعد بأن يكون متعاطفا ومتعاونا .

وتمنى الوصول إلى إتفاق ودى بأقصى سرعة .

قال كارتر :

ـ لا أتمنى شيئا الا العودة بسرعة إلى المقبرة . ولكن ليست لدى الوسائل لأبدأ العمل خلال يوم أو يومين . اعطنى أسبوعين .

ويكتب كارتر إلى الجنرال السير ماكسويل مهللا بأنه أتفق مع صديقه زيور باشا !

قال كارتر لمحاميه مرزباخ :

ـ أريد سحب خطاب التنازل عن نصف آثار الملك توت عنخ آمون .

بدا التردد على مرزباخ :

ـ لو فعلت ذلك الآن سيتكلمون كثيرا عن سوء نواياك .

ويضيف :

ـ أن حزب الوفد لم يعد قويا كما كان . ولكنه لا يزال قويا ، بما فيه الكفاية ، ليشن حملة ضارية ضد رئيس الوزراء بالنسبة للمقبرة .

ويحذر :

ـ لا تنس أن فى يد بيير لاكو خطاب التنازل الذى وقعته .

ويختم مرزباخ حديثه ناصحا :

ـ دع هذه النقطة الآن ولنحاول تغيير الموقف بالتدريج .

ويوافق كارتر ، عن إقتناع ، بأن رئيس وزراء مصر سيتنازل ـ حتما ـ عن بعض الآثار لأرملة اللورد كارنارفون والأوصياء على تركته حتى يواصلوا أخلاء المقبرة من الآثار والحفاظ عليها .

ويحث مرزباخ كارتر على الاتصال بدار المندوب السامى البريطانى فأنهم سيؤيدونه بعد رحيل سعد .

وقال مرزباخ :

ـ دع دار المندوب السامى تؤكد أنها تساندك للأغراض العلمية الأثرية وحدها .

* * *

أسرع كارتر فى اليوم التالى - ١٦ من ديسمبر - إلى دار المندوب السامى البريطانى ليلتقى بالمستشار الشرقى الجديد والترسمارت الذى يعرف العربية وبقى فى مصر ٢٤ سنة . وكان له نفوذ ضخم على رؤساء الوزراء والوزراء المصريين .

طلب منه سمارت ألا يعطى أحتكارا صحفيا لأحد حتى يضمن صداقة الصحافة ، أو على الأقل صمتها ، بعد أن ظل يستمتع بعدائها زمنا طويلا .

وأصر سمارت على أن يكون هذا أحد شروط العقد الجديد .

وافق كارتر على الفور . وعرف بعد أيام قليلة أن اللورد اللنبى تعهد بالقاء ثقله السياسى كله وراء كارتر فى المفاوضات القادمة بين الأثرى وحكومة مصر .

ان اللورد اللنبى وجد أن إعادة إفتتاح المقبرة تدل على تحسين العلاقات بين مصر وبريطانيا وتخفف انتقادات العالم للانجليز بعد تدخلهم العسكرى السافر فى مصر ضد سعد زغلول وحكومته وتدفع السياح للقدوم إلى مصر وتنعش فنادقها وتجارتها .

وقال سمارت لكارتر :

- اللورد يريد فتح المقبرة فورا للسياح .

ويضطر كارتر الذى كان يعارض زيارة السياح للمقبرة إلى الموافقة الفورية !

* * *

ويلتقى كارتر مرة أخرى برئيس الوزراء فيثير على الفور قضية أقتسام الآثار مناصفة بأسلوب ذكى .

قال :

ـ لندع جانبا فى الوقت الحاضر مسألة الحصول على الآثار المكررة حتى يتم اخلاء المقبرة .

أجاب رئيس الوزراء :

ـ سيعامل المكتشف بالعدل فإن القانون المدنى المصرى يحمى حقوقه فى نصف الآثار أو قيمتها المالية .

يخفى كارتر سعادته قائلا :

ـ يسعدنى الاجتماع بوزير الأشغال الجديد بحضور المحامى مرزباخ بك .

قال رئيس الوزراء :

ـ أفضل أن تكتب لى خطابا رسميا يتضمن كل التفاصيل .

ويستدعى رئيس الوزراء ، كارتر ، للقائه سرا فى نادى محمد على يوم ٤ من يناير ١٩٢٥ .

قال له :

ـ أريد أن نتفاهم أولا .

وفى رقة بالغة ، ونعومة أضاف رئيس الوزراء :

ـ كل شىء سيسير طبقا للخطة الموضوعة . وتستطيع أن تبدأ العمل فى المقبرة فورا ولكن هناك نقطة واحدة صغيرة تقف عقبة بيننا .

إن مصلحة الآثار ترفض النقاش معك الا إذا أعلنت أنت ، من ناحيتك ، وكذلك الأوصياء على تركة اللورد تنازلكم كتابة عن أى حق لكم من الآثار أو فى الحصول على النسخ المكررة منها ، كما تتعهدون بعدم رفع الأمر إلى القضاء .

لم يصدق كارتر ما يسمعه بينما أضاف رئيس الوزراء قائلا :

ـ هل هناك أعتراض على هذه المسألة البسيطة ، وتقديم هذا الأقرار .

رأى زيور الشحوب يغطى وجه كارتر فأراد التخفيف عنه قائلا :

ـ سنكون كرماء مع الأرملة ، والأوصياء ، وسنعطيهم بعض الآثار المكررة التى لا تخل بمجموعة المتحف المصرى .

ـ أراد كارتر أن « يحدث صديقه » رئيس وزراء مصر عن القانون المدنى المصرى الذى قال زيور باشا قبل أيام انه يحمى حقوقه .

وأراد أن يتكلم عن السنوات الطويلة من التنقيب اليائس دون الوصول إلى قطعة أثرية واحدة .

وأراد أن يصف عجز الأثريين الفرنسيين عن ترميم تلك الآثار .

ولكن صلف كارتر منعه من التوسل والرجاء .

كل ما فعله فى ذلك اللقاء فى نادى محمد على يوم ٤ من يناير أنه هز رأسه موافقا . . فى استسلام تام . . فقد وجد الأثرى البريطانى أن زيور باشا رأى ألا يخوض أزمة ، أو معركة سياسية ، بشأن مقبرة فرعون مصرى . . قديم !

* * *

ويعقد اجتماع لوضع اللمسات الأخيرة للاتفاق .

جاء كارتر مع مرزباخ بك .

وحضر محمود صدقى بك وزير الأشغال وعبد الحميد بدوى باشا رئيس قلم قضايا الحكومة وبيير لاكو مدير عام مصلحة الآثار وفوكار رئيس البعثة الفرنسية للتنقيب عن آثار مصر .

كان بين الحاضرين أقوى وزراء حكومة زيور .. إسماعيل صدقى باشا وزير داخلية مصر

ويسفر الاجتماع عن ضرورة التنازل عن نصف الآثار ..

ويناضل مرزباخ بك فيوافق الحاضرون على توجيه خطاب من وزير الأشغال تتعهد فيه حكومة مصر بمنح بعض النسخ المكررة من الآثار بعد إستكمال العمل !

* * *

كتب محمود صدقى بك وزير الأشغال إلى كارتر يوم ١٣ من يناير ١٩٢٥

« نظرا لرغبتى الصادقة فى إستمرار هذا العمل فليس لدى أعتراض على منح التصريح بشرط واحد ، وهو أن تتنازل الميدى أرملة كارنارفون عن القضايا الخاصة بمقبرة توت عنخ آمون والقضايا الناشئة عنها بما فيها الغاء إمتياز التنقيب والاجراءات التى أتخذتها الحكومة نتيجة لهذا الالغاء .

والحكومة إذ تقدم شكرها لهذا الاكتشاف العظيم فانها ترى عدم الاعتراف بإلتزام أيا كان نوعه فيما يتعلق بالقطع الأثرية التى عثر عليها فى المقبرة .

والحكومة إذ تقرر عدم إلتزامها بشيء بالنسبة لما وجد فى المقبرة فانها بناء على رأى مستر لاكو عقب الاكتشاف مباشرة تقترح - من تلقاء نفسها - أن تمنح المينا أرملة كارنارفون حق إختيار بعض النسخ المكررة من الآثار بشرط ألا يؤدى ذلك إلى تقسيم المجموعة والأضرار بالعلم » .

وهكذا أصبح التنازل عن نصف الآثار شرطا للترخيص بعودة كارتر إلى المقبرة !

ولم تحصل الأرملة إلا على مجرد وعد من وزير الأشغال المصرى بمنحها بعض النسخ المكررة من الآثار !

وبعد هذه الالتزامات والتعهدات كلها منح محمود صدقى بك وزير الأشغال الليدى كارنارفون إمتيازا جديدا للحفر لمدة عام يبدأ من ذلك اليوم ١٣ من يناير ١٩٢٥ .

كتب كارتر إلى الجنرال السير جون ماكسويل يصف ما جرى قائلا :

« أصبحت مقتنعا تماما بصدق كلمات الشاعر الألمانى جوته عندما قال :

« الماضى هش . تحسسه برهبة كما لو كان حديدا ساخنا » .

ولم يقل كارتر لماكسويل أن زيور باشا كان صادقا تماما عندما وعد بانقاذ ما يمكن انقاذه » .

أن كل ما أنقذه زيور لمصر . . آثار توت عنخ آمون !

* * *

قال اللورد اللنبى لكارتر :

- أرجوك ساعد بيير لاكو فى تفريغ الصناديق المعبأة بآثار المقبرة التى نقلت من الأقصر حتى يشاهدها السياح .

ويوافق كارتر . . مرغما .

ويكتشف كارتر أن بعض الحلى الذهبية قد تغير لونها .

وظهرت الشقوق فى بعض القطع الخشبية فيستدعى مجموعة من الخبراء ، بينهم لوكاس ، والكسندر سكوت مدير الأبحاث العلمية بالمتحف البريطانى ، والدكتور دوجلاس ديرى أستاذ التشريح بكلية طب القصر العينى والدكتور صالح حمدى عميد الكلية السابق ومدير الصحة بالقومسيون البلدى بالاسكندرية .

* * *

ويصل كارتر إلى وادى الملوك يوم ٢٥ من يناير فيتسلم نسخه من مفاتيح المقبرة .

ولم يجتمع الناس فى الأقصر ، كما كان الحال فيما مضى ، لحضور إفتتاح المقبرة فى العاشرة صباحا .

وحضر عدد محدود من المسئولين . . عبد الحميد بدوى باشا المستشار الملكى رئيس قلم قضايا الحكومة ممثلا للحكومة المصرية وعثمان بك حمزة مدير قنا وكويبل نائب مدير مصلحة الآثار وتوفيق بولس أفندى وإبراهيم حبيب أفندى عن مصلحة الآثار ومأمور الأقصر وبعض الموظفين .

وكان مع كارتر محاميه مرزباخ بك .

فضت أقفال المقبرة وحرر محضر بفتحها ودخل الجميع دون إحتفال . فلم يكن كارتر منتصرا فإن التجربة كانت قاسية بالنسبة له .

أدرك أن المقبرة لم تعد ملكا له وأن عليه فقط أن يتم مهمته ، أو رسالته .

ولكن الجميع كانوا سعداء لأن خيوط المشكلة قد حلت ، وأن المجال فتح من جديد أمام كارتر مكتشف المقبرة ليستكمل العمل الذى سيقترن باسمه إلى الأبد .

وأدرك العدد المحدود من السياح أن فتح المقبرة يعتبر مقدمه لاسدال الستار على المسرحية التى هزت العالم .

وأمل البعض فى أنه قد تكون هناك كنوز أخرى أكثر فتنة مدفونة داخل هذه المقبرة فى انتظار حضور من يستخرجها .

وإذا كان موسما الشتاء الماضيان قد شهدا سلسلة متصاعدة من الأحداث المثيرة فان ذروة هذه الأحداث قد تكون فى ذلك الفصل الذى يبدأ . . أمام العيون المترقبة !

لم تكن مصر متسامحة مع كارتر فإن الجميع كانوا يعرفون أنه الرجل الوحيد الذى يستطيع إستكمال مهمته والعمل الشاق الذى ينتظره .

ولم يكن كارتر قديسا ليقدم هذا الجهد مقابل المكافأة المالية التى حددتها له الحكومة المصرية بل انه كان ينتهز الفرصة ـ على حد تعبير هربرت وينلوك ممثل متحف المتروبوليتان ـ « ليلتقط لنفسه بعض القطع من المقبرة » .

* * *

وتستمر عملية تصوير وتسجيل وترميم ونقل الآثار من الأقصر إلى المتحف المصرى .

وتستغرق عملية « تقشير » الضريح ٨٥ يوما فقد وجد كارتر فى النهاية أن المومياء كانت داخل ثلاث توابيت كل منها مغشى بالذهب ومطعم بالزجاج الملون الذى يصور الآلهات الحامية .

وعبر كارتر عن مشاعره قال :

« انقضت عشر سنوات منذ اضطلعت أنا واللورد كارنارفون ، فى مواجهة رأى قوى معاكس ، بالبحث عن الملك المفقود .

وكنت على ثقة من أنه لا يزال مدفونا فى الوادى .

وكانت هذه السنوات العشر تعبا وكدا .

وقد تحققت آمالنا وتجاوزت النتائج توقعاتنا .

وللمرة الأولى فى تاريخ علم الآثار المصرية استطعنا أن نكتشف بالضبط كيف دفن فرعون مصرى .

إن عملنا كان قاصرا على غرفة الدفن ، وداخل الأبواب الأولى للضريح العظيم فى أرض لم يمسها أحد مطلقا .

والآن ، رغم أن اللصوص أشاعوا الفوضى فى العاديات بحثا عما يستطيعون نهبه ، كانت داخل الضريح العظيم كل الأختام الأصلية على الأبواب ، مما يوضح أنه ما من أحد دخلها منذ دفن الملك .

وعندئذ . ومن خلال حظ طيب ، عثرنا آخر الأمر ، على ما كنا نسعى إليه ولم نحلم به ـ المعرفة الكاملة بالطقوس الجنائزية المتبعة فى دفن ملك مصرى .

وهذا المشهد وحده أقوى من أى شىء .

وللمرة الأولى ، تلقى أعيننا الحديثة بصرها على عمل كامل لأناس أنجزوه منذ ثلاثة آلاف عام وفقا لطقوس الديانة السائدة فى ذلك الحين . . .

إن التابوت ، الذى يتسم بالضخامة على غير العادة هو قطعة رائعة من نوعه .

وكلما نظر المرء إلى سطحه الوردى الذى لم تمسه يد ، بزينته الرقيقة دون ادعاء ، كلما أدرك المرء مدى قيمة الإضافة التى يشكلها لآثار مصر القديمة .

إن تأمل هذا العمل الرائع يتيح متعة لا حدود لها . ومع فتح الأبواب المبطنة للمقبرة واحدا بعد الآخر ، فأنه يبدو مثل جوهرة مخزونة داخل سلسلة من الخزائن الذهبية . . . . » .

* * *

كان التابوت الثالث الداخلى من الذهب الخالص طوله ٦ أقدام وبوصة وثلاثة أرباع بوصة ، وسمكه بين ملليمترين ونصف ، وثلاثة ملليمترات ونصف ، ويزن ٢٤٤٨ رطلا و ثمن ١/٨ رطل .

ولا يمكن تقدير قيمة هذا التابوت على أساس سعر الذهب فحسب ، والا كان حساب أسعار لوحات الفنانين على أساس ما فيها من قماش وألوان !

قال العالم برستد :

« كان التابوت الثالث والأخير المصنوع من الذهب الحقيقى لدرجة أن أربعة رجال استطاعوا حمله بصعوبة ، وكان غطاء هذا التابوت يمثل الملك فى جميع رموزه وشعاراته الملكية » .

ووجد كارتر طفلين حديثى الولادة محنطين لم يعرف ما إذا كانا ابنى الملك أم لا ، فأن الأطفال حديثى الولادة يدفنون عادة مع أمهم لا مع أبيهم ، وأن كان قبر عنخسن آمون لم يكتشف بعد !

وجدت خصلة من شعر الملكة تى ، زوجة امنحتب الثالث وجده عنخسن آمون محفوظة فى تابوت صغير داخل ثلاث توابيت جشبية صغيرة « ومعها تمثال ذهبى للملك امنحتب الثالث » .

* * *

فى أكتوبر عام ١٩٢٥ نقل التابوت الداخلى إلى قبر سيتى الأول - الذى أطلق عليه الورشة ليفحص المومياء أستاذ علم التشريح الدكتور ارشبيالد دوجلاس ديرى - البريطانى بكلية الطب بالجامعة المصرية والدكتور صالح بك حمدى مدير الصحة بالقومسيون البلدى بالإسكندرية.

حاول كارتر والدكتور ديرى والدكتور صالح حمدى اخراج المومياء من التابوت . ولكن تبين أنها التصقت به لكثرة ما وضع به من الصمغ والزيوت ، والعطور ، والخمور ، ومادة تشبه القار أيضا عند إجراء مراسم الجنازة ، ساعة دفن الملك .

ووجد الأطباء أن اللفائف أصيبت بعطب فوضعوا عليها طبقة خفيفة من زيت البرافين وقام الدكتور ديرى بشق الأكفان بعناية .

وإستمرت هذه العملية أسبوعين .

ومع كل مرحلة من مراحل إزالة الأكفان كان يصدر بلاغ. رسمى من وزارة الأشغال يعلن عن المجوهرات التى اكتشفت فى الأكفان وملاصقة لجسد صاحب الجلالة . وهى مقسمة إلى ثلاثة أقسام :

التمائم والزخارف الملكية ، والحلى الشخصية وعددها ١٤٣ قطعة مجوهرات و ٢١ تعويذه .

قال البلاغ :

« أن الذوق السليم الذى تشهد به دقة صناعة هذه الأشياء تجعلها فى مصاف أجمل القطع المعروفة للآن من صياغة الذهب المصرية وهى :

على الرأس : التاج الملكى وعليه شعار الملك وهو النسر والثعبان المقدس .

حول العنق : تمائم تمثل الالهة .

على الصدر : عدد كبير من الصدريات بين كبيرة وصغيرة تتخللها تمائم مختلفة وجميع ذلك مكون من ست عشرة طبقة .

وبعض هذه الصدريات تحتوى على مئات كثيرة من قطع الذهب المطعمة بالفصوص والتى يتعين فكها جميعا وتنظيفها ثم إعادة تركيبها .

على الذراعين : أحد عشر سوارا نفيسا .

بالقرب من اليدين : ثلاثة عشر خاتما من معادن مختلفة .

حول الوسط : حزامان معلق على كل منهما خنجر ذو صنع جميل .

بين الساقين : المئزر الملكى المصنوع من الذهب المرصع .

فى القدمين : حذاء (صندل) جنائزى من الذهب .

وكل ابهام من القدمين وكذا كل أصبع من أصابع اليدين ملبس بغمد من الذهب .

وعدا هذا كله اكتشف عدد كبير من التمائم التى كانت مخصصة للمحافظة على الملك فى رحلته إلى العالم الآخر .

والقناع الذهبى الذى يغطى الرأس وكتفى الجثمان بالحجم الطبيعى صنع من الذهب المطروق وهو ذو قيمة فنية عظيمة من الوجهة الفنية ويمثل تماما صورة الملك الشاب .

قال الدكتور ديرى أن صورة توت عنخ آمون على القناع الذهبى تعرضه كشاب حساس ورقيق . والذين حظوا بميزة مشاهدة وجهه الحقيقى عندما كشف النقاب عنه هم الذين يستطيعون أن يدلوا بشهادتهم فى مدى قدرة ودقة فنان الأسرة الثامنة عشرة الذى عبر فى القناع عن ملامح الملك الشاب وجسدها فى صورة جميلة ستظل خالدة على العصور .

بدأ فحص المومياء فى الساعة العاشرة الا ربعا من صباح ١١ من نوفمبر ١٩٢٥ بحضور سبعة من المسئولين وهم صالح عنان باشا وكيل وزارة الأشغال ، وبيير لاكو مدير مصلحة الآثار وسيد فؤاد الخولى بك مدير قنا ، والفريد لوكاس مدير معامل الكيمياء بمصلحة الآثار ، وتوفيق بولس أفندى كبير مفتشى الآثار بالوجه القبلى وحامد سليمان أفندى الأمين المساعد بالمتحف المصرى .

أستولت الدهشة على الجميع عندما وقع نظرهم على المومياء مضجعة فى تابوتها الذهبى الباهر والتقط صور الفحص والمومياء هارى بيرتون .

وكانت هذه أول مرة فى مصر يجرى فحص طبى لمومياء مضى على الوفاة أكثر من ٣٠٠٠ عام .

قال تقرير الأطباء :

« عندما شوهدت جثة الملك لأول مرة وجد أنها ملتصقة بشدة بقاع التابوت الذهبى .

وكان القناع الذى يصل إلى الجزء العلوى من الصدر ملتصقا أيضا بالتابوت وبالجثة (المومياء) ولهذا السبب كان يستحيل انتزاع الجثة .

ولقد نظر فى أستعمال أشعة (أكس) الا أنه للأسباب السابقة ، ووجود طبقات عديدة من أشياء من ذهب وغيره التى كانت تغطى الجثة تماما لغاية الركبتين رئى من العبث أستعمال هذه الأشعة .

ولوحظ شبه احتراق فجائى أتلف الأربطة . وكان سببا فى أن جلد الجسم والأنسجة التى تليه أصبحت رقيقة جدا وسريعة العطب .

ونتج عن ذلك أن بعض المفاصل كانت ظاهرة للعيان فتيسر تقدير عمر الملك عند وفاته بأرجحيه كبرى بحوالى الثمانى عشرة سنة وظهر بكل تأكيد أن الهيكل العظمى كان ضعيفا .

وعندما ظهرت تقاطيع الوجه ثبتت صحة الرأى السائد القائل بأن التماثيل والرسومات التى تمثل الملك كانت فى الواقع صورا حقيقية له » .

* * *

بقيت مومياء الملك فى قبر سيتى الأول - أو « الورشة » - واستمر دارتر مع مساعديه يصور ويسجل آثار الغرفتين الباقيتين وهما الكنز والملحق بعد أن انتهى من الغرفة الخارجية وغرفة المدفن .

ضمت الغرفتان أيضا كثيرا من عجائب الآثار .

كان يحمى مدخل غرفة الكنز تمثال انوبيس الرابض فوق ناووس مغشى بالذهب ومرتكز على عمودين طويلين مصنوعين من الخشب . وعلى كل جانب من جوانب المقصورة تماثيل لآلهات أربع بسطن أذرعهن لحماية صندوق أحشاء الملك !

ووجدت تماثيل صغيرة مغشاة بالذهب تمثل الملك يؤدى طقوسا وأساطير خاصة بالحياة فى العالم الآخر ، وتماثيل أخرى لعدد من الآلهة المصرية لها قوة سحرية تساعد الملك فى حياته الثانية .

ووجدت نماذج مراكب للانتقال بها ، ونماذج لصناعة الخبز ولتوفير وسائل صنع الطعام بعد أن تستهلك قطع اللحوم والقرابين الأخرى التى وضعت فى المقبرة .

* * *

ولكن اللصوص القدامى وجدوا طريقهم إلى هذه الغرفة وسرقوا صناديق الجواهر المصنوعة من الخشب والعاج الرقيقة .

ولكن معظم الكنوز نجت من عبثهم ، فوجد عدد كبير من تماثيل الملك موضوعة داخل صناديق كانت مخزنة فى هذه الغرفة وفى الغرفة الملحقة .

* * *

تجدد الهجوم على كارتر بعد فحص المومياء بالأشعة .

نشر اثنا سيوس بقطر ـ من أسيوط ـ الذى أعلن من قبل أنه حفيد توت عنخ آمون فى صحيفة المقطم :

« لفتت نظرى الأعمال الجارية الآن فى مقبرة جدى العظيم توت عنخ آمون . وكيف أنهم نزعوا اللفائف والأربطة عن جثته المقدسة وكشفوا للملأ جسمه الملكى بعد أن لبث مستورا أربعين قرنا من الزمان .

واعترتنى رجفة الاستفظاع وقشعريرة الارتياع لهذا العمل الشائن الذى دنس قبر ملك عظيم كان يحكم أمة عظيمة بل أعظم الأمم فى ذلك الزمان .

فبصفتى حفيد توت عنخ آمون ملك مصر ، وكمصرى يغار على سمعة آبائه وأجداده أحتج إلى أولى الأمر فى مصر بوجه خاص والعالم المتمدين بوجه عام على خرق حرمة الأموات وتدنيس قبورهم . ونحن فى القرن العشرين عصر المدنية والحضارة .

وأرى من الواجب أن أنذر المسئولين عن هذه الأعمال بسوء العقبى وبؤس المصير كما أتضح لى من قراءة ورق البردى الموجودة عندى .

وألتمس من جلاله ملك مصر أن يصدر أمره الكريم بالكف عما يجرى اليوم فى وادى الملوك بإحترام جثة ملك عظيم كان يجلس على عرش مصر » .

* * *

اشتدت حملة صحف القاهرة على الاعتداء على حرمة الأموات .

وكان أعنف الهجوم على كارتر من لندن ونيويورك .

قالت احدى الرسائل التى نشرتها صحيفة « التايمس » التى تدافع دواما عن كارتر :

« استوفى العلم والآثار حقهما فى المقبرة . ولكن من الواجب إعادة الفرعون إلى مقبرته التى دفن فيها وسط الصلوات والدموع » .

وقال الكاتب البريطانى السير رايدر هاجارد مؤلف رواية « هى » التى تجرى أحداثها فى أجواء مماثلة :

« يبدو أن قدر فرعون أن يبقى نصف عار يتعفن فى متحف القاهرة . انها فضيحة » .

وكتب أحد رجال الدين من بلتيمور فى الولايات المتحدة :

« ليس هذا هو التنقيب الأثرى . من حق فرعون مصر أن يبقى فى مرقده كما أراد » .

وقالت صحيفة « فيليدجر » فى نيويورك :

بأى حق يسمح لكارتر اخلاء مقبرة أعدها إنسان لتكون مرقده الأخير خاصة وأن قدامى المصريين كانوا يخافون من الحياة الثانية ، بعد الموت » .

وفى لندن تقدم عضو فى مجلس العموم ـ هاله استنكار الصحافة للاعتداء على حرمة الموتى ـ يطلب إلى الحكومة استعمال نفوذها لاعادة مومياء توت عنخ آمون إلى المقبرة .

أجاب رونالد ماك نيل وكيل وزارة الخارجية البرلمانى بأن هذه مسألة داخلية تخص حكومة مصر !

فوقف عضو آخر ـ وليم ليش ـ يسأل رئيس الوزراء :

هل توافق على طلب من مواطن مصرى للسماح له بنبش قبور ملوك بريطانيا وملكاتها المدفونين فى كنيسة وستمنستر وغيرها ؟

قرر رئيس مجلس العموم استبعاد السؤال من محضر الجلسة !

رأى ملك بريطانيا حرجا فيما يجرى أمامه .

نشرت صحيفة « نيويورك ورلد » أن الملك جورج بعث إلى الحكومة المصرية يقول أنه يأمل ألا تنقل مومياء الفرعون إلى المتحف المصرى .

ولكن صحافة مصر ضاقت بتدخل ملك بريطانيا فى شئون ملك مصر الحى - أحمد فؤاد - ، وملك مصر الراحل قبل ثلاثة آلاف سنة توت عنخ آمون .

ودافعت صحيفة « النيويورك تايمس » عن ملك بريطانيا بأنه أبدى رغبة مثل أى إنسان آخر . وأن انتهاك القبر تم ولابد من اتمام العمل حتى النهاية » .

* * *

ولكن قضية نقل مومياء توت عنخ آمون لفحصها لم تعد مقصورة على الملوك والصحافة ورجال الدين .

أن حفارى القبور « وحانوتية » أمريكا رأوا التدخل !

فرانك كامبل أكبر حانوتية نيويورك كتب يقول :

« لن يسعد أحد إذا عرضت مومياوات جورج واشنطن وابراهام لنكولن - رئيس جمهورية أمريكا - فى متحف عام . ومما يثير الغضب أن يقع شىء مماثل لبقايا توت عنخ آمون » .

وفى اجتماع لجمعية التحنيط مضى كامبل خطوة أبعد . قال :

« أن المومياوات المصرية التى توجد فى متاحفنا يجب أن تعود إلى القبور التى جاءت منها . . لتدفن فيها » .

وهذه هى الدعوة نفسها التى أطلقها الرئيس المصرى أنور السادات بعد ذلك بأكثر من ستين عاما دعا فى خطاب عام إلى إعادة دفن الفراعنة « المعروضين » فى مصر !

ظهر السير جون ماكسويل القائد البريطانى العام السابق فى مصر ، وأحد الأوصياء على تركه اللورد كارنارفون ليقول :

ـ إذا كنا سنستجيب لهذه الدعوة الجديدة ونعيد المومياوات إلى مصر فانى أرحب بتذكير الناس الطيبين بأن ذلك سيؤدى إلى اغلاق المتاحف فإن زوارها يسرعون دائما فى العطلات إلى رؤية المومياوات !

ولكن ارثر ويجال العالم الأثرى الذى جاء إلى مصر بعد الاكتشاف قال :

ـ يحاصرنى الناس ويسألوننى إذا كنا نحب أن يأتى إلينا الأجانب لنبش القبور .

وأضاف :

ـ إن العقيدة الدينية هى السبب فى ذلك فان الناس يرون ترك الموتى فى قبورهم لأنهم سيبعثون !

ولكن ويجال استدرك قائلا :

ـ الأحياء يملكون الموتى . وما الأثرى الا حفار قبور ، سواء كان يبحث عن إنسان ، رحل أو حضارة اندثرت !

* * *

أشار كارتر إلى مومياء توت عنخ آمون فى ثلاثيته التى نشرها عن الكشف .

فى الجزء الأول عام ١٩٢٣ ، والثانى عام ١٩٢٧ ، والثالث سنة ١٩٣٣ .

فى الجزء الأول تحدث عن تسجيل الآثار ونقلها قال أن ذلك حماية لها من السرقة

وفى الجزء الثانى قال انه عندما كان يحملق مع زملائه فى التابوت لم يستطع أحد . . الحديث أو حتى الهمس ، وكأنهم يستمعون إلى وقع خطوات المعزين الذين يغادرون القبر لآخر مرة قبل اغلاقه !

وفى الجزء الثالث الذى نشره بعد ٨ سنوات من فحص المومياء روى ما قاله طبيب التشريح ديرى :

- ما دام القبر اكتشف فلم يكن أمام كارتر الا أن ينقب فيه .

ويجب ألا يكون السؤال حول حق فحص المومياء ، بل حق كارتر فى السعى للبحث عن القبر ، أن كارتر تحرك من البداية بدافع أبدى لا يقاوم ، وهو ... الفضول الانسانى .

* * *

بدأ البحث فى مصير المومياء .

اقترح البعض دفنها فى الهرم الأكبر ، أو حفظها وعرضها فى احدى حجراته الداخلية .

قال الدكتور صالح حمدى الذى فحص مومياء الملك :

«من المستهجن أن تعرض جثة من الجثث لنظر الأحياء . ويصبح الأمر أكثر استهجانا حين يتصل بملك من ملوك مصر أختاز لنفسه المقام فى وادى الملوك .

ويجب أن نحترم له هذه الرغبة ، بوضع جثمانه فى أحد توابيته الأخرى إذا أريد المحافظة على التابوت الذهبى من اللصوص أو أريد عرضه فى المتحف ، وأن يعاد التابوت المشتمل على المومياء إلى قبره داخل التابوت الحجرى حيث يمكن مع ذلك أن يرى من يشاء هذا التابوت الحجرى والتابوت الذى فى داخله .

أما مومياء الملك فلا أرى مطلقا أن تكون معروضة للأنظار . وذلك شأن مقابر العظماء فى كل مكان .

ظلت المومياء فى مقبرة سيتى أى فى الورشة نحو عام حتى أذيع بيان رسمى فى مصر جاء فيه :

« بعد أن أعيد لف مومياء الملك توت عنخ آمون فى كفنها . ووضعها فى التابوت الأول الخارجى أنزلت فى التابوت الحجرى - يوم ٣١ من اكتوبر عام ١٩٢٦ - بحضور حضرات محمد شعبان الأمين المساعد بالمتحف المصرى ومحمود أفندى رشدى مفتش الآثار بالأقصر » .

وكان مفتشا الآثار هما وحدهما اللذان شهدا إعادة الملك الى قبره ! !

ولكن كارتر ، دون أن يعرف أحد ، ترك بطاقته التى تحمل اسمه وصفته وعنوانه بين الأكفان !

وظلت البطاقة مكانها ٤٢ عاما منذ سنة ١٩٢٦ حتى ١٩٦٨ عندما أعاد هاريسون أستاذ التشريح بجامعة ليفربول فحص المومياء بالأشعة داخل المقبرة فاستعاد البطاقة . وبقى توت عنخ آمون وحده فى تابوته .

وحدث أثناء الفحص بالأشعة أن كسر الـزجاج الـذى وضـعه كارتـر حول المومياء وكان سمكه ست ملليمترات فتبرعت شركة بريطانية بزجاج آخر سمكه ١٠ ملليمترات . وقالت الشركة أنه عازل تماما للمومياء يمنع تسرب التراب والهواء .

وقالت الشركة أن هذا الزجاج أيضا يقى من .... الرصاص !

القانون الموقوف

أدت الضجة التى صاحبت الكشف عن مقبرة تـوت عنـخ آمـون ، والقضايا التى أقامها كارتر مطالبا بنصـف الأثـار إلى التفـكير الجـدى فى تعديل قانون الأثار الذى اصدره مـاسبيرو عام ١٩١٢ والـذى يسـمح للمكتشف بالحصول على نصف الأثار .

بدأت فكرة التعديل عام ١٩٢١ وكان بيير لاكو هو المسئول عنهـا ولـكن المشروع نام حتى ايقظه الاستقلال فى ٢٨ مـن فبـراير عـام ١٩٢٢ ورغبـة مصر فى المحافظة على آثارها وحمايتها .

بعثت مصلحة الأثار يوم ١٠ من اكتوبر عام ١٩٢٢ إلى جميع بعثـات التنقيب عن الأثار تقول إن الحكومة المصرية تنوى تعديل المـادة ١٢ مـن قانون الأثار رقم ١٤ الصادر عام ١٩١٢ .

وترغب الحكومة فى العدول عن سـياسية تقسـيم الأثـار منـاصفة ، وستكون حكومة مصر حرة فى أن تقدم للمكتشف الأشـياء التـى لا تحتـاج اليها مجموعاتها الأثرية .

ولن يسرى التعديل الجديد على موسم الحفر القادم .

وستطبق عملية القسمة مناصفة لآخر مرة هذا الموسم، أى موسم عام ١٩٢٢ - ١٩٢٣.

ولم يكن أحد فى مصلحة الآثار يظن أنه بعد ستة اسابيع فقط ، وفى هذا الموسم بالذات ستكتشف مقبرة توت عنخ آمون ، وأن مكتشفيها سيطالبون بنصف تلك الآثار !

وجاء اكتشاف المقبرة فى نوفمبر من ذلك العام وظهور الكنوز الأثرية الضخمة مما جعل التعديل يتحول من مجرد فكرة إلى ضرورة قومية عام ١٩٢٣ .

ولكن بريطانيا نجحت فى تأجيل المشروع عاما كاملا حتى وقعت الأزمة بين كارتر ومرقص حنا واغلاق المقبرة .

* * *

وجد بيير لاكو أن تقسيم الآثار عملية صعبة ، وأحيانا مستحيلة . فليس شرطا ، أن يوجد فى كل مقبرة نسختان من كل قطعة أثرية !
والتوابيت والمومياوات لاتتكرر فى المقبرة الواحدة !

ولا تسطيع مصلحة الآثار أن تشترى نصف الآثار - الذى ينبغى أن يؤول للمكتشف ويصبح حقا له ، طبقا لقانون ماسبيرو - فإن اعتمادات المصلحة لم تتجاوز مبلغ ٢٧ ألف جنيه فى عام ١٩١٩ ، ولم تزد على ٤٧ ألف جنيه فى عام ١٩٢٣ .

وفى منطقة دهشور مثلا لم يتقدم أحد للتنقيب خلال ربع قرن . ولا تستطيع المصلحة أن تنقب فى سقارة رغم الاحتمالات الناجحة المتوقعة لأن اعتمادات التنقيب المطلوبة لسقارة ١٢٠٠ جنيه سنويا لمدة ٣٠ سنة تقريبا حتى يمكن التنقيب فى المنطقة كلها .

أن الباحث لا يريد ترخيصا إلا فى المناطق التى يرى فيها احتمالات قوية لاكتشاف الأثار وبذلك أصبحت العمليات كلها مجرد مغامرات تجارية .

ووجد لاكو أن تراخيص التنقيب عن الأثار اصبحت مثل أوراق اليانصيب ، والمصلحة تدفع الجائزة الأولى ، لانها مضطرة لدفع مبلغ كبير للمنقب مقابل نصيبه من الأثار أو يحصل على كل القطع .

وحدثت خلافات ومشاكل سياسية ومالية كثيرة نتيجة لقانون التقسيم .

* * *

اعتمدت فكرة تعديل القانون على اساسين واضحين :

الأول : أن تحصل المصلحة على ما تعتقد أنه يجب المحافظة عليه كثروة قومية للبلاد . ويكون من حقها أن ترفض منح أية قطعة أثرية لمكتشف .

باختصار يصبح من حق المصلحة أن تأخذ ما تريد وتمنح المكتشف مالا تريد فاذا أخذت الكل فإن المكتشف لا يستطيع الاعتراض .

الثانى : ألا يحصل المكتشف نفسه على شيء ، بل يهب ما تمنحه له المصلحة لمتحف قومى فى بلاده ، أو أى بلد أخر حسب رغبته .

والهدف من هذا التعديل أن تتوقف المغامرات التجارية وأن تجيء لمصر جمعيات علمية هدفها البحث عن الأثار . . لمصلحة العلم والتاريخ فحسب .

* * *

اعترضت الجامعات والمعاهد العلمية والافراد فى الخارج على المشروع وساندتهم الدول الاجنبية وكان أساس الاعتراضات أن أحدا لن يجىء إلى مصر ينفق أمواله بحثا عن الأثار ولا يأخذ شيئا بينما أخذ غيره - من قبل - كثيرا من أثار مصر .

وبنيت الاعتراضات أيضا على أساس ما فعلته الدول فى هذا الشأن .

* تركيا واليونان وايطاليا تحفظ أثارها ولكن الباحثين لا يستطيعون التوقف عن الكشف عن أثار الامبراطورية اليونانية أو الرومانية بينما يمكنهم التخلى عن مصر .

وكان رد مصلحة الأثار أن مصر لم تعد دولة بعيدة منعزلة بل يقصدها الباحثون عن الحضارة القديمة .

وجاء اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون . وتجدد البحث فى تعديل قانون الأثار .

بعث السير فردريك كينيون مدير المتحف البريطانى بمذكرة إلى وزارة الخارجية البريطانية فى ٢٣ من يناير ١٩٢٣ يقول فيها :

* القانون الحالى يضمن حقوق مصر .

* القانون فى العراق وفلسطين ينص على التقسيم ويعطى المكتشف تعويضا بمنحه حصة أكبر من الأثار عندما تحتفظ الدولة بالقطع الهامة . وقد تقدم العمل الأثرى فى البلدين نتيجة ذلك القانون .

* مصلحة الأثار المصرية لا توحى بالثقة مثل مصلحة الأثار فى العراق وفلسطين

* هناك شكاوى كثيرة من المؤسسات الامريكية التى تنقب بمصر . وقد قررت التوقف عن العمل إذا صدر القانون إلا إذا تلقت تأكيدات ، أو عقدت اتفاقات معها ، أو صدر اعلان رسمى من الحكومة المصرية بأن هذه المؤسسات ستحصل على عائد مجز من الآثار المصرية عند إكتشافها أو اعتراف رسمى بالمناصفة العادلة .

وطلب السير فردريك كينيون أن تتدخل الحكومة البريطانية والمندوب السامى لدى حكومة مصر .

وبعثت الاكاديمية البريطانية بمذكرة مماثلة إلى وزارة الخارجية البريطانية فى فبراير ١٩٢٣ .

ونجح التدخل ولم يصدر القانون عام ١٩٢٣ .

* * *

وتولى سعد زغلول رئاسة الوزارة .

وحدثت أزمة المقبرة .

وعاد مشروع القانون إلى الظهور لعرضه على مجلس النواب .

وتحاول بريطانيا القيام بسعى مشترك مع فرنسا والولايات المتحدة للتدخل لدى سعد .

ويتصل السفير البريطانى فى باريس السير كراو بوزارة الخارجية الفرنسية التى تبلغه اعتذارها عن القيام بأى عمل مشترك .

ويكتب اللورد اللنبى إلى لندن :

« برقية رقم ١١٥

بتاريخ ٢٥ من أبريل ١٩٢٤

يسعى وزير الاشغال العمومية ـ مرقص حنا ـ جاهدا خلال الدورة البرلمانية الحالية لضمان اقرار التعديلات المقترحة فى قانون الآثار وهى التعديلات التى تأجل تقديمها إلى البرلمان فى العام الماضى .

أن مصر هى الدولة الوحيدة التى لا تحتفظ بالسيطرة الكاملة على الاكتشافات الأثرية لمصلحتها الوطنية . وستصبح التعديلات قانونا .

ونتيجة للضغط الذى يواجهه البرلمان فى بحث موضوعات أخرى . فان البرلمان لن يجد وقتا لاقرار التعديلات بحيث يتسنى تطبيقها خلال موسم التنقيب القادم .

وقد اخبر الوزير الامريكى المفوض الحكومة المصرية بأن الاصرار على التعديلات سينتج عنه تخلى معظم ـ إن لم يكن كل ـ المعاهد الامريكية التى تعمل فى مصر عن التنقيب عن الأثار .

ويعتقد الوزير الامريكى المفوض أن المصريين ـ كما فعلوا من قبل دون استثناء ـ يعتمدون على المساهمات التطوعية مما يجعلهم بالفعل متوترين ازاء الجدل المثار بشأن هوارد كارتر .

وطلب الوزير الامريكى المفوض من الحكومة المصرية أن تقدم ردا قبل ١٥ مايو وهو التاريخ الذى يعد فيه متحف المتروبوليتان ميزانيته » .

ويرى الوزير المفوض الامريكى أن الحكومة المصرية حرة فى إتخاذ أية تدابير ولكنه يأمل ان يؤجل النواب مشروع القانون لمدة عام على الاقل .

واعتقد أنه ينبغى على أن أقوم بمسعى مشابه .

وأكون ممتنا إذا أجريتم مشاورات مع سلطات الآثار البريطانية المختصة وافادتى عما إذا كنتم ترغبون فى قيامى بأى إجراء فى هذا الشأن »

ولكن مصلحة الآثار توزع فى نفس الشهر - مايو ١٩٢٤ - على كل بعثات التنقيب والأفراد أيضا صورة ترخيص التنقيب الجديد الذى يتضمن شروطا جديدة نص عليها القانون الذى لم يصدر بعد !

وضع الترخيص بأسلوب يضمن حق الدولة بحيث لا يستطيع أحد الاعتراض عليه .

* * *

وتجتمع لجنة الآثار المشتركة بالمتحف البريطانى لتقرر الاعتراض على منشور مصلحة الآثار .

وتبرق الحكومة البريطانية إلى اللورد اللنبى فى ٨ من مايو ١٩٢٤ للاتصال بالحكومة المصرية ومحاولة اقناعها بعدم صدور القانون .

إن بريطانيا رأت ألا تتدخل فى مسألة مقبرة الملك توت عنخ آمون - رغم ضخامتها - لأنها حالة فردية ولكن القانون الذى يشمل الجميع شيىء آخر ،

ويكتب اللورد اللنبى إلى وزارة الخارجية المصرية فى اليوم التالى - ٩من مايو - خطابا يبدى فيه قلق الهيئات الأثرية البريطانية من تعديلات قانون الآثار . .

قال اللنبى :

« بناء على تعليمات وزير الخارجية اكتب إليكم بشأن نوايا الحكومة المصرية فى تعديل قانون الآثار

وتتعاطف الحكومة مع رغبة مصر فى وضع شروط أكثر وضوحا ، وذات طبيعة مرضية بصورة أفضل من القانون الحالى .

وتدرك الحكومة البريطانية أن هناك اجماعا فى الرأى لدى المعنيين بالآثار فى بريطانيا العظمى بشأن تعديلات معينة ، تدرس الآن ستلحق اضرارا قاتلة لعلم الآثار .

وستؤدى موافقة الحكومة المصرية على هذه التعديلات إلى وقف عمليات معظم معاهد الآثار فى مصر .

وتأمل حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ان تقوم الحكومة المصرية بمراجعة بعض التعديلات التى تجرى دراستها فى الوقت الحاضر »

ويؤجل واصف غالى باشا وزير الخارجية الرد على المندوب السامى البريطانى شهرا كاملا ثم يجيب بحزم قائلا :

« أفادتنى الادارة المختصة انها لن تتخلى عن مشروعها الخاص بتعديل قانون الآثار وأبلغتنى أيضا أن التعديلات لا تمس مصالح الجهات العلمية ولا تدعو لقلقها .

إن الحكومة المصرية لا تريد إلا شيئا واحدا وهو عدم الالتزام بكلمة « النصف » عند تقسيم الآثار حتى يتسنى جمع مجموعات كاملة من الوثائق والمستندات والأدلة التى تمثل الحضارة المصرية كاملة .

ومن خلال واجبها تجاه العلم فان الحكومة المصرية ستهدى للمتاحف الاجنبية عددا كافيا من الآثار الهامة المتوفرة فى مجموعاتها لتسهيل مهمة الباحثين فى مجال الحفائر ولدراسة تاريخ مصر القديمة فى مراكز الجامعات الاجنبية .

وقد تتأثر مؤقتا بعض المعاهد العلمية من الناحية المالية . ولكن ذلك لا ينبغى أن يكون مبررا للتضحية بالمصالح العلمية »

ويدرك اللورد اللنبى من هذا الرد أن مصر ماضية فى تعديل القانون . وأنها لن تمنح كارتر ـ أو أحدا غيره ـ نصف الآثار .

ويعرف المندوب السامى البريطانى أنه لن يجد آذانا مصرية حكومية تصغى إليه .

وتبرق دار المندوب السامى إلى لندن يوم ٢٤ من يونيو ١٩٢٤ بالنصوص . ويعلق عليها رئيس القسم المصرى بوزارة الخارجية البريطانية قائلا :

« الشروط معقولة بشرط أن تخلص حكومة مصر فى تطبيق نصيبها »

ولكن البرلمان المصرى كان مهتما بشئون السياسة فلم يستطع مناقشة القانون أو اقراره .

* * *

وتستمر المفاوضات والمراسلات .

كتب الان جاردنر الى سلبى سكرتير رامزى ماكدونالد فى ٢٩ من سبتمبر ١٩٢٤ يقول :

« انى آسف ولكنى مضطر للعودة إلى مسألة مصلحة الآثار المصرية . وقد تلقى روبرت موند الذى يقوم بحفائر لجامعة ليفربول نصوص تراخيص التنقيب الجديدة وستلاحظون أن مصلحة الآثار قد غيرت قانون الآثار بما يناسبها .

فهم يريدون أن يكون كل شيء لمصلحتهم فى حين لا يتمتع « المنقبون » بأية ضمانات على الاطلاق .

ولم تحصل الحكومة المصرية بعد على ثقة العالم ، ولم يتم تقديم أى ضمان بأن هذه السلطة الجديدة لن تمارس إلا فى حالة الضرورة .

ولا أعتقد ان الأثريين يثقون ، بأى شكل ، فى لاكو ، المدير العام .

وكل هذه التغييرات نتيجة لمتاعب توت عنخ آمون ومن الصعب ادراك السبب فى أن تواجه الجمعيات والمؤسسات العلمية المتاعب »

ويبعث السير لانسلوت وكيل الخارجية البريطانية إلى السير فردريك كينيون مدير المتحف البريطانى قائلا فى ٢٩ من سبتمبر ١٩٢٤ أيضا :

« يرى وزير الخارجية رامزى ماكدونالد أنه ليس من المنطقى أن تتم هذه التعديلات وليس ملائما أن يعانى المنقبون . اننا نريد أن تكون التعديلات فى القانون ذات روح ليبرالية متحررة »

ويكتب اللورد اللنبى إلى لندن :

« آمل أن تقبل الحكومة المصرية نوعا مـن التسـوية نتيجـة الضـغط الدبلوماسى »

* * *

وتوالى ١٠ بعثات أثرية ضغطا آخر على مصلحة الآثـار بـالتهديد بالامتناع عن الحفر ,

كانت للانجليز وحدهم ٣ بعثات :

الأولى فى طما تبحث . والثانية فى تل العمارنة . والثـالثة تنقـب فى الأقصر .

وللامريكيين بعثة من متحف المتـروبوليتان فى معبـد حتشـبسوت فى الأقصر ، وأخرى من جامعة هارفارد فى الجيـزة . والثـالثة مـن جـامعة فيلادلفيا فى مقابر الرعامسة فى الأقصر والرابعة من جامعة بوسطن التى بنت بيتاً لأعضائها قرب معبد رمسيس فى الأقصر تمهيداً لبدء الحفر .

وللفرنسيين أيضا ٣ بعثات فى مقابر ديـر المـدينة فى الأقصر والجيـزة وادفو

ويواسى اللورد اللنبى حكومته قائلا :

« ان مصلحة الآثار ـ على أية حال ـ فى أيد أوربية تماما »!

* * *

ويستقيل سعد زغلول فى نـوفمبر ١٩٢٤ وتسـتمر الاتصـالات لمنـع صدور القانون .

طلبت الحكومة الامريكية من الحكومة البريطانية فى ١٨ من يونية ١٩٢٥ القيام بعمل مشترك مع مصر لمنع صدور القانون .

ولكن بريطانيا امتنعت عن الرد .

وقصد السفير الامريكى فى باريس إلى مقر وزارة الخارجية البريطانية يوم ٢٥ من فبراير ١٩٢٦ ليجدد طلب العمل الدبلوماسى المشترك .

وكانت على مكتب الوزير مذكرة من القسم المصرى بالوزارة تقول :

« لا نريد عملا مشتركا فى مصر . ان لنا وضعا خاصا متميزا فى القاهرة »

ويتخلص الوزير من اعلان رد صريح مباشر قائلا انه سيفعل ذلك إذا سمح المناخ السياسى فى مصر .

وفى ٣ من مارس ١٩٢٦ يكتب المندوب السامى فى القاهرة اللورد لويد إلى لندن

« برقية رقم ٥٦

سلمنى الوزير المفوض الامريكى نسخة من مذكرة ، تتضمن اقتراحا بأن يخاطب الوزير الامريكى فى القاهرة الحكومة المصرية وسألنى عما إذا كانت حكومة صاحب الجلالة تؤيد الموقف الذى تتضمنه المذكرة . وأبلغنى أنه يجرى تقديم مذكرة مماثلة فى باريس .

وبعد بضع فقرات حول اهمية علم المصريات بالنسبة إلى امريكا ، تشير المذكرة إلى التغييرات التى احدثها قرار الأثار لعام ١٩٢٤ / ١٩٢٥ وإلى الرسالة التى وجهها المدير العام لمصلحة الأثار إلى رئيس متحف المتروبوليتان فى نيويورك ، بتاريخ أول أبريل ١٩٢٥ ، حول الهدف من هذه التغييرات .

ويقرر أن التغيير فى السياسة خلق احساسا هائلا بالاضطراب فى اذهان علماء الأثار الامريكيين . وفى حين يوافقون على الاهداف التى تبغى هذه التغييرات تحقيقها ، فانهم يقولون إن المادة ١٠ من طلب التصريح الجديد يجب أن يحل محلها بيان ملخصه كالآتى :

إن العلم يتطلب أن تحتفظ مصلحة الأثار لنفسها بكل القطع التى لا تمتلكها ، إلا أنها ستوزع الى حد كبير المواد التى تمتلكها . .

وأن مصلحة الأثار لا ترغب فى الاحتفاظ بأى من المواد من أجل بيعها ، ولا بنسخ أو مواد معادلة لنفسها ، ولا فى إعطاء حفار عاديات اكتشفها حفار آخر .

ولذلك فان الحكومة ستعطى الحفارين كل العاديات التى لا تحتاج اليها ، بما فى ذلك عاديات ذات قيمة من الطراز الأول ، بغض النظر عما إذا كانت مثل هذه العاديات أكثر أو أقل من نصف العاديات المكتشفة .

يلى ذلك طلب بادراج هذه المبادىء فى طلب تصريح الحفر .

أبلغت الوزير الامريكى المفوض بأنى اتفق بشكل عام مع الهدف الذى تتطلع إليه حكومته وانى سأطلب رأيكم فيما يتعلق بنوع ودرجة التأييد الذى يمكن اعطاؤه بأقصى قدر من الفائدة .

أرجو الابراق لى بملاحظتكم »

ويوجه اللورد لويد - وحده - مذكرة إلى وزير الخارجية المصرية فى ٢٩ من مايو ١٩٢٦ يعترض فيها على بعض نصوص الترخيص الجديد .

ولكن مصر تمضى فى تمصير مصلحة الأثار .

كان عدد الاجانب العاملين فى هـذه المصـلحة ١٥ عـام ١٩٢٣ ، فانخفض الرقم إلى ثمانية عام ١٩٢٦ . . ويزيد عدد البعثـات المصريـة لدراسة الآثار فى الخارج .

ولكن يبقى المديرون الاجانب يرأسون مناطق التنقيب الاسـاسية فى الكرنك والجيزة وسقارة .

وينجح اللورد لويد وهاول الوزير الامريكى المفـوض فى الضـغط على زيور الذى يرفض تعديل القانون .

ويعلن زيور ـ رسميا ولكن سرا ـ بأن مصر ستهدى ـ دون مقابل ـ كل ما هى فى غنى عنه من الأثار التى ستكتشف ـ ولا تحتاج إليهـا الـدولة فى مجموعاتها ، سواء تم الـكشف فى القـاهرة أو أى مـدينة أخـرى . . وذلك بغض النظر عن أهمية الأثار .

وقال زيور إن مصلحة الأثار ستحتفظ بكامل حريتها فى اختيار القـطع التى تهديها .

ويبرق وينلوك بذلك إلى متحف متروبوليتان فى نيويورك .

ويكتب فردريك كينيـون مـدير المتحف البـريطانى إلى مـورى رئيس القسم المصرى فى وزارة الخارجية البريطانية قائلا :

« لا نستطيع بالتأكيد تحسين هذه الشروط !

هذا اعتراف بحقوق القائمين على التنقيب . . وانى راض تماما عن ذلك » .

ويتعطل صدور القانون .

وتتخلص وزارة الاشغال من المشكلة بأن تصدر فى مايو ١٩٢٨ قرارا بمنع تصدير الأثار المصرية إلا بتصديق من الوزير بعد فحص القطعة بمعرفة رجال مصلحة الأثار وموافقة مدير المصلحة .

وتبقى العقوبات فى حالة المخالفة مقصورة على المصريين والاتراك وحدهم . . ويعفى منها الاجانب .

ولا يعدل قانون الأثار إلا فى ٣١ من أكتوبر ١٩٥١ بصدور القانون رقم ٢١٥ لحماية الأثار ، وذلك قبل خروج الأب دريتون الفرنسى من منصب مدير المصلحة . . بشهور !

مؤامرة على المتحف

فى رأى الدكتور أحمد قدرى مدير عام مصلحة الآثار ان عمليات نهب الآثار المصرية كان يجب أن تجعل مصر خلوا من آثارها ولكن حضارة مصر على مر العصور جعلتها غنية بثلث آثار العالم رغم كل السرقات . .

وجاء اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ليكون نقطة تحول خطيرة . . فقد اراد كارنارفون وكارتر الحصول على نصف الآثار فلما فشلت المحاولة رغبت الحكومة فى تعديل قانون الآثار . . ولكن أمكن ـ بالضغوط ـ تعطيله .

وجرت محاولة جديدة جريئة وغريبة لسرقة الآثار المصرية على أوسع نطاق .

* * *

بدأت هذه المحاولة من جانب الانجليز يوم ١١ من نوفمبر عام ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى . .

اقترحت اللجنة الأثرية البريطانية المشتركة اشرافا دوليا على الآثار التى توجد فى البلاد الخاضعة لتركيا . . ولم تكن مصر احدى هذه الدول لأنها كانت تحت الحماية البريطانية منذ عام ١٩١٤ . .

قالت اللجنة المشتركة إن هـزيمة تـركيا واجتمـاع ممثلى الـوفاق والولايات المتحدة فى مؤتمر السلام ، يتيحـان فـرصة لن تتكرر مـطلقا لعلاج هذا الوضع المؤسف . . ونجاح العديد مـن المنـظمات الـدولية للحلفاء خلال الحرب يشير الى امكان التوصل الى حل لمشكلة الآثـار فى هذه الدول . .

اقترحت اللجنة ان تتولى ادارة الآثار دولة ما.

والدولة التى تثير أقل قدر من الحساسية الـدولية هـى أمـريكا التـى تدعى كوصية للقيام بهذا الواجب ، نيابة عـن الأمـم المتحـدة بـوجه عام .

ويتعين ان تتمتع هذه اللجنة بسلطات قانونية لتعديل القانون التـركى القائم ، من اجل :

١ ـ كفاءة الحفاظ على الآثار .

٢ ـ الحياد فى الادارة . . وتتمتع بسـلطة منفـردة فى منـح تصـاريح الحفريات والتنقيب وتصدير الآثـار ، وشراء العـاديات مـن المتـاحف التركية . او الافراج عنها لبيعها فى الخارج .

ويوضع قانون يسمح بتقسيم نتائج الحفريات بين المتـاحف التـركية والحفارين ، وفقا للنـظام المصرى وتتـولى اللجنـة الاشراف على هـذا التقسيم . . وتخضع المتاحف المحلية لادارتها . .

وتمثل فى اللجنة الدول التى اظهر رعاياها اهتماما بـالآثار . . وهـى فرنسا وبريطانيا العظمى وايـطاليا والـولايات المتحـدة الامـريكية . . وأخيرا المانيا والنمسا . .

وبين الدول الأخرى بلجيكا والدانمرك . .

وقد تطالب اليونان بتمثيلها .

ولا تمثل تركيا فى اللجنة بل تتناوب تمثيلها .

وهذا الاقتراح يعنى ببساطة ان تتولى شئون الآثار فى تركيا والدول الخاضعة لها لجنة دولية لاتضم ممثلين عن تركيا نفسها .

وهذا النموذج هو الذى فكرت الولايات المتحدة فى تطبيقه بمصر .

* * *

فى يناير عام ١٩٢٥ ، فى وزارة أحمد زيور باشا بعث عالم الآثار الامريكى جيمس برستد الى جلالة الملك أحمد فؤاد بمذكرة طويلة عن الحالة المؤسفة للمتحف المصرى بالقاهرة . .

قالت المذكرة :

المتحف ليس مكانا آمنا لهذه المجموعة الضخمة من الآثار . انشىء على اسس خاطئة . وسقفه يسمح بتسلل مياه الامطار والبدروم تحت مستوى مياه نهر النيل وتدخله مياه الفيضان . . مما اتلف كثيرا من الآثار . .

* لاتوجد أماكن عمل لأساتذة الآثار الزائرين .
* لايوجد معمل للمحافظة على الآثار والاعمال الفنية .
* لايتوفر للمعهد العدد الكافى من الأمناء العارفين بعلوم الآثار .

وبعد هذه المذكرة كتب برستد الى صاحب الجلالة ملك مصر يقول :

« يتابع العالم التطور السياسى لمصر . . فهى أحدث الدول من الناحية السياسية ولكنها اقدم الجميع حضارة فان اول الآثار المصرية اقيم فى زمن كانت اوروبا فيه غارقة فى الوحشية والظلام . .

وقد انتشرت الآثار المصرية - وهى ميراث الحضارة - على امتداد نهر النيل وضمها متحف القاهرة لتكون رابطة بين مصر وباقى الأمم .

ويجب ان تنظر الشعوب الحديثة الى مصر القديمة . بوصفها السلف الثقافى التى تتطلع اليها فى امتنان واحترام .

وكتعبير عن التوقير لمصر فان الأمم الاخرى ترغب فى ان تتعاون مع شعب مصر للمحافظة على الآثار المصرية . .

ومنذ ثلاثين عاما لم يكن هناك مدرس واحد للغة المصرية القديمه فى الولايات المتحدة . . فنحن امة حديثة سياسيا وثقافيا أيضا .

ونظرا لأن التطور الامريكى تم خلال الثلاثين عاما الأخيرة فاننا ندرك المتاعب التى تواجهها مصر . .

وفى ظل هذه الروح فاننا نقدم لجلالتكم هذه الهدية » .

بعد هذه المقدمة التى صيغت بأرق عبارات المجاملة نحو مصر وصاحب الجلالة قالت الرسالة :

« أصبح المتحف المصرى فى القاهرة يضيق بآثاره ولـذلك يعـرض المستر جون روكفلر اقامة متحف جـديد يتـكلف خمسـة مـلايين دولار ومعهد لأبحاث الآثـار يتـكلف ٤٠٠ ألف دولار ومبلـغ ٤ مـلايين دولار اخرى يخصص ريعها لصيانة المتحف والمعهد . . وبذلك يبلغ مجموع المنحة التى يعرضها مستر جـون روكفلـر على مصر نحــو ١٠ مـلايين دولار ، أى مليونين من الجنيهات المصرية » .

ولكن المنحة او الهبة لم تكن نهائية بل رافقتها شروط والتزامات .

قال برستد إن على الحكومة المصرية قبولها وهى : تعاون الـولايات المتحدة والدول الغربية فى ادارة المعهد خلال ٣٣ سنة بـاعتباره مـؤسسة تعليمية للمصريين وألوف الاجانب الذين يهرعون الى مصر كل شتاء ولنشر الابحاث عن كنوز مصر وتدريب المصريين ليتولوا ـ بعـد ذلك ـ ادارة المتحف .

وأرفق برستد بالرسالة رسما وخرائط للمعهد . ومذكرة بتفصـيلات الشروط المصاحبة للمنحة . وبدونها لا تتم وهى :

١ ـ تؤلف لجنة دولية لها سـلطة مـطلقة ـ لادارة المتحف الجـديد مـن مديرى المتاحف الـكبرى وهـى متـروبوليتان فى نيـويورك ، والمتحف البريطانى ، واللوفر الفرنسى .

ويرأس هذه اللجنة امريكى او بريطانى .

٢ ـ تتولى اللجنة ادارة المتحف المصرى خلال الاعوام الثلاثين حتى تعد مصر جيلا من العلماء المصريين يتولى المسئولية .

٣ ـ تؤول لمصر ملكية المتحف والمعهد بعد ثلاثين عاما . .

٤ ـ لاتتدخل اللجنة ـ بالضرورة ـ فى اختصاصات المدير الفرنسي لمصلحة الآثار .

٥ ـ تبقى الآثار ملكا للحكومة المصرية .

٦ ـ تتولى اللجنة ادارة محتويات المتحف من الآثار الحالية والآثار التى تكتشف فى المستقبل .

ومن الواضح ان المشروع الامريكى لايختلف كثيرا عن المشروع البريطانى القديم بالنسبة لتدويل الآثار التركية . . بوضع آثار مصر تحت ادارة امريكية ـ اوروبية لايشترك فيها مصرى واحد . .

باختصار تصبح كل آثار مصر وديعة فى يد اللجنة الدولية تتصرف فيها كيف تشاء دون رقابة مصرية .

وبين هذه الآثار كل مافى مقبرة توت عنخ آمون وهى خمسة آلاف قطعة منها الف قطعة معروضة بالمتحف المصرى والباقى بالمخازن لانه مكرر . .

وبعد ثلاثين عاما يمكن لمصر ان تعرف او لا تعرف مصير هذه الآثار .

اما ثمن المتحف والمعهد فهو مليونا جنيه مصرى !

ولكن المشروع ارتبط بفكرة ذكية وهى اقامة المتحف المصرى الجديد مكان ثكنات قصر النيل .

وكانت هـذه الثكنات ، او معسكرات الجيش البـريطانى . فى المكان الذى تشغله الآن الجامعة العربية ، وفندق هيلتون ، والمبانى المجاورة التى تطل على النيل . . وهى تمثـل بـالنسبة للمصريـن جـرحا داميا وعميقا فمن هذه المعسكرات والثكنات انطلقت القوات البـريطانية تقمع كل مظاهرة وطنية وتطلق الرصاص على شعب مصر منـذ الاحتـلال وبالذات اثناء ثورة عام ١٩١٩ .

ولا يأمل المصريون فى شىء مثل جلاء القوات البريطانية وإنسـحابها ولاشك ان اقامة متحف لمصر القديمة مكانها يسعد شعب مصر !

* * *

وبعث برستد الى اللورد اللنبى ـ يوم ٣ مـن فبـراير ـ يـطلب تـأييده والاحتفاظ بالمشروع سرا لأن العلانية ستفسده !

* * *

رفض الانجليز على الفور اخـلاء ثـكنات قصر النيـل لاسـباب عسكرية ، وبالذات بعد اغتيال السردار واستقالة سعد . .

ولم تكن الحكومة الامريكية طرفا فى المـوضوع وان تـدخل مـورتون هاوبل الوزير الامـريكى المفـوض فى المفـاوضات لصـالح المتحف الجديد .

ولم يكن النفوذ الامريكى قويا بحيث ينصاع ويخضع له الانجليز ومن ناحية اخرى لم تكن ظروف مصر السياسية ، بعد الضجة التى اثيرت حول مقبرة الملك توت ، تسمح بالبت فورا فى المشروع .

* * *

أحال الملك المشروع الى أحمد زيور باشا رئيس الوزراء .

وأحاله زيور باشا بدوره الى قلم قضايا الحكومة للتوفيق بينه وبين القوانين المصرية والدستورية والادارية لأنه يضع آثار مصر فى يد ادارة دولية تفعل بها .. كما تشاء !

وكانت فرنسا طرفا فى المشكلة بحكم الاتفاق الودى مع بريطانيا عام ١٩٠٤ وحق الفرنسيين فى شغل منصب مدير عام مصلحة الآثار .. فقد رأت فرنسا ان رجلها الفرنسى الذى يدير مصلحة الآثار سيصبح مديرا بغير ادارة ، وبغير عمل ، وبغير صلاحيات على الاطلاق !

* * *

أخذ عبد الحميد بدوى باشا رئيس قلم قضايا الحكومة فى دراسة المشروع .

كان بدوى باشا فى الرابعة والثلاثين من عمره درس القانون فى فرنسا ، وتنقل فى وظائف النيابة ثم عمل مديرا للمكتب الفنى لعبد الخالق ثروت باشا عندما كان وزيرا للعدل .

ورافق عدلى يكن باشا رئيس الوزراء الى لندن عام ١٩٢١ عندما تفاوض مع الانجليز وكان بدوى باشا سكرتيرا لوفد المفاوضات .

واختير سكرتيرا عاما لمجلس الوزراء ثم مديرا لقلم قضايا الحكومة .

ويقول الانجليز فى تقاريرهم ان بدوى باشا وطنى ولكنه لايظهر العداء للأجانب . ولا يستطيع مسئول الاستغناء عنه لأنه صاحب عقلية فذة ولابد من الاستعانة به فى كل مستند حكومى سياسى رسمى .

تفاوض بدوى باشا مع محامى المليونير الامريكى جون روكفلر ، والاستاذ الأثرى جيمس برستد حول اللجنة الدولية لادارة المتحف .

وجد قلم القضايا ان شروط روكفلر تتعارض مع قانون انشاء مصلحة الآثار المصرية ، وكل قوانين الآثار وانها تتأثر بقواعد وقوانين الهبات فى الولايات المتحدة نفسها .

رفض قلم القضايا استبعاد مصر من اللجنة الدولية لادارة المتحف فوافق روكفلر وضم للجنة ايضا مدير متحف اللوفر الفرنسى . .

وأعيد تشكيل اللجنة فأصبحت تؤلف من ١٠ أعضاء على النحو التالى :

١ - عضوان من مصر .

٢ - عضوان من كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لا تعينهم الحكومة المصرية بل تعينهم هيئات علمية اجنبية .

٣ - يختار الاعضاء الثمانية عضوا او أثنين أجنبيين يمثلان دولة او دولتين .

٤ - تختص اللجنة وحدها بتعيين كل الموظفين الفنيين والاداريين .

٥ - تشكل لجنة للابحاث الأثرية يرأسها الاستاذ جيمس برستد وله وحده حق تعيين الموظفين التابعين له .

رأت ادارة قضايا الحكومة انه لابد من ادخال تعديل جديد على المشروع : بان يعين وزير الاشغال رئيسا للجنة ويرجع اليه فى تعيين الموظفين الفنيين والاداريين ، ونظرا لأن مدير عام مصلحة الآثار فرنسى فيعين مصرى آخر فى اللجنة .

وأدخلت تعديلات على المشروع ولكن الجوهر بقى ثابتا وهو سحب كل اختصاصات الحكومة المصرية ووزارة الاشغال ومصلحة الآثار من الاشراف على شئون الآثار المصرية !!

* * *

استقال اللورد النبى المندوب السامى فى مصر وجاء اللورد جورج لويد فى ٢١ اكتوبر عام ١٩٢٥ وتعطل المشروع .

قصد السفير الامريكى فى لندن الى وزارة الخارجية البريطانية والتقى بوزيرها فى ٢٥ من يونيو ١٩٢٥ وسلمه رسالة من الحكومة الامريكية تبدى فيها اهتمامها بمشروع المتحف وتطلب ـ له ـ التأييد البريطانى .

وكان يرافق السفير جيمس برستد الذى شرح المشروع . .

ابدى وزير خارجية بريطانيا استعداده لتقديم كل المساعدة واحال برستد الى مورى رئيس القسم المصرى بالخارجية البريطانية لمناقشة التفاصيل .

* * *

طلب برستد الضغط على مصر لقبول العرض .

رد مورى :

ـ نحن متعاطفون مع رغبة علماء الآثار الامريكيين والبريطانيين لانقاذ آثار مصر .

قال برستد :

ـ وماذا بعد التعاطف ؟

قال مورى :

- يجب ألا نظهر تعاطفنا امام المصريين حتى لايقوم المواطنون بتشويه صورة العرض امام الشعب المصرى ويتهمونكم بالأرتباط باهداف السياسة البريطانية . .

وأضاف مورى :

- من الصعب ان يكون لنا دور فعال فى توصية الملك فؤاد وحكومة مصر بقبول عرض روكفلر . . الكريم !

وأضاف :

- لقد تعهدنا للفرنسيين عام ١٩٠٤ ان يسند منصب مدير عام الآثار الى عالم فرنسى .

ولم يقل مورى لبرستد إن بريطانيا لايمكن ان توافق على تمثيل امريكى أو أجنبى فى اللجنة يزيد على عدد الممثلين البريطانيين .

ولكن مورى سجل رأيه فى مذكرة سرية لوزير خارجيته !

* * *

رأى برستد العقبات توضع فى طريق اقامة المتحف مكان ثكنات قصر النيل فبدأ يبحث عن موقع آخر واستغرق ذلك وقتا طويلا . .

ورغم ذلك كله بقى المشروع سرا لايعلم به احد عاما كاملا .

لم يعرف بالمشروع اسماعيل سرى باشا وزير الأشغال فان أحمد زيور باشا رأى ان تتم المفاوضات بينه مباشرة وبين روكفلر فى نيويورك ومحاميه فى القاهرة . . وقد اعلن زيور فيما بعد - انه كان المفاوض الوحيد مع روكفلر وبرستد ومحاميه !

وظل الشعب المصرى يجهل مايراد باثاره رغم ان الملك و المندوب السامى البريطانى ووزير خارجية بريطانيا والدكتور جيمس برستد أستاذ الآثار الامريكى . . يعرفون !

ولكن كان لابد ان يتسرب النبأ لكثرة المراسلات التى تمت بين زيور وادارة قضايا الحكومة وروكفلر وسؤال برستد للخبراء عن موقع لمتحف جديد على شاطىء النيل .

نشرت الصحف النبأ فى أوائل فبراير عام ١٩٢٦ وقالت ، على نحو ماعرفت ، ان روكفلر تبرع لمصر بمبلغ عشرة ملايين دولار لبناء متحف .

وكان النبأ ـ بهذه الطريقة ـ غير صحيح لأن روكفلر لم يتبرع بل كان يريد وضع آثار مصر كلها تحت اشراف دولى مقابل ١٠ ملايين دولار .

ولذلك اسرع روكفلر ينفى النبأ ويقول ان المفاوضات جارية بينه وبين الحكومة المصرية .

ووصل الى مصر الدكتور برستد وايفريت ميكى وريموند نوديك الامريكيون ، ونشر ان الثلاثة يمثلون ـ بصفة مؤقتة ـ هيئة الأمناء على المشروع .

وعقد برستد مؤتمرا صحفيا يوم ١٤ من فبراير بدأه بأكذوبة .

قال انه ـ سلم حديثا الى الملك فؤاد رسالة من روكفلر بشأن الهبة ولم يقل برستد إن الملك تلقى هذه الرسالة قبل عام !

وأضاف عالم الآثار الامريكى ان المنحة عشرة ملايين دولار وانها اكبر مبلغ يذهب للعلوم والابحاث الانسانية وسيقام أحدث متحف فى العالم .

وعدد عيوب المتحف المصرى الذى لايمكن ان يحافظ على الآثار لصغر حجمه ونقص التهوية والاضاءة وقلة العاملين به .

وأعلن ان الهدف هو تدريب اجيال من علماء الآثار المصريين .

وأشاد بخبرة مدير عام مصلحة الآثار بيير لاكو وكفاءته . ولم يذكر فى المؤتمر الصحفى ان الشروط التى رافقت المشروع تشل تماما العالم لاكو !

ولم يذكر بيير لاكو شرطا واحدا اقترن بالمشروع بل قال ان ترتيبات التنفيذ يجرى بحثها مع حكومة مصر .

* * *

توجه السفير الامريكى فى لندن الى وزارة الخارجية البريطانية يوم ٢٦ من مارس ١٩٢٦ يطلب تأييدا بريطانيا صريحا لبرستد فى مشروع المتحف .

أعتذر الوزير البريطانى قائلا :

- فى ظل هذا المناخ السائد فى مصر فان تأييدا بريطانيا سيزيد من شكوك المصريين فى المشروع . .

وأضاف الوزير :

- ان اللورد جورج لويد المندوب السامى البريطانى يتعاطف مع الدكتور برستد . وهو على اتصال مستمر به ويستطيع الاعتماد عليه .

ولكن برستد كان يريد مساندة بريطانية أكبر .

عرض زيور باشا المشروع على مجلس الوزراءء الذى رأى ضرورة ادخال تعديلات عليه وهى :

١ ـ أن تعين الحكومة المصرية أعضاء اللجنة الدولية وكذلك نائب رئيس اللجنة .

٢ ـ ضرورة موافقة الهيئة المصرية المختصة ـ أى مصلحة الآثار ـ على نظم تعيين الموظفين .

٣ ـ تعطى الأولوية للمصريين فى التعيين فى المتحف ومعهد الابحاث .

٤ ـ أن يوافق البرلمان المصرى على المشروع .

وتوجه برستد لمقابلة زيور باشا ورئيس إدارة قضايا الحكومة يستفسر عما تم . . وعرف برستد بما جرى فى مجلس الوزراء ومداولاته وأدرك ان حكومة مصر لاتجرؤ على التفريط فى ١٢٠ الف قطعة من الآثار بينها مائة الف قطعة معروضة فى المتحف المصرى وعشرون ألفا بالمخازن . . كل ذلك مقابل عشرة ملايين دولار .

رأى أحمد زيور باشا رئيس وزراء مصر أن المشروع يتعارض مع المسئولية الدستورية للوزارة فأدخل عليه بالاتفاق مع ادارة قضايا الحكومة عدة تعديلات سلمها الى جورج ميرزباخ بك محامى روكفلر وطلب عرضها عليه وعلى الوسطاء فى نيويورك فوافقوا عليها ،

وسلمها برستد الى رئيس الوزراء يوم اول ابريل فوافق عليها أحمد زيور باشا ووعد بعرضها على مجلس الوزراء .

وقال زيور باشا :

ـ أعدك بأنى سأوصى مجلس الوزراء بالموافقة على المشروع .

رأى برستد أن يلجأ الى سلاح أخير وهو التهديد .

كتب يوم ٨ من ابريل الى زيور باشا يقول :

« لم يتصل بى انكم أوصيتم مجلس الوزراء بالموافقة على العقد الجديد او ان الحكومة المصرية قبلته ووقعته .

و استنتج من هذا ، ومن الاحاديث التى جرت لى مع دولتكم ، ومع رئيس قلم القضايا ان الحكومة المصرية لاتستطيع ان تجد سبيلا لقبول هبة مستر روكفلر .

وسأسافر اليوم الى نيويورك وسأعرض على مستر روكفلر ماهو ظاهر من عدم استطاعة الحكومة المصرية قبول هبته » .

* * *

انتظر روكفلر ثلاثة اسابيع ولكن زيور باشا التزم الصمت التام فكتب اليه الأمناء يوم ٢٧ من ابريل يقولون :

« لقد اعتقدنا اننا ازلنا جميع العراقيل التى تعترض الموافقة على المشروع نظرا الى الى كتاب دولتكم الذى قلتم فيه اننا اذا قبلنا المشروع المعدل فان دولتكم توصون مجلس الوزراء بالموافقة عليه .

وعلى ذلك كتب اليكم الدكتور برستد بالنيابة عنا عند سفره من مصر فى ٨من ابريل والأسف ملء فؤاده ، يقول انه لم يتلق خبرا بأن دولتكم أشرتم على مجلس الوزراء بقبول المشروع المعدل او خبرا بقبوله فانه يستنتج من هذا ان الحكومة المصرية لم تجد فى وسعها قبول هبة المستر روكفلر .

وقد قال الدكتور برستد فى ختام ذلك الخطاب :

« انى سأسافر الى نيويورك اعرض على المستر روكفلر عدم قدرة الحكومة المصرية ، على قبول هذه الهبة . .

ولكنكم لم تردوا على خطاب برستد الذى سلم اليكم قبل شهر » .

* * *

كتب روكفلر الى الملك فؤاد فى ٢٧ من ابريل ١٩٢٦ بعد ١٥ شهراً من تقديم العرض يقول :

«ياصاحب الجلالة :

عملا برغبة جلالتكم جرى البحث مع صاحب الدولة رئيس الوزراء واصحاب المعالى الوزراء فى مشروع انشاء متحف جديد ومعهد لدراسة العاديات فى القاهرة .

وقد اتخذت التدابير اللازمة لتنفيذ هذا المشروع كما اقترحت الحكومة المصرية بحيث تطابق حاجات العلم ، وبروح حسن النية الصادقة نحو الشعب المصرى فى وقت تلقى فيه على عاتق الحكومة المصرية تبعات جديدة ثقيلة من الوجهة السياسية والعلمية .

ولو لقيت الخطط التى اقترحت خطوة فى عين حكومة جلالتكم لكان من بواغث اغتباطى العظيم تحقيقها من الوجهة المالية .

ولكن من بواعث أسفى الشديد انه ظهر انـه يسـتحيل وضـع تـدابير يمكن قبولها وتكفل نجاح المشروع مع ان التغييرات التـى طلـب منـدوبو جلالتكم احداثها فى صيغة الاتفاق الاساسى - وهى التغييرات التى كتب دولة رئيس الوزراء يقول انه سيوصى بقبـول الهبـة على قـاعدتها - قبلـت وسلم بها .

ففى هذه الاحوال ، ولكى لاتقع الحكومة المصرية فى ارتبـاك اعلن الآن سحب الاقتراح الذى كنت قـد تشرفـت بعـرضه على جـلالتكم والحكومة المصرية . . مع أسفى علىّ عدم بلوغ الغاية المنشودة » .

وأعلن روكفلر فى الصحف سحب المشروع ونشر الرسائل التى بعـث بها بريستد والأمناء الى زيور نص كتاب روكفلر الى جلالة ملك مصر .

ولكن روكفلر لم يجرؤ على ان يذكر الشروط . .

هاجمت بعض الصحف المصرية حكومة زيـور لأنهـا مسئـولة عـن سحب العرض السخى . واضطر مجلس الوززاء لاذاعة بيان يرد فيه على روكفلر والامناء .

ولكن مجلس الوزراء - بدوره - لم يذكر ابدا الشروط الكاملة التـى ارتبطت بالمنحة والهبة والمتحف والمعهد الجديد . .

ولم يعرف شعب مصر ابدا ان مجلس الوزراء لـم يسـتطع ان يسـلم آثار مصر كاملة للامريكيين او للجنة دولية لأن شعب مصر بدأ يحرص على آثاره بعد اكتشاف كنز الفراعنة الجديد . ان احمـد زيـور بـاشا رغـم استسلامه السياسى للأنجليز لم يستسلم لهـم أو لـلامريكيين فى شئـون الآثار !

وهكذا ضاعت على روكفلر وبرستد بعد . . « كارتر » آثـار الملك توت عنخ آمون .

ولا يجد بريستد ما يفعله إلا ان يصدر كتيبا مصورا يبين فيـه تـكدس المتحف المصرى بالآثار وروسومات المتحف الجديد ليبين الفرص التى ضاعت على مصر . . او بعبارة أدق ضاعت على روكفلر !!!

تمثال نفرتيتي

وجد لص الآثار الالمانى ريتشارد ليسبيوس ـ عام ١٨٤٢ ـ قطعة من الآثار تشير الى ملكة مصرية فى مدينة العمارنة . ولكن ليسبيوس لم يستطع معرفة شيء عن هذه الملكة فقد حاول ملوك وملكات مصر محو اسمها تماما كما فعلوا مع توت عنخ آمون .

وبقيت هذه الملكة الجميلة المجهولة اسطورة نحو نصف قرن حتى عرف أنها نفرتيتى زوجة امنحتب الرابع « اخناتون » .

اختلفت أقوال علماء الآثار عنها . . وتعددت آراؤهم .

قالوا انها :

ابنة أحد الكهنة

ابنة أحد الامراء الآسيويين من سوريا أو ارض كنعان ـ وعددهم ١٢٧ ـ الذين جاء بهم امنحتب الثانى الى مصر مقيدين بالسلاسل .

جارية نالت حريتها لجمالها .

وفى رأى الدكتور ثروت عكاشة فى كتابه « الفن المصرى » أنها محظية امنحتب الثالث .

أما دائرة المعارف البريطانية فقالت انها من ابوين مجهولين .

ولكن الصحفى الالمانى فيليب فاندنبرج قدم فى كتابه « نفرتيتى » الصادر عام ١٩٧٥ رواية اخرى مختلفة تماما .

قال ان اسمها الحقيقى تادو خيبا وهى ابنة تـوشرات ملك ميتـانى فى آسيا .

كانت جميلة تفيض بالشباب والحيوية ، وعلو الصدر ، وامتشـاق القوام .

وصفها اخناتون فقال انها « مليحـة المحيـا ، بهيجـة بتـاجها ذى الريشتين ، سيدة السعادة ، المتفضلة ، تلك التى اذا سمعها الانسان طرب ، سيدة الرشاقة ، ذات الحب العظيم ، تلك التـى يسر طبعهـا رب الارضين » .

قايضها أبوها أو باعها ـ وعمـرها ١٥ سـنة ـ بـالذهب ، لفـرعون مصر امنحتب الثالث ـ والد اخنـاتون ـ وكان فى الخمسـين مـن عمـره وصحته متدهورة .

دام زواجهما عامين توفى بعدهما الملك .

وجرت العادة فى مصر القديمة ان يتغير اسـم الاميرات الآسـيويات فأصبح اسمها نفرتيتى أو « الجميلـة القـادمة » أو « الجميلـة التـى ستجىء » أو « الجميلة أقبلت » .

***

فى ديسمبر عام ١٩٦٦ قام الـدكتور جيمس هـاريس مـن جـامعة ميتشيجان الأمريكية ، وكنت ويكس استاذ علم المصريات بفحص مومياوات ٢٠ فرعوناً و٧ ملكات بالأشعة فى المتحف المصرى لمعرفة سر الوفاة .

وجد العالمان ان امنحتب الثالث فقد كل اسنانه وكان مريضا للغاية ، وقدر عمره بين الخمسين والخامسة والخمسين .

* * *

أصبحت نفرتيتى - طبقا لرواية فاندنبرج - أرملة فى السابعة عشرة من عمرها تزوجها امنحتب الرابع - اخناتون - فى السنة الاولى لحكمة وكانت فى الثامنة عشرة .

بعث والدها ملك ميتانى الى الفرعون الجديد بالدوطة ، أو المهر ، وكان يضم ٣٠٠ خادم وممرضتين ، ومرضعتين ، و ٣٠ وصيفة ، و ٣٠ خادما ، و ٣٠٠ غلام .

وكانت لها خادمة تظل مستيقظة طوال الليل حتى تفتح الملكة الجميلة ذات الوجه الشاحب عينيها فتسرع بازاحة الستار ليدخل ضوء الشمس من النوافذ .

* * *

كانت نفرتيتى شديدة الاخلاص لزوجها تشاركة معتقداته وتعرف شخصيته أكثر من غيرها . . وتنشد بحماس ترتيلاته المفضلة :

« آتون المتألق الصافى القوى . ان حبك قوى وشامل » .

تنفر من اية تصرفات تنم عن التزلف والمداهنة وتعتبر نفسها ابنة الشعب وتود أن تبقى كذلك !

« وكانت موضع حب وتقدير كبيرين من جانب زوجها وظلت دائما بمثابة الضوء فى حياته

وكان لها تأثيرها الكبير عليه حتى اتهمه الكهان بالوقوع تحت سلطانها .

تعمقت فى الفلك والعلوم ، وملكت قلب زوجها ، واستولت على لبه ، وساعدته فى نشر مذهبه ، فكانت بمثابة القوة المحركة والدعامة القوية له » .

لم يتقيد أخناتون ونفرتيتى بالرسميات أمام الشعب ، فقد سمحا لنفسيهما بأن يرسما فى مواقف تسودها الصراحة التامة

كانا يستقبلان رجال البلاط وهما لا يلبسان الا القليل من الملابس ، « ويمصمصان » العظام أثناء تناول الطعام ، ويحتضنان ، أو يقبلان بعضهما ، سواء فى القصر أو فى العراء ، أو يداعب الملك احدى بناته وهى تجلس على ركبتيه .. على كرسى العرش !

وكان الزوجان يسيران فى الريف ، أو يتسلقان تلا ، وتصغى لكلماته وهو يعبر عما يدور فى عقله من أفكار عن الآله الشمس . وتعتبر نفسها أسعد نساء الأرض .

* * *

ولكن ساءت العلاقات بين أخناتون وزوجته فى السنوات الاربع الاخيرة من حياة اخناتون . وعاشت نفرتيتى فى عزلة بعد أن قام سمنخ كارع - ابن اخناتون - بمهمة الوصاية على العرش فى حياة أبيه .

وبعد وفاة اخناتون استمرت عزلة الملكة الارملة .

ولكن علماء آثار كثيرين قالوا أن نفـرتيتى نفسـها - وليسـت ابنتهـا عنخسن آمون - هى التى ارسلت الى ملك الحيثيين تطلب منـه ان يـوفد أحد ابنائه ليتزوجها فقد أرادت نفرتيتى ان تحكم مصر بعد وفاة زوجها . ولكن حورمحب قتل الامير القادم من بلاد خيتا .

وماتت نفرتيتى فى سن السابعة والثلاثين بعـد أن انجبـت ٦ بنـات عاشت ثلاث منهن .

ويقول الدكتور ثروت عـكاشة ان علمـاء البـاثولوجيا يشـكون فى ان اخناتون هو أب الاميرات الست !

أما فاندنبرج فينسب ثلاث منهن الى اخناتون .

دفنت نفرتيتى قرب قبر زوجها . ومقبرتها غنية بالرسوم والنقوش ، التى تغنى بمحاسنها ومديحها ... :

« وارثة كل البركات ، والمحبوبة التى تملك كل الحسن . ملكة الشمال والجنوب ذات الطلعة المتألقة بجمالها وجـواهرها ، المحبـوبة من آتون ، نبع الحب ، وزوجـة الملك الاثيـرة نفـرتيتى الخـالدة الى الابد » .

* * *

رأى الالمان الاستمرار فى التنقيب فى تل العمارنة بعـد ان عـرف كل شىء عن نفرتيتى .

تقدم لودفيج بورشارد المهندس الالمانى الى مصلحة الآثـار يـطلب ترخيصا بالتنقيب فى تل العمارنة باسم معهد الآثار الالمانى .

ولودفيج بورشارد ولد فى برلين وحصل على أكثر من درجة دكتوراة فخرية ، درس علم المصريات فى المانيا واشترك فى عمل كتالوج وقاموس بالالمانية والهيروغليفية للمتحف المصرى .

نقل للسلك الدبلوماسى ملحقا علميا للقنصلية الالمانية فى القاهرة . واشترك فى تأسيس معهد الآثار الالمانية بالقاهرة عام ١٩٠٧ وظل مديرا له ٢١ عاما .

اكتشف معبد الشمس فى أبو غراب وهرم أبو صير . ودرس الفن المعمارى المصرى القديم وهرب آثارا كثيرة من مصر قدمها لمتحف برلين .

ومات بورشارد فى باريس عام ١٩٣٨ فنقل جثمانه الى القاهرة ودفن فيها .

ولكننا نتوقف عند عام ١٩١٢ ـ لنجد بورشارد يقسم تل العمارنة الى قطاعات مساحة كل منها ٦٠٠ قدم مربعة ولكل قطاع حرف ورقم .

ويتكرر تماما ما حدث فى مقبرة توت عنخ آمون .

فى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ٦ من ديسمبر ١٩١٢ أسرع عامل اسمه « محمد » الى بورشارد يحمل رسالة من هيرمان رانكى الذى يشرف على الحفر فى القطاع رقم « ٤٧ ب » .

قالت الرسالة :

« تعال .. تمثال نصفى ملون » .

أسرع بورشارد ليجد رأس التمثال فى الرمال ، ووجهه الى الحائط .

أخرج التمثال بيديه فوجده من المصيص الملـون للملـكة الجميلـة ولكن انسان العين اليسرى كان ناقصا أو ضائعا . . او انه سقط !

رأى بورشارد ان يعيد تفتيش الرديم الذى كان فـوق التمثـال والـذى بلغ ارتفاعه ٣٠ قدما مكعبا وضع على سيارتى لورى ولكن لم يجـد رسـم إنسان العين ابدا .

وثار سؤال :

ـ ربما تكون نفرتيتى قد فقدت عينها اليسرى

ولكن تبين من تماثيل وصور كثيـرة ان نفـرتيتى احتفــظت بعينيهـــا الجميلتين حتى ماتت .

قال بورشارد : « الارجح ان الفنان تحتمس الذى وجد التمثال فى معمله كان متيما بنفرتيتى فلما هجرته رفض اتمام التمثال ، ربما ليمحـو الفكرة الشائعة عن جمال الملكة .

وهناك دليل على غضب الفنان . .

وجد تمثال نصفى آخر لا خناتون وقد تهشم الى قطع صغيرة يبـدو أن تحتمس قد القاه على الارض عمدا .

ويتدخل القدر بصورة غريبة لحفظ تمثال نفرتيتى .

كان التمثال موضوعا على رف خشبى فلمـا تآكل مـع الـزمن ســقط التمثال على أكوام من الرمال زحفت الى المعمل لتتلقى التمثـال وتحفـظه سليما .

أخذ بورشارد يعد تقارير عن روعة التمثال وبعد ان كتب عدة صفحات مزقها واكتفى بأن يقول : « لا فائدة من الوصف . لابد من المشاهدة » .

تقدمت البعثة فى ٢٠ من يناير ١٩١٣ تطلب نصف الآثار . وحددت نصيبها .

وكتب بورشارد الى جاستون ماسبيرو مدير مصلحة الآثار يقول ان ما وجدته البعثة لا يستحق التقسيم لانه مجرد قطع مكسورة يريد خبراء المصريات الالمان دراستها فى برلين .

رأى ماسبيرو ان الامر لا يستحق انتقاله شخصيا الى العمارنة فأوفد أحد مساعديه الذى لم يهتم بفحص الآثار ولم يجد فى القوائم التى أعدها بورشارد ما يستحق التفتيش والمراجعة والفحص بل وافق على تصديرها لالمانيا واحتفظ للمصلحة ببعض القطع المكسورة للدراسة فيما بعد .

وهكذا خرجت من العمارنة ٥ صناديق كان من بينها تمثال « المصيص الملون » كما سماه بورشارد بعد ذلك .

ويبدو أنه أخفيت معالم التمثال بالطين .

وربما تكون قد تمت رشوة بعض موظفى الآثار من الاجانب لتصديره خلسة .

أو لعل الفرنسيين امتنعوا عن التعنت مع الالمان بسبب التوتر القائم بين البلدين والذى ادى الى قيام الحرب بينهما بعد عام .

ايا ما يكون احد هذه الاسباب أو كلهـا مجتمعـة فـان تمثـال « المصيص الملون » أخذ من مصر وارسل الى المانيا عام ١٩١٣ .

* * *

اقامت البعثة الالمانية فى العام نفسه معـرضا فى بـرلين لعـرض مـا اكتشفته من اثار العمارنة .

ولكن تمثال المصيص لم يعرض . واكتفت البعثـة بـالاشارة اليـه باقتضاب فى دليل المعرض ونشرت صورة له لا تـظهر أيـا مـن عنـاصر الجمال فيه .

وتكرر الحذر فى التقرير الـذى اصـدرته ، فى العـام نفسـه ، « الجمعية الالمانية للدراسات الشرقية » عن الاثـار التـى تـم العثـور عليها .

صور وجه التمثال فقط وبحجم صغير . ولم تظهر صورة التاج الذى يعلو التمثال والذى كان من شأنه تحديد شخصية صاحبته .

وظهر التمثال فى برلين عام ١٩٢٠ دون أن تعرف مصر .

ولم يكشف بورشارد النقاب عن الشخصية الحقيقية للتمثال الا بعـد عشرة اعوام فى عام ١٩٢٣ فى ليبزج عندما نشر صورا ملونة متقنة واعلن أنه ليس تمثالا من المصيص لاحدى الاميـرات كمـا سـبق ان ذكر عـام ١٩١٣ . بل قال صراحة :

ـ هذا تمثال مصنوع من الحجر الجيرى وهو خاص بزوجة اخنـاتون .. الملكة نفرتيتى !

ثارت ضجة كبيرة فى جميع الدوائر العلمية والاثرية فى مصر ووضحت الجريمة المدبرة التى ارتكبتها البعثة الالمانية فلم تكن المسألة خطأ بسيطا بل كانت أخفاء متعمدا للشخصية الحقيقية لنفرتيتى .

* * *

وكان اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون فى نوفمبر ١٩٢٢

ثم عرض الالمان تمثال نفرتيتى على الناس عام ١٩٢٣ . فان الالمان وجدوا ان تمثال « حماة » الملك يمكن أن يمثل قوة جذب للسياح ، وتحقيقا للتوازن بين قدرة وكفاءة علماء الاثار الانجليز والالمان !

اخذت مصر تطالب بعودة نفرتيتى بعد أن حلت مشكلة اثار الملك توت .

وزادت الضغوط المصرية على المانيا والوزير الالمانى المفوض فى القاهرة فى وزارة عبد الخالق ثروت باشا عندما كان سعد زغلول يرأس مجلس النواب .

وكانت مصر ترى أن الحل الوحيد هو التحكيم بينها وبين المانيا .

كتب نيفيل هند رسون القائم بأعمال المندوب السامى البريطانى فى مصر الى حكومته فى ٢٦ من يونيو ١٩٢٧ يقول :

« سمحت الحكومة المصرية بنقل التمثال الى المانيا وفقا للعرف السائد فى ذلك الوقت والذى يقضى بتقسيم الاثار التى يعثر عليها بين الحكومة المصرية والمكتشفين » .

وقال :

« ليس هناك اعتراض او خلاف حول البيان الرسمى الذى صدر بشأن اقتسام القطع فالحكومة المصرية اعترفت بأن الرأس يخص المانيا من الناحية القانونية .

ولكن مصر تسعى الان لاستعادتها بحجة ان مثل هذا الاثر الذى يرجع تاريخه الى مصر القديمة لا مثيل له ويجب أن يبقى فى مصر

وتتم جميع هذه الضغوط بشكل غير رسمى .

ويدرك الوزير الالمانى المفوض فى مصر أن الامر سيطرح رسميا فى اسرع وقت ممكن

وسينصح حكومته بعدم الاستجابة لهذا الطلب أو قبول اقتراح التحكيم الا بعد معرفة الاراء الرسمية لكل من باريس ولندن وروما على الاقل .

ويشعر الوزير الالمانى فون شتوهور بأن هذا بالون اختبار أو تجربة اختبار جديدة . فاذا وافقت الحكومة الالمانية على هذا الامر فسيصبح باستطاعة الحكومة المصرية حينئذ المطالبة باستعادة قطع أخرى لا مثيل لها توجد حاليا بالمتحف البريطانى ومتحف اللوفر فى فرنسا » .

* * *

ومن هذه البرقية يتضح أن المطالبة برأس نفرتيتى خطوة للمطالبة باستعادة الآثار المصرية المسروقة فى فرنسا وانجلترا وايطاليا . . وأن المانيا تستعدى الدول الثلاث وتطلب تضامنها لمنع عودة نفرتيتى ، حتى لا تعود الى مصر باقى آثارها .

ويبدأ المتحف البريطانى يتدخل فى المشكلة مؤيدا للالمان .

قال فردريك كينيون مـدير المتحف فى رسـالة الى وزيـر الخـارجية البريطانية بتاريخ ١٩ من يوليو ١٩٢٧ انه ليس من حق مصر التـراجع عـن اتفاقها مع الالمان بتقسيم الآثار .

وأضاف :

« هذا التخصيص يمكن ان نعزوه الى وجود قدر كبير مـن المحـاباة فضلا عن قلة الخبرة وانتشار الفســاد بيــن بعض مــوظفى الحـــكومة المصرية . وهذا أمر خاص بهم وعليهم أن يتحملوا نتائجه .

والتبرير الوحيد الذى يقبله عقلى أنه يمكن المطالبة باستعادة التمثـال اذا كان الالمان قد لجأوا الى ممارسة نوع من الغش والخداع . بمعنى أن الرأس كان ملطخا بالطين ومر فى الجمارك على أنه قـطعة أثـرية محـدودة القيمة ولكنى لا اعرف شخصا موثوقا فيه يمكن ان يثبـت لى صـدق هـذه الرواية .

وأعتقد أن القول بأن مصر يجب أن تستعيد هذه القطعة لانها غيـرت رأيها وتراجعت هو قول يتعذر الدفاع عنه ولا ينبغى تأييده »

ونشرت الصحف الالمانية أن الحكومة الالمانية وافقت على قبول مبـدأ التحكيم فى قضية ملكية رأس الملكة نفرتيتى . وأن مصريا سيرأس لجنة التحكيم .

روعت وزارة الخارجية البريطانية وكتب وكيلهـا رونـالد لنـدساى الى السفير البريطانى فى برلين فى ٢٨ من ديسمبر ١٩٢٧

« يمكن أن تؤدى اثارة هذه المسألة من جديد الى سابقة غير مـرغوبة ولا مثيل لها » .

مات سعد زغلول فى ٢٧ من أغسطس ١٩٢٧ ولكن حركة المطالبة برأس نفرتيتى لم تمت . واستمرت مصر تطلب التحكيم . ويستمر التدخل البريطانى ، فان مخاوف الحكومة البريطانية لم تهدأ . . أبدا .

* * *

بدأت قضية نفرتيتى تصبح مجال نقاش ، وجدل ، فى الصحافة الالمانية فأوعزت الحكومة الالمانية الى الدكتور ديتريش أحد النواب باثاره الموضوع فى لجنة الميزانية بالرايستسلخ ـ مجلس النواب الالمانى ـ سأل وزير الخارجية عما اذا كانت المانيا تخضع لأى التزام باعادة التمثال الى مصر أو أن حكومة الرايخ قبلت مبدأ التحكيم .

رد وزير الخارجية قائلا :

ـ ان الحكومة رفضت التحكيم .

وقال الدكتور شوفر مدير متحف برلين للسفارة البريطانية ان التحكيم فكرة غير معقولة وقبولها من شأنه أن يعرض للخطر كل المجموعات المصرية والشرقية الاخرى فى العالم .

* * *

زاد الضغط على المانيا فأوقفت مصر عمل جميع بعثات التنقيب الالمانية .

ونشرت الصحف الالمانية انه ستجتمع لجنة من علماء المصريات فى برلين ، بحضور مندوب عن الحكومة المصرية لحسم الأمر فان مصر لم تكتشف اثرا أعظم من التمثال النصفى للملكة نفرتيتى .

وقالت الصحف البريطانية « حدث انزعاج بالغ فى برلين عندما عرف ان الحكومة المصرية ستطالب بالرأس .

وقال مسئول بإحدى الوزارات انه لن يتزوج مطلقا لانه وقع فى غرامها » .

كتب جون مورى رئيس القسم المصرى بوزارة الخارجية البريطانية الى مدير المتحف البريطانى فى لندن يوم ٢٠ من يناير ١٩٢٨ معلنا موقف الحكومة البريطانية الحقيقى من الازمة :

« ان الاعتراف بامكانية التحكيم يهدد استقرار جميع المقتنيات المصرية وغيرها من المقتنيات الشرقية فى العالم »

وقال الدكتور شوفر لممثلى السفارة البريطانية فى برلين انه يشك فى وجود مؤامرة محلية لاعادة التمثال . .

ومعنى هذه الكلمات أن المعارضة فى المانيا تحاول احراج الحكومة باعادة التمثال أو التهديد باعادته !

رأت مصر اغراء الالمان . .

عرضت استئناف عمليات الحفر والتنقيب فى مصر ومبادلة نفرتيتى بقطعتين كانتا موضع اعجاب كل زوار المتحف المصرى وهما تمثال رانوفر الشهير بالحجم الطبيعى من عهد بناة الاهرام ، وتمثال امينوفيس الجالس بالحجم الطبيعى الذى يرجع الى ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد تقريبا .

ولكن الالمان طلبوا قطعة أو قطعا أثرية ليست ذات قيمة فنية أثرية مماثلة فحسب وانما ذات شهرة عالمية مماثلة ايضا .

واعلنت سلطات متحف برلين أنـه اذا تمـت المبـادلة ، فـانهم ، حتى بدون رأس نفرتيتى . ، سيظلون يملكون أروع مجمـوعة فى اوربـا من آثار تل العمارنة القديمة .

وبعثت السفارة البريطانية فى برلين الى لندن يوم ١١ من ابريل ١٩٣٠ تقول :

« إن سلطات متحف برلين تتأهب لاعادة التمثـال النصـفى أو بـالاحرى لمبادلته مع قطع أثرية مصرية أخـرى . وأن الأمـر ـ على هـذا النحـو ـ وصل إلى درجة أن الدعاية المؤيدة للصفقة بدأت بشكل ملحوظ »

ونشرت صحيفة برلينرتاجيبلات مقالا يستعرض النزاع بيـن القـاهرة وسلطات متحف برلين ، باستفاضة كبيرة .

قالت الصحيفة إن المشكلة بدأت بعد أن أصـبح لاكو مـديرا عـاما لمصلحة الآثار . ففى محاولته الفاشلة لاستعادة التمثـال النصـفى قـرر لاكو أن يمارس ضغطا على برلين .

ووصولا إلى هذه الغاية بذل مساعيه لـوقف المـزيد مـن عمليـات التنقيب التى تقوم بها سلطات برلين .

وبعد فشله فى تحقيق أى شىء جدد لاكو مفاوضاته مع برلين فى أكتوبر الماضى ، بالاشتراك مع الوزير البروسى للتعليـم والـدكتور شـوفر مـدير المتحف المصرى فى برلين بشكل مباشر .

واقترح لاكو السماح لبرلين باختيار أى أثر من متحف القـاهرة عـوضا عن التمثال النصفى للملكة ، الذى تشتهيه .

فأقترح الوزير تمثال أمنحتب ابن حابو الذى اكتشف فى سقارة . والذى يعد ـ فى رأيه ـ تحفة فريدة بين أعمال الفن القديم .

واستطردت الصحيفة قائلة أن الدكتور جيمس سيمون ـ الذى مول أعمال التنقيب فى تل العمارنة والذى أصبح له بهذا الشكل بعض الحق فى أن يستشار ايد وجهة نظر الوزير بالاضافة ـ من باب أولى ـ إلى تمثال امينوفيس الذى عرضه لاكو .

ووفقا لما ذكرته الصحيفة فأن الأطراف توصلت الى اتفاق من حيث المبدأ .

وقال السفير البريطانى فى برلين السير هوارس رامبولد :

« لا يمكن نفى إمكان اقتراف الالمان لمثل هذا الخطأ الاثرى الفاحش ، بتبادل التمثال النصفى للملكة مقابل بعض قطع المتحف .

وقد يكون من قبيل التزامن المحض وصول وزير مصرى جديد هنا مؤخرا أعقبته مفاوضات ناجحة .

ومن الصعب التكهن بأى شكل من أشكال الضغط أو المغريات الأخرى ، التى تكمن وراء تجديد حق التنقيب ، التى كان بمقدوره تقديمها . وقد توصلت تحقيقات غير رسمية فى وزارة الخارجية إلى أن قبول هذه المفاوضات أصبح وشيكا

* * *

قررت مصر تعويض أسرة اللورد كارنارفون وظنت الحكومة أن ذلك يجعل متحف برلين أكثر مرونة .

وزار الملك فؤاد برلين فى اواخر عام ١٩٢٩ اثناء محـادثاته أشـار إلى تمثال نفرتيتى فوعده الالمان خيرا ولكن الوعد لم ينفذ .

جاء هتلر إلى الحكم مستشارا لالمانيا

فطلب حسن نشأت باشا وزير مصر المفـوض مـن صـديقه هيـرمان جورنج وزير الطيران إعادة تمثال نفرتيتى .

وقال حسن يوسف الذى كان سكرتير للمفوضية المصرية فى برلين إن الحكومة الألمانية وافقت فى مارس ١٩٣٤ على إعادة التمثال مقابل بعض التسهيلات لأعضاء البعثة الألمانية لاستئناف عملها فى التنقيب عن الآثار المصرية .

وأرسل نشأت باشا برقية تهنئة إلى الملك فؤاد . . ثم ارسل برقية إلى وزارة الخارجية المصرية . . لاتخـاذ الاجـراء الـلازم لاسـتقبال التمثال . . وتصادف وجود البارون « ابـرهارد فـون شـتوهور » وزيـر المانيا المفوض لدى الحكومة فى برلين فى تلك الفترة وعندما علم بموافقة حكومته على هذا السعى ابدى لنشأت باشا عظيم اغتباطه بهذا القرار .

وعندما اعتلى هتلر السلطة المطلقة أكد أن التمثال لن يعود إلى مصر لأنه - على حد قوله - يهيم به عشقا.

وروى محمد عوض القونى الملحق بالسفارة المصرية فى برلين ، ووزير السياحة المصرى فيما بعد ، أن هتلر .قال :

ملامح نفرتيتى آرية .

ورفض هتلر اعادة التمثال إلى القاهرة .

وقامت الحرب فحرص القسم المصرى فى متحف برلين على وضع كنوزه فى مكان أمين بعيدا عن القنابل والغازات . . ونقل تمثال نفرتيتى إلى منجم فحم فى ٢٨ من مارس ١٩٤٥ ، حتى وجده الجيش الأمريكى الثالث فى الشهر التالى ـ ابريل ١٩٤٥ ـ فى صندوق خشبى كتب عليه « تمثال الملكة متعددة الألوان » وذلك ضمن محتويات ١٥ متحفا ألمانيا كانت مخزونة .

وظهر التمثال بعد ذلك فى متحف « دالم » ثم نقل إلى متحف « شارلوتنبرج » .

وعادت مصر تطالب بنفرتيتى من المجلس الحاكم فى المانيا والذى يضم ممثلين عن جيوش أربع دول هى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا . .

كتبت المفوضية المصرية فى براغ الى المجلس الحاكم فى ١٤ من ابريل ١٩٤٦ :

« ظهر التمثال النصفى للملكة نفرتيتى من جديد فى المانيا قرب فيسبادن فى المنطقة التى تحتلها الولايات المتحدة .

وتقوم السلطات العسكريه الأمريكيه بحراسته فى الوقت الحالى .

وتعاطف العالم أجمع مع الجهود التى بذلتها مصر لاستعادة هذا التمثال الذى حاز إعجاب العالم والذى يعد أحد روائع الفن المصرى القديم .

وقد ظل هذا التمثال المصرى الهام فى المانيا عندما دخلتها قوات الحلفاء . رغم أنه يعد كنزا مسروقا من مصر ولا يستطيع أحدا انكار حقها فيه .

ويظهر الموقف الـذى إتخـذه رئيس البعثـة - دون أى إحتمـال للشك - الرغبة فى إخفاء الشخصية الحقيقية لصاحبة التمثال إلى الـوقت الذى يمكن فيه الكشف عنها دون مشاكل كثيرة .

ولم تكن مصر لتسمح قط بالتخلى عن قطعة أثرية هامة من هذا القبيل ليس لها نظير فى المجموعات التى يقتنيها متحف القاهرة .

ورغم كل ما بذلته مصر من جهود كانـت تصـطدم دائمـا بـرفض الحكومة الالمانيه خاصة وأن الحكومة المصريـة ليسـت لـديها وسـيلة للحصول على حقها .

والان لم يعد لهتلر وجود ولم تعد إرادته قـانونا كمـا كان الأمـر مـن قبل .

ولم يعد هناك مايعوق وضع حد لهذا النهب القائم على الخداع الذى تم إقراره بالقوة .

وأصبح من الواجب الأن أن تعود هذه القطعة الأثرية إلى مصر التى لم تتخل عنها وإلى أنسب مكان يمكن أن توضع فيـه وهـو المتحف المصرى حيث يعكف الباحثون على دراسته مثل باقى القطع الهامة التـى تنتمـى إلى العصر نفسه والموجودة هناك .

ومن شأن إعادة التمثال رفع الظلم الذى وقع على مصر وسيكون لذلك معنى إخلاقى عظيم بالنسبة للجميع وسيلقى ترحيبا فى عالم الفن والادب وكذلك لدى الرأى العام وجميع دول العالم .

ولا تشك حكومة مصر أيضا أن المجلس الحاكم فى المـانيا سـيكون

كريما بما فيه الكفاية وسيقوم بأتخاذ الاجراءات التى يراها ضرورية لاعادة هذا التمثال إلى مندوب الحكومة المصرية الذى سيصل بدون تأخير »

ولكن مجلس الحلفاء ـ الذى يمثل السلطة العليا فى المانيا ـ إعتذر عن إعادة التمثال قائلا فى رده على مصر يوم ٨ مارس عام ١٩٤٧ .

« إن المجلس يبحث إستعادة الأعمال الفنية التى إغتصبها الالمان أثناء الحرب الأخيرة طبقا لاعلان الأمم المتحدة الصادر فى ٥ من يناير ١٩٤٣ وكأوصياء على أعمال فنية كانت فى حيازة الالمان عند بداية الحرب .

إن الحكومة العسكرية الرباعية الألمانية هيئة تعنى بتحقيق أهداف محددة نتجت عن الهزيمة الساحقة لألمانيا وهى ليست السلطة المناسبة للتعامل مع القضايا المتعلقة بمنقولات ذات قيمة ثقافية متنازع عليها قبل الحرب .

ولا ننصح ـ بأى وسيلة ـ بإهمال الحجج الوجيهة التى وردت فى رسالة الحكومة المصرية ولا بإصدار حكم فى هذه القضية الهامة .

ونقترح الانتظار حتى تتم إعادة تكوين حكومة ألمانية مختصة وعندها يمكن رفع الأمر إلى مثل هذه الحكومة » .

* * *

وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وجدت فى قصر الملك فاروق العصا المطعمة بالماس للفيلد مارشال الألمانى فون بروشتش فعرضت مصر على الألمان مبادلة العصا بتمثال نفرتيتى ولكن الألمان رفضوا .

وعاد التمثال يحتل مكانه فى متحف برلين فطلب الألمان الشرقيون الحصول عليه لأن متحف برلين الأصلى كان فى القسم الشرقى من المدينة ولكن الألمان الغربيين سخروا من هذا الطلب العجيب .

ونشر الكاتب الألمانى جيرت فون باسنزكى مقالا فى صحيفة « دى زيت » يوم ٢١ من ابريل عام ١٩٧٨ بأن هناك احتمالا لعودة التمثال إلى مصر .

ولكن الفكرة تغيرت بعد ذلك فقيل إن التمثال سيعرض بالتبادل فى برلين والقاهرة ولكن الدكتور يواكيم كاريج من متحف برلين نفى أن التمثال سيغادر ألمانيا قائلا : « هناك خطورة من تصدعه نتيجة اختلاف المناخ » !

ونسى الدكتور كاريج أن التمثال صنع فى مصر وبقى فيها حتى سرق منها ونقل إلى ألمانيا !

. . . وعلى أية حال فإن مصر توقفت عن المطالبة برأس نفرتيتى .

كادت الصفقة أن تتم

إستقال اللورد اللنبى من منصب المندوب السامى البريطانى فى مصر ووصل اللورد جورج لويد إلى القاهرة فى ٢١ من أكتوبر عام ١٩٢٥ ليشغل هذا المنصب ، وذلك بعد عشرة أيام من فتح التابوت الأول لتوت عنخ آمون .

وكان اللورد لويد حاكما لمقاطعة بومباى فى الهند ، وعضوا فى مجلس العموم عن حزب المحافظين .

وقد رفض أن يقدم أوراق إعتماده للملك فؤاد .

وأختلف مع السيد جيوفرى أرشر حاكم السودان العام فاستقال الحاكم العام .

وفرض اللورد آراءه على ملك مصر ورئيس وزرائها . ولكنه كان ملزما برأى لندن فى عدم التدخل المباشر فى أمر المقبرة ، وترك لحكومة مصر أن تتخذ وحدها القرار .

كان أول مافعله أحمد زيور وإسماعيل سرى نقل التابوت الذهبى الذى أحتوى مومياء الملك والقناع الذهبى أيضا فى صالون الحق بالقطار القادم من الاقصر يوم أول يناير عام ١٩٢٦ .

وصحب التابوت والقناع هوارد كارتر والفريد لوكاس مدير معامل الكيمياء .

ولكن كانت هناك حراسة مشددة .. مصرية .

وبعد خمسة أيام - يوم ٦ من يناير - توجه مجلس الوزراء بكامل هيئته لزيارة آثار صاحب الجلالة داخل المتحف المصرى ليستمع الجميع إلى شرح كارتر ولاكو عن أهمية هذه الآثار وأن ثمن التابوت الذهبى يصل إلى ٥٠ ألف جنيه .

وقد ظل أحمد زيور رئيسا لوزراء مصر منذ ٢٤ من نوفمبر عام ١٩٢٤ حتى ٧ من يونيو عام ١٩٢٦ .

وإشترك حزب الأحرار الدستوريين فى هذه الوزارة وكانت جريدة السياسة - الناطقة باسم الحزب - قد أيدت على نحوما كارتر ضد سعد زغلول وقالت أن دخول زوجات العلماء الأجانب إلى المقبرة لايمثل خطرا على المصالح الوطنية أو إهدارا للكرامة الوطنية .

ومع ذلك فان حزب الأحرار - لم يستطع وهو فى الوزارة - أن يمنح أرملة اللورد نصف آثار المقبرة ، أو الآثار المكررة .

ولم يحاول إسماعيل سرى باشا خلال ١٥ شهرا أمضاها وزيرا للأشغال فى وزارة زيور التسليم فى آثار توت عنخ آمون كما فعل بالنسبة لباقى آثار مصر خلال ال ١٢ عاما التى أمضاها من قبل فى منصبه .

وعندما أستقال زيور خرج من الوزارة إلى الأبد إسماعيل سرى باشا !

جرت الانتخابات فى مصر ففاز الوفد ، ولكن اللورد لويد أصر - وأيدته لندن - على منع سعد زغلول من تشكيل الوزارة فألفها عدلى يكن فى ٧من يونيو عام ١٩٢٦ بتأييد من سعد زغلول وأغلبية البرلمان الوفدى .

ولكن طرأ تغيير ضخم فى لندن .

بعد وفاة اللورد كارنارفون بأربع سنوات بيعت قطع الآثار التى يملكها لمتحف متروبوليتان فى نيويورك .

والقصة وراء هذه الصفقة غريبة للغاية .

فى عام ١٩٢٦ عرض ورثة كارنارفون كل مجموعته الأثرية للبيع بمبلغ ١٤٥ ألف دولار وهو رقم ضخم بأسعار تلك الأيام .

وكان اللورد قد عدل وصيته فى أيامه الأخيرة - قبل وفاته - فى فندق الكونتننتال بالقاهرة ، وسجل التعديل فى القنصلية البريطانية .

وفى هذا التعديل أوصى اللورد لزوجته الليدى المينا بكل ثروته من الآثار ولذلك أقامت الدعوى ضد مصلحة الآثار المصرية للمطالبة بنصيب اللورد فى مقبرة توت عنخ آمون .

وقد تزوجت المينا - ٤٧ سنة - فى السنة نفسها التى توفى فيها اللورد ، من ضابط برتبة كولونيل اسمه أيان أوريسلاو دينسنيتان ، مطلق ، يصغرها بأربع سنوات .

ولم يشهد حفل الزواج سوى إبنتها التى تزوجت فى العام نفسه أيضا من محامى الأسرة بروجراف كامبل بوشان .

وقد أنشأت الأرملة دارا كبرى للتمريض يدفع الغنى للعلاج مبلغا طائلا ، والفقير يعالج مجانا .

وأوصى لابنه اللورد كارنارفون الخامس بالضيعة والقصر . وقد

رفض الإبن الحديث عن المقبرة أو توت عنخ آمون خوفا من لعنة الفراعنة .

وكان نجما من نجوم المجتمع البريطانى يحب النساء والخيل ويهوى الصيد فهو من الرماة الممتازين يطوف بمجتمعات الأثرياء الأوربيين فى بادن بادن ودوفيل ومونت كارلو .

تزوج مرتين ودام زواجه الأول ١٤ سنة أما زواجه الثانى فكان من راقصة نمسوية عاش معها ثمانى سنوات وانتهى أيضا بالطلاق .

وظل باقى حياته عزبا رغم أن اسمه ظل يرتبط بانتظام باسم زوجة محتملة أو باخرى ! وقد تقاعد فى سن السبعين ومات فى ٢٢ سبتمبر عام ١٩٨٦ .

وقد أوصى اللورد كارنارفون ـ الأب ـ بإهداء قطعة أثرية للمتحف البريطانى وأخرى لمتحف أشموليان فى اكسفورد وقدح من الزجاج الأزرق لمتحف المتروبوليتان .

وقالت الوصية إن تحف اللورد تعرض للبيع أولا على المتحف البريطانى فأذا وافق على الصفقة يحذف من الثمن مبلغ عشرين ألفا من الجنيهات . وإذا رفض المتحف البريطانى الشراء تعرض الصفقة على متحف المتروبوليتان فى نيويورك على أن يتولى التفاوض وتحديد السعر هوارد كارتر .

نفذت الوصية بطريقة حرفية شكلية .

توجه أحد المحامين فى الصباح إلى مدير المتحف البريطانى وعرض عليه الصفقة وثمنها على أن تتم العملية قبل الرابعة مساء .

وكان اللقاء فى العاشرة صباحا .

ولم يستطع مدير المتحف الحصول على موافقة مجلس الأدارة خلال تلك المهلة القصيرة .

ولذلك بيعت المجموعة ـ بعد ٤ سنوات من وفاة اللورد ـ لمتحف المتروبوليتان طبقا لاتفاق سرى ـ على الأرجح ـ بين البائع والمشترى ! وهو المليونير ادوارد هارينكس رئيس مجلس أوصياء المتروبوليتان « وملك » السكك الحديدية فى الولايات المتحدة الذى وقع عقد الشراء باسم المتحف الأمريكى ، وكان الثمن ٥٠ ألفا من الجنيهات الاسترلينية .

أهتزت بريطانيا لأن الصفقة الثمينة خرجت من إنجلترا . وقال السير فردريك كينيون مدير المتحف البريطانى إن المتحف لم يمنح الفرصة أبدا . . للشراء !

وكانت الصحف البريطانية قد حذرت من أن التحف ـ وهى أكبر مجموعة مصرية يمتلكها بريطانى ـ ستباع للخارج لأنه لاتوجد وصية حاسمة بضرورة بقائها فى بريطانيا .

* * *

وكان ضياع هذه التحف ، وفيها آثار مصرية كثيرة حافزا يدعو الانجليز لبذل كل الضغوط للحصول على مافى مقبرة توت عنخ آمون من الآثار المزدوجة .

مات سعد زغلول فى ٢٧ من أغسطس ١٩٢٧ ولكن الوفد إستمر يؤيد وزارة عبد الخالق ثروت - الذى خلف عدلى - حتى أستقال فألف الوزارة مصطفى النحاس الذى خلف سعد رئيسا للوفد .

وكان عثمان محرم وزيرا للأشغال فى وزارات عدلى وثروت والنحاس .

لم تتغير مشاعر كارتر نحو المقبرة رغم تغير الظروف السياسية وتعاقب رؤساء الوزارات المصرية .

إستمر يرمم ، ويحفظ ، وينقل محتويات **الغرفة الرابعة** والأخيرة .

الغرفة الأخيرة ، وقد سميت الملحق ، وكانت مخزنا للدهون والزيوت والخمور والأطعمة . وبين خليط أكوم السلال والأوانى الملقاة على الأرض يقوم كرسى العرش .

* * *

جاءت الوزارة الرابعة برئاسة محمد محمود باشا فى ٢٥ من يونيو ١٩٢٨ .

كان محمد محمود باشا من أغنياء مديرية أسيوط . والده محمود سليمان باشا وكيل الجمعية التشريعية وصديق اللورد كرومر .

درس التاريخ فى كلية باليول بانجلترا . وعمل مفتشا بوزارتى المالية والداخلية واشتغل سكرتيرا لمستشار الداخلية البريطانى ماتشيل .

عين مديرا للبحيرة ثم أنضم للوفد عام ١٩١٩ ونفى مع سعد زغلول الى مالطه ثم اختلف مع سعد .

انضم لحزب الاحرار الدستوريين وأصبح وكيلا له .

اختير وزيرا للمواصلات ثم المالية مع الوفد فى الوزارات الائتلافية أعوام ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ فى وزارات عدلى يكن وعبد الخالق ثروت ومصطفى النحاس

وأغراه الملك فؤاد على التآمر ضد مصطفى النحاس فاستقال مع زملائه أعضاء حزب الاحرار فانهارت الوزارة واستقال النحاس وتولى محمد محمود رئاسة الوزارة لأول مرة .

بدأ عهده بحل البرلمان ووقف العمل بالدستور وحكم بسلطات مطلقة غير دستورية فيما عرف باسم « حكم اليد الحديدية » . وعقد اتفاقية مياه النيل مع بريطانيا فى ٧ من مايو ١٩٢٩ وبذلك تحققت المادة السادسة من الانذار البريطانى لسعد زغلول عقب اغتيال السردار .

وبهذه الاتفاقية فصلت أعمال الرى فى السودان عن وزارة الاشغال المصرية . وفقدت مصر حقها الثابت فى السيطرة على مياه النيل .

وفى ظل هذه الوزارة التى تحكم بدون برلمان بدأت أرملة اللورد وكارتر والمتحف البريطانى يتحينون الفرص للانقضاض على آثار توت عنخ آمون .

ومن جديد تردد السؤال المثار منذ ٤ من نوفمبر عام ١٩٢٢ أى منذ اكتشاف المقبرة . .

أن ٧ رؤساء وزارات فى مصر هم عبد الخالق ثروت ، وتوفيق نسيم ، ويحى ابراهيم ، سعد زغلول ، وأحمد زيور ، وعدلى يكن ، ومصطفى النحاس ، لم يفرطوا فى آثار الفرعون الطفل

بعضهم أضاع السودان وبعضهم أهدر الدستور فهل يفرط محمد محمود فى هذه الاثار بعد أن فرط فى مياه النيل ..

أم أن لهذا الفرعون سحرا وسرا أخر يمنع التفريط فى آثاره ويبقيها لمصر ؟

وصلت إلى مصر ارملة اللورد كارنافون للتفاوض مع الحكومة المصرية لتصفية موضوعين :

الاول : الحصول على نسخ من الأثار المزدوجة .

الثانى : الحصول على كل ما أنفقه اللورد من اموال فى عمليات الحفر .

ولكن مباحثات السيدة المينا لم تصل إلى نتيجة .

وجاء كارتر الى القاهرة ليطالب الحكومة المصرية بأن تدفع له مبلغ ٧٥ ألف جنية عن عمليات التنقيب عن الاثار وترميمها ونقلها .

وطالت المفاوضات حول ما يريده كارتر والعروض المضادة التى قدمها رئيس وزارء مصر .

ويلتقى كارتر بأحد رجال المندوب السامى البريطانى فيشكو اليه روح المساومة التى يتميز بها محمد محمود باشا .

وينقل الحديث إلى اللورد جورج لويد المندوب السامى البريطانى الذى يرى أن الفرصة قد واتته اخيرا ليتدخل فى أمر المقبرة بعد ان ظل يكتفى ـ مرغما ـ بموقف المتفرج .. عن بعد . ويسارع اللورد بالكتابة إلى لندن قائلا أنه « علم بطريقة الصدفة ، بالمفاوضات السرية » .

وتبلغ وزارة الخارجية المتحف البريطانى الذى يرى أن فرصته حانت ليحل محل الليدى المنيا وكارتر للحصول - بدلا منهما - على النسخة المكررة أو المزدوجة من آثار المقبرة طبقا لقانون الاثار الصادر عام ١٩١٢ وعقد التنقيب الاصلى .

تكتب الوزارة والمتحف إلى المندوب السامى البريطانى فى مصر الذى يصبح طرفا فى كل المباحثات

ويرفض كارتر تدخل المندوب السامى البريطانى أو مساندته كما كان يتوسل ويرجو حينا ويصر ويلح حينا آخر خلال أزمته مع سعد زغلول ومرقص حنا قبل خمس سنوات من عام ١٩٢٤ ويصر كارتر قائلا :

إن تدخلكم سيؤخر حصولنا على أى مبلغ .

ولكن المندوب السامى البريطانى يصر على التدخل ويبلغ كارتر بذلك فيضطر - آسفا - الى القبول

وافق على التدخل السير او ستين تشمبرلين وزير خارجية بريطانيا الذى يتولى المنصب منذ ٦ من نوفمبر عام ١٩٢٤ والذى رأى عدم التدخل فى أعقاب استقلال مصر لأن الوقت غير مناسب وحتى لا تتهم بريطانيا بالانتهازية .

وجد السير اوستين تشمبرلين ان هذا أو ان الانتهازية والتدخل فمحمد محمود يحكم بلا برلمان ولا سند له الا الملك والانجليز ، ومقبرة توت حافلة بالأثار ولا يضر مصر أن « تفقد » القطع المكررة .. كما أن الضجيج حول المقبرة قد هدأ ولم يعد الشعب يتابع آثارها بنفس اللهفة القديمة !

ويلتقى اللورد جوريج لويد بمحمد محمود باشا .

قال المندوب السامى :

- كارتر يطالب ب ٧٥ ألف جنية .

رد محمد محمود :

- أفكر فى ان أعرض عليه مبلغا يتروح بين ٣٠ و ٤٠ ألف جنية .

سأله اللورد :

- وماذا عن القطع المزدوجة .

رد محمد محمود :

- الحكومة المصرية ليست مستعدة تحت أى ظروف لاقتسام أى من القطع المكررة مع المينا أرملة اللورد . تشعر الحكومة بقناعة لها ما يبررها أنه سيتم - دون خجل - طرح هذه القطع للبيع فى الاسواق .

ويكتب جورج لويد إلى لندن :

« كارتر يرى الرأى نفسه ولكنه يسعى إلى عمل كل ما يستطيعة لخدمة المينا ولخدمة نفسه بدون شك .

ولذلك طلب تعويضا ماليا مرتفعا يعادل التضحية التى أقدم عليها بالتخلى عن نصيبه من القطع الأثرية المكررة » .

* * *

وقال اللورد جورج لويد يوم ١٦ من أبريل ١٩٢٩ فى برقية إلى حكومتة .

« تفكر الحكومة المصرية فى منح كارتر مبلغ ٣٠ ألف جنية فقط .

« من حق المتحف البريطانى ومتحف المتروبوليتان الحصول على بعض الأثار المكررة طبقا لما أعلنه وزير الاشغال المصرى عام ١٩٢٤ وتقدر قيمة هذه الأثار بمبلغ ٥٠ ألف جنية »

وقال اللورد جورج لويد إن تمثال الملك الذى يأمل المتحف البريطانى فى الحصول عليه فى ظل الترتيبات الحاضرة لا يساوى أكثر من ٢٥٠ جنيها .

وهكذا بدأت بريطانيا تطالب ببعض الأثار المكررة للمتحف البريطانى ولمتحف المتروبوليتان الامريكى بالاضافة إلى المبلغ الذى يطالب به كارتر وهو ٧٥ ألف جنية .

وتوجه كارتر لمقابلة السير اوستين تشمبرلين وزير خارجية بريطانيا يوم ٣ من مايو ١٩٢٩ وطلب منه مساعدته لدى الحكومة المصرية للحصول على مبلغ ال ٧٥ ألف جنية .

قال له الوزير :

ـ لا أعتقد ـ مما سمعت ـ أن لديك فرصة للحصول على هذا المبلغ . ولكنى مستعد للمساعدة فى أية خطة تؤهل المتحف البريطانى للافادة من هذا الموقف .

وأضاف الوزير :

ـ تطالب أرملة اللورد كارنارفون ببعض الأثار المزدوجة طبقا للرسائل المتبادلة بينها وبين الحكومة المصرية

وقال :

- ارجو اقناع الليدى بالتخلى عن هذا المطلب فى الوقت الحاضر لأن مصر لن تستجيب لها . ولنـدع المتحف البـريطانى يحـل محلهـا فى المطالبة بهذه الآثار .

وفى مقابل ذلك فانى سأبذل جهدى لحث الحكومة المصريـة على أن تدفع لك كل ما انفقته .

ورغم أنى لست مفوضا بذلك بل عندى فكرة أن الحكومة البـريطانية ربما تدفع لك هذا المبلغ .

وأنى أتوقع أن أسمع فى أية لحظة عـن مـوقف الحـكومة المصريـة بالنسبة لكارتر وأحقيته فى التعويض العادل .

ووافق كارتر على وجهة نظر الوزير بأن يحصل المتحف البريطانى - بدلا من أرملة اللورد - على الآثار ثم سافر إلى القـاهرة حيـث التقـى بالمندوب السامى البريطانى وأكد له مرة أخرى تـأييده لسياسة الحـكومة بالنسبة للقطع الأثرية .

* * *

ويلتقى المندوب السامى البريطانى بمحمد محمود باشا رئيس وزراء مصر يوم ١٠ من مايو ١٩٢٩ ويضغط عليه .

قال رئيس الوزراء :

- سأكون كريما فيما يتعلق باهداء النسـخ المـكررة مـن الأثـار للمتحف البريطانى . ولكنى لن أهـدى قـطعة واحـدة إلى جهـات خاصة .. أى كارتر أو أرملة اللورد كارنافون .

وقال رئيس الوزراء

ـ لا نستطيع أن نهدى قطعا وندفع مالا .

طلب رئيس الوزراء من المندوب السامى أن يعد بيانا بالقطع المكررة تبحثه الحكومة ثم تقرر الهدية بعد ذلك .

حاول المندوب السامى البريطانى معرفة المبلغ الذى ستدفعه مصر لكارتر فلم يحدد رئيس الوزراء الرقم وقال إنه ربما يكون ٣٥ ألفا من الجنيهات .

* * *

طلب المندوب السامى البريطانى إلى كارتر البقاء فى مصر لاعداد قائمة الأثار .

وأصر اللورد على الحصول على القطع المزدوجة بتقديم اغراءات مالية لحكومة مصر .

قال لرئيس الوزاراء :

ـ يمكن رفع الحرج عن الجميع وتحقيق فائدة للمتحف البريطانى إذا وضع المتحف البريطانى محل كارنافون عند أختيار القطع التى يتم التنازل عنها للمتحف .

وفيما يتعلق بالتعويض المالى أقترح دفع المبالغ الزائدة التى أنفقها كارنافون والتى تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ ألف جنية أسترلينى وترك المتحف البريطانى الذى سيحصل على النسخ المكررة يدفع نحو عشرة آلاف جنية أخرى أو أكثر قليلا .

ويكتب المندوب السامى إلى لندن :

« وافق محمد محمود بسهولة على أن تصبح القطع من نصيب المتحف البريطانى ولكنه لا يزال متشددا تجاه حصة كل جانب من التعويض فهو يرى أنه لا يمكن أن يتخلى عن قطع مكررة من الأثار ، ويدفع تعويضا فى الوقت نفسه » .

وتراود الاحلام اللورد جورج لويد ورجال المتحف البريطانى فى الحصول على قطع كثيرة من أثار توت عنخ آمون .

* * *

تغيرت الوزارة فى بريطانيا فى ٥ من يونيو عام ١٩٢٩ .

عاد حزب العمال مرة أخرى إلى الحكم برئاسة رامزى ما كدونالد ، ولكنه لم يتول وزارة الخارجية بل أسندت إلى احد قادة الحزب وهو آرثر هندرسون .

ولم ير العمال هذه المرة ما يدعوهم إلى عدم الحصول على آثار المقبرة أو الامتناع عن التدخل كما كان حال العمال مع سعد زغلول فى فبراير عام ١٩٢٤ .

أن « انتهازية » العمال هذه المرة لا تقل عن انتهازية المحافظين ! .

* * *

أستمر اللورد جورج لويد فى مهمته .

حدد القطع التى يريدها فى برقية إلى لندن فى ١٦ من يونيو ١٩٢٩ ، بعد ١١ يوما فقط من وزارة ماكدونالد .

قال المندوب السامى

« لا يمكن اعداد قوائم كاملة الا بعد نقل القطع الباقية من الاقصر إلى القاهرة .

وأعتقد أننا نستطيع الحصول على بعض القطع الجيدة ويقدر ثمنها هنا بما يتراوح بين ٣٠٠ و ٥٠٠ جنية للقطعة الواحدة والاقواس والعصى والشيلان بالاضافة إلى التمثال الخشبى للملك الذى كنا سنحصل عليه على أية حال .

وهذه القطع هى :

١ ـ أحد التماثيل الذهبية الخاصة لطير جارح يمكن أن يساوى حوالى عشرة آلاف جنية وهو أحد ثلاثة تماثيل لا تزال موجودة فى المقبرة بالاقصر ومن المؤكد أنها جميعا متشابهة .

وأذا كان الامر كذلك بالفعل فاننا سنطلب من محمد محمود منحنا نسختين تخصص أحداهما لمتحف المتروبوليتان .

٢ ـ أريكة محاطة بأوارق الذهب لا بالذهب الصلب ولكنها تتطابق مع نسخة أخرى معروضة حاليا بالمتحف المصرى .

٣ ـ عقد مصنوع من المينا الحمراء والصفراء والذهب .

٤ ـ لوحة صغيرة للعبة الشطرنج مع القطع التابعة لها .

٥ ـ نسخة أو نسختان ـ من التماثيل الذهبية للخدم .

وأفضل شىء يقوم به مندوب من المتحف يحضر إلى مصر فى نوفمبر حيث سيكون من الممكن التعرف على القطع التى توافق الحكومة المصرية على التنازل عنها باعتبارها نسخا مكررة .

وكأسلوب تكتيك نصحت محمد محمود خلال حديث لى معه أن يبعد عن ذهنه الاعتقاد القائل بأن المتحف البريطانى فى سبيله لشراء هذه القطع . . »

إن اللورد أراد الحصول مجانا على كل ، أو بعض ، ما يبقى من الآثار !

* * *

كادت الصفقة أن تتم . .

ولكن يتدخل عامل غريب لانقاذ الأثار من براثن الانجليز .

توقفت المفاوضات بسبب سفر الملك فؤاد إلى برلين ولندن وتبعه محمد محمود إلى انجلترا قاصدا التفاوض لعقد معاهدة بين مصر وبريطانيا .

وبعد أسبوعين فقط قامت أزمة حادة بين آرثر هندرسون وزير الخارجية البريطانى واللورد جورج لويد فأبرق اليه فى ٣ من يوليو يستدعيه إلى لندن .

سافر اللورد فى ١١ من يوليو واجتمع بوزير خارجيته فى ٢٣ من الشهر نفسه فطلب اليه الاستقالة .

واضطر اللورد إلى تقديم الاستقالة .

وجاء السيربرسى لورين مندوبا ساميا إلى مصر فى ٢ من سبتمر ١٩٢٩ فوجد عهد اليد الحديدية يتهاوى فأوحى الى رئيس الوزراء يوم اول اكتوبر ١٩٢٩ بالاستقالة فاستقال بعد ٢٤ ساعة !

وتولى عدلى يكن باشا رئاسة وزارة انتقالية أجرت الانتخابات ففاز الوفد .

وكان كارتر ينهى عمله فى المقبرة . وبدأ بيير لاكو يسترد نفوذه الـذى ضاع فى عهود الوزارات التى تقف مع الملك والانجليز .

* * *

قال بيير لاكو مدير مصلحة الاثار لكارتر :

ـ يجب أن تسلم المفـاتيح إلى مفتش الاثـار المحلى . ولا تـدخل المقبرة دون أذنه .

قال كارتر :

ـ دعنى أفكر .

وبعد ٢٤ ساعة أعتذر كارتر عن العمل فطلب منه بيير لاكو أن يسلمه مفاتيح المقبرة فسلمها على الفور .

توجه كارتر إلى دار المندوب السامى البريطانى الجديد يشكو همـومه فى أخر يوم من أيام عام ١٩٢٩ .

وبدت التعاسة على وجهه ـ وهو يصـف أحـزانه لـرجال المنــدوب السامى البريطانى ـ كما ابرقوا إلى لندن .

وضاعف من الامه أن الجنرال روبرت هاتشنسون أحد الاوصياء على ثروة اللورد كارنارفون زار مصر دون ابلاغه فقـد عـرف بـوصوله مـن الصحف !

رغم ذلك بقى كارتر فى مصر بهذه الشروط التى كان يعتبـرها ، عـام ١٩٢٤ ، مهينة !

اللصوص

اكتشفت فى يوليو عام ١٩١٤ مقبرة فى منطقة تعرف باسم (جبانة القرود) قرب الأقصر . .

ولكن لصوص الآثار من قرية الفرنة تسللوا إلى المقبرة وسرقوها . .

أما حصيلة السرقة فهى ٢٢٥ قطعة أثرية معظمها مجوهرات لثلاث أميرات من أسرة تحتمس الثالث وقيل أنهن زوجات الملك .

وكانت المجوهرات مقسمة فى ٣ مجموعات كل منها لزوجة . . أو أميرة .

واتفق اللصوص على ألا يبيعوا الصفقة دفعة واحدة . بل تباع بالتدريج ، ولأكثر من مشتر ، حتى يمكن الحصول على أكبر ثمن بعيدا عن مصلحة الآثار .

ولكن « كارتر » ظهر فى الصورة . .

أتصل عام ١٩١٧ بمدير متحف المتروبوليتان أثناء أجازة فى لندن واتفق على طريقة لخداع لصوص الآثار ومساومتهم . . والاقبال على الشراء مرة ، ورفض الشراء مرة آخرى ، وزيادة الثمن ، ثم تخفيضه ، على أن يشترك فى تقديم العروض أحد رجال المتحف فى مصر .

ويقدم كارتر عرضا ثانيا .

ويقدم اللورد كارنافون عرضا ثالثا ويدعى الثلاثة أن كلا منهم يعمل لحسابه .

ولكن الحقيقة أن الجميع كانوا يعملون باتفاق كامل ويريدون شراء ال ٢٢٥ قطعة لحساب متحف المتروبوليتان .

ولأهمية الصفقة . . وخطورتها أيضا ، فان المفاوضات وعملية الشراء استمرت ٥ سنوات كاملة من عام ١٩١٧ حتى مارس عام ١٩٢٢ حتى نجح متحف المتروبوليتان فى استكمال الحصول على كل القطع بمبلغ ٥٣٣٧٩ جنيها استرلينيا أى ٢٥٦,٣٠٥ آلاف دولار بسعر التحويل فى ذلك الزمان وهو مبلغ يعادل - الآن - أكثر من ٤ ملايين دولار .

وحصل كارتر على جزء من الربح وعمولة بلغت ٤٠ ألف جنيه .

لم يدرج متحف المتروبوليتان تلك الصفقة فى دفاتره إلا عام ١٩٢٦ وبعبارات غامضة لأن الأثار هربت من مصر .

وتعتبر هذه المجموعة أغلى ما حصل عليه متحف المتروبوليتان من الأثار المصرية فى ذلك الحين .

هذه القصة التى رواها توماس هوفنج فى كتابه عن توت عنخ آمون تبين الصلة المشبوهة بين كارتر ومتحف المتروبوليتان فى نيويورك ، والمعاملات السرية بينهما للاستيلاء - بأية طريقة - على بعض أثار مصر .

وكان اللورد كارنارفون يعلم بالصفقة ، وقيمة العمولة التى حصل عليها كارتر ، وربما يكون ذلك أحد الأسباب التى دفعت اللورد للموافقة على تمويل عملية الحفر والتنقيب للبحث عن مقبرة الملك توت فى السنة الأخيرة التى أدت إلى الكشف .

وإذا كانت هذه أول العمليات المريبة المعروفة التى قام بها كارتر فى مصر فأن هناك عمليات أخرى عرفت فيما بعد .

سافر كارتر إلى لندن ثم الولايات المتحدة يوم ٢١ من مارس ١٩٢٤ بعد اغلاق المقبرة والغاء الترخيص .

بعد سفره شكلت مصلحة الأثار لجنة برئاسة لاكو تضم أربعة من مفتشى المصلحة للتفتيش على محتويات المقبرة والمقابر المجاورة التى اتخذت مخازن لأثار الملك توت بعد ترميمها وتضنيفها .

دخلت اللجنة المقبرة مساء يوم ٣٠ من مارس فأخذت فى فتح الصناديق التى وضعت فيها الأثار تمهيدا لشحنها إلى القاهرة .

راجعت اللجنة الصناديق لتجدها مطابقة لما سجله كارتر عن محتويات المقبرة .

ولكن اللجنة وجدت صندوقا خشبيا كتب عليه « نبيذ أحمر » يبدو أنه كانت بداخله زجاجات نبيذ اشتراها ، أو استوردها ، كارتر ومجموعته .

فتحت اللجنة ، بطريقة الصدفة ، الصندوق ، لتجد بداخله شيئا ملفوفا بالقطن والورق بعناية بالغة لحمايته - عند النقل - من الكسر .

وجد بداخل الصندوق رأس خشبى يقترب حجمه من الحجم الطبيعى ، مغطى بغلاف رقيق وطلى برقة بالغة .

« كان الرأس الخشبى اعجوبة من أعاجيب النحت القديم . يكاد ينطق ويتنفس . الوجه شديد الوسامة ذو الشفاه الحساسة ، والعيون الواسعة الصافية الداكنة السواد .

كان الوجه لصبى فى التاسعة أو العاشرة من العمر . وبرز الرأس من قاعدة صغيرة محفورة عليها رسوم لأوراق زهور اللوتس النيلى الزرقاء المقدسة .

وكان الصبى مرسوماً على أنه الاله الشمس ، ينطلق من الزهرة التى كانت أول ما نبت فى بحيرة الخلق ، وفقا لمعتقدات قدماء المصريين .

وأوحت القوة والثقة فى الوجه بأنه أكثر من مجرد صبى كان ملكا باعتباره الاله الشمس الذى يفسر واحدا من أقدم النصوص التى تقول :

« هو الذى يبرز من زهرة اللوتس على التل العالى والذى يضىء بعينيه الارضين ».

كان ، دون شك تمثال توت عنخ آمون .

أيقظ « الريس حسين » رئيس عمال الحفر لدى كارتر .. وينلوك من نومه فى منتصف الليل ليبلغه بما اكتشفته لجنة الأثار من محاولة سرقة رأس توت عنخ آمون .

بعث وينلوك إلى كارتر فى أمريكا ببرقية بالشفرة المتفق عليها بينهم ، وهى الأرقام بدلا من الكلمات .

قالت البرقية :

« عثرت البعثة الحكومية خلف المقبرة الرابعة على رأس منحوت وهى قطعة أثرية رئيسية ولكنها غير مصنفة .

تكون لدى البعثة انطباع سىء .

تم ابلاغ ذلك إلى سعد زغلول برقيا . وأرسلت بالقطار إلى القاهرة .

لحمايتكم قام لاكو وانجلباك بأيهامهم أنكم قمتم بشرائها لحساب اللورد كارنارفون فى العام الماضى - ١٩٢٣ - من آثار اخناتون .

ونحن لا نعلم ما إذا كانوا قد صدقوا ذلك فعلا .

أرسل جميع المعلومات التى يمكنك ارسالها المتعلقة بأصل القطعة إن أمكن .

واذكر فى خطابك الاجراءات التى تشير علينا باتخاذها ».

ولم يحاول بيير لاكو ورجاله اثارة فضيحة لأسباب كثيرة فقد خافوا أن تتحول قضية المقبرة من خلاف محدود إلى مشكلة سياسية ضخمة وأن تتهم كل البعثات العلمية بسرقة الأثار فتتوقف عمليات الحفر والتنقيب نهائيا .

ومن ناحية أخرى فأن الجميع كانوا فى حاجة إلى كارتر ليحفظ ويرمم الأثار

* * *

ويبقى بعد ذلك سؤال هام . .

هل كان كارتر حسن النية فى حبه لأثار مصر ، ومقبرة توت عنخ آمون . وهل وهب حياته للعلم فحسب ؟ . .

* * *

إن كارتر دخل مقبرة توت عنخ آمون سرا مع اللورد كارنارفون وابنته الليدى ايفلين ليلة الكشف .

وكانت المقبرة بكل ما فيها ملكا خاصا لهم فى تلك الليلة قبل تدخل مصلحة الأثار .

ومهما بلغت رقابة المصلحة ورجالها على كارتر فانه ظل المسئول الأول عنها منذ ٢٦ من نوفمبر ١٩٢٢ حتى ١٣ من فبراير ١٩٢٤ وهناك أدلة ومستندات محفوظة فى متحف متروبوليتان فى نيويورك تبين ماذا فعل كارتر . . وماذا أخذ كارتر من المقبرة .

* * *

كتب آرثر ويجال عالم الآثار اليهودى الذى استقال من عمله كمفتش للآثار فى ظروف غامضة رسالة تحذير إلى كارتر يوم ٢٥ من يناير ١٩٢٣ محفوظة فى متحف متروبوليتان فى نيويورك عن اغلاق المقبرة فى وجه الصحفين والزائرين .

وآرثر ويجال يعرف ـ نتيجة ماضيه ـ كيف تسرق الآثار .

فى هذه الرسالة قال :

« ألا تدرك أن الوطنيين المصريين يقولون أن لديك الفرصة لسرقة ملايين الجنيهات من الذهب ».

وكرر ويجال الاتهام نفسه عندما التقى بكارتر فى وادى الملوك .

ولم يكتف ويجال بذلك بل أنه قدم يوم ٣ من فبراير ١٩٢٣ مذكرة إلى موريس اموس المستشار القضائى البريطانى للحكومة المصرية !! اشار فيها إلى احتمال قيام كارنارفون وكارتر بسرقة آثار المقبرة .

قال ويجال فى مذكرته التى تنبأ فيها بكل ما جرى :

« انهم رفضوا دخول كل من يحق لهم رؤية المقبرة .

واضطروا للزحف فى ارجاء الاماكن بأفواه مغلقة بطريقة سخيفة تبعث على الارتياب .

وخلقوا في انحاء مصر انطباعا بـانهم يحـاولون الحصـول على بعض الأثار لبيعها فى الخارج » .

وفى تقرير كتبه جلين السكرتير بدار المندوب السامى البريطانى يوم ٧ من فبراير ١٩٢٣ قال أن العلاقة بين اللورد كارنافون وانجلباك كبير مفتشى الأثار بالوجه القبلى كانت سيئة للغـاية . فقـد مـلأت الأقصر ـ بعـد اكتشاف المقبرة ـ اشاعات تقول ان اللورد كارنارفون اعتزم فتح الحجـرة الداخلية للمقبرة سرا دون انتظار من مصلحة الأثار ، وهو التصريح الذى يتطلبه ترخيص التنقيب .

وصلت هذه الشائعات إلى انجلبـاك فـرأى اتخـاذ الاحتيـاطات اللازمة .

وقف ـ بصفة دائمة ـ على باب المقبرة فى ساعات العمـل . وكان يزحف داخلها كل نصف ساعة ليراقب ما يجرى .

وضاق اللورد كارنارفون بهذا التجسس وبالطريقة الفظة التى يتصرف بها انجلباك وإن كان اللورد فى الوقت نفسه يعتـرف بحـق مفتش الأثـار فى ذلك .

وختم جلين تقريره قائلا :

انجلباك عنيد للغاية .

وفى الاجتماع الذى جرى بين اللورد كارنارفون وعبد الحميد سليمان باشا عندما كان وكيلا لوزارة الاشغال فى فبـراير ١٩٢٣ ، طلـب اللـورد صراحة ابعاد انجلباك من الأقصر وقال عنه :

ـ أنه مزعج ملعـون . وليس لبقـا . اسلوبه عـدوانى . يتجسس على العاملين معى طول الوقت .

وقد أصر على الوقوف داخل المقبرة وبذلك يعوق العمل ويزعج الرجال الذين يقومون بمهمة دقيقة .

واحتد اللورد وهو يقول :

ـ لن استطيع الاستمرار فى العمل طالما بقى انجلباك فى منصبه .

واقترح وقف العمل حتى يتم ابعاده .

رفض لاكو مدير مصلحة الأثار ذلك . وأيده عبد الحميد سليمان باشا .

ومن هذا كله يتضح أن هناك شكوكا قوية فى قيام اللورد وكارتر بسرقة ، أو بمحاولة سرقة ، بعض آثار الملك توت .

ويضاف إلى ذلك ما قاله توماس هوفنج عن دخول كارنارفون وكارتر المقبرة سرا مساء ٢٦ من نوفمبر ١٩٢٢ عند اكتشاف المقبرة .

ويؤكد هوفنج فى كتابه أن كارتر وكارنارفون سرقا سرا من مقبرة توت عنخ آمون ١٧ قطعة . . وصلت متحف المتروبوليتان فى نيويورك .

وقال لى هوفنج أن ادواردز أمين القسم المصرى فى المتحف البريطانى أبلغه أنه مقتنع بأن كارنارفون وكارتر سرقا آثارا من مقبرة توت عنخ آمون .

وقال لى هوفنج ان اللورد وكارتر فى ليلة ٢٦ من نوفمبر دخلا حجرات المقبرة الاربع دون ابلاغ الحكومة المصرية واستوليا على ما استطاعا من الآثار .

وذكر هوفنج فى كتابة القطع المسروقة ، وقد رأيتها فى المبنى الذى انشأه متحف المتروبوليتان للآثار المصرية .

وقد عرض المتحف هذه القطع فى غرفة خاصة قال المتحف انها تمثل أواخر عصر الاسرة الثامنة عشرة . ولم يذكر المتحف أنها من آثار الملك توت عنخ آمون بالذات .

وللتمويه وضع المتحف داخل هذه الحجرة الآثار التى وجدها المليونير الامريكى تيود وردافيز والتى ساعدت كارتر على اكتشاف المقبرة .

* * *

وحدد هوفنج فى كتابه ـ صراحة القطع المسروقة التى عرف بأمرها ـ وهى :

* خاتمان من الخزف الازرق .
* اثنان من المسامير الفضية من تابوت الملك .
* قلادة أنيقة قصيرة وعرضية من الخزف .
* دمية من البرونز اتجه رأسها الى الخلف كما لو أنها تستمع لنداء مفاجىء من سيدها .
* خاتم من الذهب عليه اسم توت عنخ آمون .
* مقبض مروحة ذهبية .
* صولجان مرصع بقطع من العقيق الاحمر .
* حلى على هيئة شارات عسكرية . زخارفها دقيقة لا يمكن رؤيتها دون اجهزة تكبير مما يدل على الجهد الذى بذل فيها
* ملء فنجان من سائل التحنيط المجفف .
* قطعتان من الخشب المطلى من المعبد الرابع

* قطعة من النسيج البالى من الكفن الملكى .
* منسوجات فى جوال ضخم .
* قطعة من حجر الكوارتز مأخوذ من التابوت ذى اللون الوردى .
* جرو برونزى صغير رائع .
* صندوقان من العاج لادوات التجميل .
* تمثال من العاج لكلب يجرى وفكه متحرك وتتدلى من عنقه قلادة .

* إناء فاخر للعطور من الالباستر طوله ٣ بوصات ويعتبر قطعة نادرة من الفن المصرى ، وتزين الاناء صور رائعة لفتيات رقيقات فوق زهرة لوتس .

* قطعتان فنيتان عبارة عن وجه ألوان وآخر للكتابة . . والاثنتان من العاج . وتحمل احداهما فرشتين من الغاب .

* لوحة لغزال أفريقى ارتفع ٦ بوصات رسمت على العاج فى دقة بالغة .

* لوحة لحصان منحوته على العاج الملون . عينا الحصان من العقيق الأحمر . ولكن سقطت احدى العينين .

والحصان يبدو اشبه بطائر ضخم يحلق فى الهواء بحركة رشيقة .

ولقد سجل متحف المتروبوليتان فى وثائقه أن بعض هذه الآثار من مقبرة توت عنخ آمون .

وسجل المتحف بالنسبة لبعضها أنها اشتريت عام ١٩٢٦ وهذا غير حقيقى . . وللتمويه .

وفى احدى رسائل « كارنارفون » المحفوظة فى لندن والتى بعث بها إلى « كارتر » قال يصف له لوحة الحصان : « أعجب الجميع باللوحة التى اشتريتها من القاهرة . وقالوا انها من الأسرة ١٨ وأنه لابد عثر عليها فى سقارة .

وكان اللورد يقصد التمويه فان ملوك مصر لم يستعملوا سقارة مقرا للحكم منذ الأسرة الخامسة أى قبل ألف سنة من عصر توت عنخ آمون » .

والمقصود بشراء اللوحة من سقارة .. التمويه أيضا ..

وتسربت بعض آثار توت عنخ آمون إلى متاحف أخرى مثل ٤ تحف اشتراها متحف بروكلين فى نيويورك من ورثة اللورد كارنارفون بعد وفاته .. مما يدل على أن اللورد أخذها من القبر .. وأحتفظ بها حتى مات .

ووجدت ٤ تحف من آثار توت عنخ آمون فى متحف بروكلين فى نيويورك وهى :

* فتاة دقيقة الحجم من العاج تقف على قاعدة من الخزف الأزرق .
* قلادة عريضة من الخزف الأزرق .
* ملعقة دهان دقيقة منحوتة من العاج .
* زهرية صغيرة من الزجاج الأزرق .

وقد اشتريت هذه التحف من وسيط فى لندن اشتراها من ورثة هوارد كارتر .

وحرص المتحف سنوات طويلة على اخفاء مصدر هذه التحف ، ولكن أمين القسم المصرى - جون كونى - ذكر فى دليل المتحف عام ١٩٤٨ على الأشارة - تلميحا - إلى هذه القطع باعتبار أن لها صلة مبهمة بهوارد كارتر وتوت عنخ آمون ومقبرة ملكية هامة من الأسرة الثامنة عشرة .

سئل أحد موظفى القسم المصرى عام ١٩٧٨ عما إذا كانت هذه الآثار جاءت من مقبرة توت عنخ آمون فقال :

- وهل هناك مصدر آخر ؟

ويعتقد جون كونى الذى أوصى بشراء القطع الأربع أنها من ذلك الكنز العجيب . . أى مقبرة الملك .

ويقول « توماس هوفنج » ان هذه الآثار تشبه فى أسلوبها وتصميمها ورقتها آثار المقبرة .

واشترى ثرى أمريكى اسمه جينول تحفة عن طريق وسيط فى نيويورك وهو جوزيف برامر حصل عليها من ورثة كارتر .

وهذه التحفة عبارة عن تمثال جرادة عاجية صغيرة بلغ من دقتها أن الحشرة تبدو وكأنها على وشك الطيران .

وقد أقرضها صاحبها لمتحف المتروبوليتان منذ عام ١٩٤٧ حتى الآن . ولا تزال تعرض فى المتحف وأن كانت ملكيتها رسميا لجينول وورثته .

وتحتفظ ٣ متاحف أمريكية أخرى ببعض آثار توت عنخ آمون .

* فى متحف سنسناتى نمر رائع من البرونز بعيون من حجر الكوارتز الشفاف العديم اللون يبحث عن فريسة وقد رفع ذيله إلى أعلى فى حـذر . وأدار رأسه الجميل جانبا .

* وفى متحف الفن بولاية كليفلاند توجد تعويذة صغيرة على شـكل قطة منحوتة من حجر الهيماتيت الأسود .

* وفى قاعة وليم روكهيل نلسون « بكانساس سيتى » تـوجد قـطع من الذهب المطعم من قلادة ملكية اشتريت بواسطة جون كونى أيضا .

وهاتان القطعتان أهداهما كارتر لطبيب أسنانه وقال له إنهما جاءتا من المقبرة . وقد باع الطبيب القطعة الذهبية لوسيط فى لندن .

وهناك ٦ قطع أخرى نقلها كارنارفون وهوارد كارتر من القبر ولكنها لم تترك مصر .

إحدى هذه القطع :

* حلية ذهبية تزين الكتف يـظهر فيهـا الملك الشـاب منـدفعا إلى الأمام فى عربته الحربية وقد تحلى جزئيا بوشاح من الـذهب الخـالص بـدا كما لو أن بذورا ذهبية دقيقة قد نثرت عليه .

وقد أهداها الملك فاروق للمتحف المصرى بالقاهرة قبل شهور مـن عزله .

والأرجح أن كارنارفون أخذها من القبر وأهداها للملك فؤاد .

* * *

وقد أنكر متحف المتروبوليتان منذ البداية حصوله على قطع من آثار توت عنخ آمون .

بقيت نقطة هامة ، وهى اخطر ما يتعلق بهذا الكشف .

يوم افتتاح المقبرة بعث مراسل صحيفة التايمس من الاقصر يقول انه وجد فى المقبرة صندوقا ملىء « بلفات » من الورق ستكشف عن معلومات تاريخية ضخمة .

وقد نشرت هذه البرقية فى صحيفة التايمس البريطانية والنيويورك تايمز الامريكية .

وفى اول ديسمبر عام ١٩٢٢ أى بعد ثلاثة أيام من افتتاح المقبرة رسميا كتب اللورد كارنارفون رسالة الى ارنست واليس بادج أمين القسم المصرى بالمتحف البريطانى قال فيها :

« وجدنا ابرز اكتشاف عرف فى مصر والعالم وجدنا صناديق لم افتحها بعد . ولكن يوجد فيها بعض أوراق البردى ، واقداح ، ومجوهرات ، وباقات زهور ، وشمعدانات كل هذا فى الغرفة الامامية بالاضافة الى مواد اخرى كثيرة لا نستطيع رؤيتها » .

نشر بادج هذه الرسالة فى كتاب اصدره عام ١٩٢٣ ، بعد وفاة اللورد ، وأهداه اليه وعنوانه « توت عنخ امون . الامونية . الاتونية . والوحدانية المصرية »

واشار السير بادج الى احتمال اكتشاف اوراق بردى فى المقبرة . وقال :

« ربما يكون اللورد قد حصل من المقبرة على معلومات تضاعف مانعرفه عن توت عنخ آمون ، فاذا كان قد فعل ذلك فانه لم ينشر مالديه » .

وادلى السير الان جاردنر بحديث لصحيفة التايمس يوم ٤ من ديسمبر قال فيه .

« ان اهتمامه الاول ينصب بصفة خاصة حول صندوق اوراق البردى الذى وجد فى المقبرة » .

وقال جاردنر انه لايعرف ما اذا كانت هذه الاوراق مجرد كتاب الموتى « الذى يوجد فى كل المقابر ام لا » ؟

ومن هذا يتضح ان اللورد وجد اوراق البردى داخل المقبرة طبقا لرسالته الى السير بادج وكتاب امين القسم المصرى بالمتحف البريطانى . . لأن اللورد رأى ابلاغ المتحف بكشفه الخطير .

ورغم ذلك فان اللورد وكارتر اعلنا انهما لم يجدا فى المقبرة ورقة بردى واحدة ، كما لم يجدا « كتاب الموتى » .

وفى كتاب «البحث عن ذهب توت عنخ آمون» تساءل الصحفى الأمريكى ارنولد براكمان عما إذا كان اللورد وكارتر قد صادرا هذه الأوراق. فإن كل ما قاله اللورد، فى رسالته أنه اكتشفه فى المقبرة، وجد فعلا فلماذا اختفت أوراق البردى بالذات وما الذى يمكن أن يكون فيها من معلومات يهم اللورد وكارتر عدم إعلانها ؟»

الموضوع الوحيد هو العلاقة بين توت عنخ امون والنبى موسى عليه السلام وهل كان توت عنخ امون ، هو الفرعون الذى تم فى عهده خروج اليهود من مصر .

هناك عدة مدارس ، أو عدة اراء فى هذا الشأن . وهذا جانب منها :

الأول يقول ان اليهود خرجوا من مصر فى عصر رمسيس الثانى اثناء الاسرة التاسعة عشرة أى بعد عصر توت عنخ آمون .

والثانى يقول انهم خرجوا فى عصر ميرنبتاح الذى خلف رمسيس الثانى .

والثالث يقول ان اليهود طردوا من مصر فى اواخر عصر توت عنخ آمون بواسطة قائده حور محب الذى اعلن نفسه بعد ذلك فرعونا لمصر ، وصاحب هذا الرأى هو العالم والصحفى ارثر ويجال الذى تابع اكتشاف المقبرة فى الأقصر .

وينادى بهذا الرأى ايضا عالم النفس سيجموند فرويد .

والرابع يقول إن اليهود طردوا فى اوائل عهد الاسرة الثامنة عشرة ، لا فى أواخرها أى قبل توت عنخ آمون .

والخامس يرى ان اليهود لم يغادروا مصر دفعة واحدة بل غادروها خلال فترة ربما امتدت مائتى عام طبقا للفرص التى اتيحت لهم وعلى أساس حركات الشعوب وهجرتها .

وفى ظل هذه النظرية يكون توت عنخ آمون أحد الفراعنة الذين شهد عصرهم جانبا من خروج اليهود من مصر .

والخامس يرى ان اسم زوجة فرعون التى راودت سيدنا يوسف يشابه اسم زوجة توت عنخ آمون وربما تكون هى نفسها .

واذا كان كارنارفون وكارتر قد عثرا على أوراق تكشف الحقيقة فما

هى ياترى ، ولماذا اختفت الاوراق كل هذه المدة ، وهل أعدمت لما فيها من اسرار .

ولن تظهر الحقيقة الا من خلال اثار أخرى ، وأوراق بردى ربما تكون مدفونة -حتى الان - فى قلب الأرض المصرية تكشف عن هذه النقطة الغامضة وتزيح الستار عن سر وفاة توت عنخ آمون صغيرا .

وعلى اية حال فان توت عنخ آمون فرض انتصارا ضخما على مصر والعالم .

كانت له حياة أخرى بعد حياته الاولى ، وتحققت بالحرف الواحد الكلمات التى وجدت على تابوته ، والتى تقول :

« رأيت الأمس ، وعرفت الغد » . !

حتى الملكة تنحنى !

عاد الوفد برئاسة مصطفى النحاس إلى الحكم يوم أول يناير عام ١٩٣٠ .

كان النحاس فى الرابعة والخمسين من عمره . تخرج فى مدرسة الحقوق وعين قاضيا . بدأ حياته السياسية فى الحزب الوطنى . وإشترك فى ثورة عام ١٩١٩ ثم إنضم للوفد . نفى مع سعد زغلول إلى جزيرة سيشل عام ١٩٢١ وعاد إلى مصر بعد الافراج عن سعد عام ١٩٢٣

إختاره سعد وزيرا للمواصلات فى يناير ١٩٢٤ ومنحه الملك فؤاد رتبة الباشوية .

وعاد إلى المحاماة بعد إستقالة الوزارة فى نوفمبر . وترافع عن أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى أمام محكمة الجنايات فى قضية الاغتيالات السياسية التى حكم فيها ببراءة الوزيرين الوفديين السابقين .

أختير وكيلا ثانيا لمجلس النواب عندما كان سعد رئيسا للمجلس

وبعد وفاة سعد أنتخب رئيسا للوفد ورئيسا لمجلس النواب .

تولى رئاسة الوزارة لأول مرة ٣ شهور عام ١٩٢٨ وأقاله الملك أحمد فؤاد .

وعاد رئيسا للوزراء بعد فوز الوفد فى الانتخابات فعين بهى الدين بركات وزيرا للمعارف الذى أصبحت تتبعه مصلحة الآثار .

كان محمد بهى الدين بركات فى التاسعة والثلاثين . درس القانون فى مصر وفرنسا . وعمل قاضيا بالمحاكم الوطنية والقضاء المختلط .. وتولى منصب وكيل وزارة العدل .

وكان سعد زغلول خال أبيه فتح الله بركات باشا .

رأى الوفد أن ينهى - إلى الأبد - موضوع مناصفة آثار المقبرة بقانون يقره مجلس النواب بحيث يتعذر على أية وزارة ، بعد ذلك ، أن تفرط فى قطعة واحدة من آثار توت عنخ آمون .

وقدم محمد بهى الدين بركات وزير المعارف مذكرة إلى مجلس الوزراء يوم ٣٠ من مارس ١٩٣٠ قال فيها :

« أسفر التنقيب عن إكتشاف مقبرة توت عنخ آمون التى حوت من نفيس التحف الأثرية ماكشف عن صفحة مجيدة من تاريخ مصر القديم . وأضاف إلى كنوز المتحف المصرى أكبر ذخر تركه الماضى للحاضر .

وإتجهت نية الحكومة طورا إلى أن تجامل عائلة اللورد كارنارفون بمبلغ من المال ، وطورا إلى أن تمنح الحكومة العائلة جمعا مختارا ذا قيمة من الأشياء المزدوجة التى لايترتب على إخراجها من المجموعة ضرر علمى .

ومنذ حين طلبت عائلة كارنارفون أن تبت الحكومة فى تعويضها عما إحتملته من النفقات والمتاعب .

وقدرت النفقات بمبلغ ٤٢,٩٣١ جنيها حسبما هو مفصل فى دفاتر المستر كارتر الذى قام بالتنقيب . . منها مبلغ ٧٩٦٠ جنيها يوازى مااحتمله متحف نيويورك الذى عاون فى أعمال التنقيب .

وترى وزارة المعارف العمومية أن المنقبين أهل لان يكافأوا على ماتحملوه من المتاعب والنفقات .

ولاترى النظر فى مكافأتهم بمجموعة من التحف المكتشفة . ولو أمكن الاستغناء عن بعضها بلاضرر علمى ، فإن الأليق بمصر أن تحتفظ بمجموعتها الفريدة وأن تصونها من التجزئة .

ولهذا السبب تقترح وزارة المعارف أن يكافأوا خصوصا وأن نصف هذه النفقات صرف فى ترميم وإصلاح وربط ونقل ماإستخرج من التحف الأثرية . وهذا الترميم لم يكن واجبا على المنقبين بمقتضى الاتفاق ولكنهم تطوعوا به مجرد تطوع .

يضاف إلى ذلك أن الحكومة طلبت إلى المنقبين الاذن للجمهور بزيارة المقبرة أثناء مواسم العمل فى سبع سنين متوالية . فتضاعف زمن التنقيب وزادت النفقات .

ويلاحظ فوق ماتقدم أن اكتشاف المقبرة زاد فى إيرادات مصلحة الآثار ونشط السياحة إلى مصر مواسم متعددة .

وبما أن مجموع النفقات قد بلغ ٤٢,٩٣١ جنيها إحتمل منها متحف نيويورك مايساوى مبلغ ٧٩٦٠ جنيها . لهذا تقترح وزارة المعارف إرجاء النظر فى أمر المبلغ الأخير وأن يفتح إعتماد بمبلغ ٣٤,٩٧١ جنيها » .

بحثت اللجنة المالية الوزارية مذكرة المعارف فى إجتماع تم يوم أول أبريل . أى بعد يومين برئاسة محمود فهمى النقراشى باشا وزير المواصلات ، الذى كان يتولى فى ذلك الوقت منصب وزير المالية أيضا بالنيابة بدلا من مكرم عبيد باشا لسفره للخارج .

قررت الموافقة على الاعتماد ورفعت الأمر إلى مجلس الوزراء الـذى وافق عليها يوم ٣ من أبريل . وأحيـل إلى مجلس النـواب مشروع قـانون بفتح إعتماد بمبلغ ال ٣٤,٩٧١ جنيهـا يصرف كمنحـة لـورثة اللـورد كارنارفون .

فقرر المجلس بجلسة ٧ من أبريل أحالته إلى لجنة المـالية والتجـارة والصناعة .

ناقشت اللجنـة المشروع فى ٣ جلسـات عقـدتها فى ١٤ و ٢٨ أبـريل وأول مايو ١٩٣٠ وقررت وقف نظر المشروع حتـى تقـدم وزارة المعـارف الأوراق الدالة على أن الورثة قبلوا المبلغ .

عرض تقرير اللجنة على مجلس النـواب يـوم ٦ مـن مـايو ١٩٣٠ لمناقشته فقال بهى الدين بركات باشا وزير المعارف :

« خصص لآثار توت عنخ آمون جناح خاص فى دار الآثار المصريـة وربما كانت أجمل جناح فى الدار .

وطلبت الليدى كارنارفون أعطاءها أشياء من التحـف .

ودارت مخابرة مع وزارة سابقة فرأينا من الأنسـب أن نعـوض الـورثة مالا .

وفعلا تكلمنا معهم فلم يحددوا مبلغ التعويض .

وهم لاينازعون الان فى أخذ هذا المبلغ على سبيل المنحة .

وقلنا للجنة المالية لمجلس النـواب أضـيفى مـاتشائين مـن الشروط حتى لايكون فى هذا العمل أدنى مسئولية على الحكومة .

وعندما تقول لنا اللجنة أين المكاتبات فنحن نقول لاتوجد مـكاتبات

وغاية الأمر أننا نقبل كل الشروط التى تراها اللجنة » .

قال عضو مجلس النواب حسين هلال بك :

- طلبت اللجنة تفصيلات من الوزارة . وتعيد إليها الموضوع ولانريد رفضه بل نريد بحثه .

قال رئيس مجلس النواب ويصا واصف بك :

- وزير المعارف يقول لاتوجد مكاتبات

قال الدكتور زكى ميخائيل :

- تريد اللجنة أن تستوثق هل حددت عائلة كارنارفون هذا المبلغ أم لا

عبد العزيز الصوفانى : يعاد الموضوع إلى الوزارة بدون ابداء رأى من المجلس حتى يمكن بحثها

راغب أسكندر : القصد إعطاء المجلس سعة من الوقت لدرس الموضوع

ويصا واصف بك : أنا مش فاهم طالبين أيه

محمد زغلول باشا : أحنا عاوزين مدة طويلة

الرئيس : تعاد إلى اللجنة مرة ثالثة .

* * *

عقدت اللجنة المالية إجتماعا رابعا فى ٣ من يونيه وعرض الموضوع على مجلس النواب للمرة الثانية فى ٥ من يونيه ١٩٣٠ فتلا ميخائيل غالى مقرر اللجنة تقريرها وقال بعد أن شرح قصة الحفريات :

أن الحكومة المصرية كانت مستعدة دائما للنظر فى أمر المنقبين بعطف ورعاية .

بعد فتح مقبرة توت عنخ آمون تبين أنها ليست من المقابر التى يحق للمرخص له أن يستولى على جزء من محتوياتها . وليس للمنقبين الحق فى أى شيء من محتويات المقبرة وبالتالى لايكون لهم أى حق فى تعويض ما .

غير أن اللجنة ترى الموافقة على الاعتماد المطلوب على إعتبار أنه هبة ومنحة لاحق

حسن يس أفندى - وزارة المعارف العمومية غير ملزمة وكان اللورد كارنارفون من المولعين بإستكشاف الآثار فضلا عن أنه كان يملك ثروة طائلة حتى أن الاسطبلات التى يملكها تشبه القصور العامرة ، وأظن أن ورثته ليسوا فى حاجة إلى مثل هذا المبلغ الذى له قيمة كبيرة فى الوقت الحاضر .

محمود سليمان غنام أفندى - على أى أساس تم تقدير هذا المبلغ ؟

بهى الدين بركات باشا - قدر هذا المبلغ على أساس المصاريف التى أنفقها اللورد والليدى كارنارفون فى سبيل الوصول إلى هذه المكتشفات ، وصيانتها ، ونقلها ، وكانا ينقلان هذه المكتشفات على حسابهما الخاص بطريق السكة الحديد المصرية ، كما أن نفقات ترميم هذه الأشياء كانت تدفع من مالهما الخاص .

محمود سليمان غنام افندى - أشيع وقت العثور على هذه المكتشفات أن بعضها تسرب إلى الخارج فهل تحققت الوزارة من عدم صحة هذه الاشاعة ؟

. ميخائيل غالى مقرر اللجنة - بحثت لجنة المالية هذا الأمر وإتصلت بوزارة المعارف العمومية فقررت الوزارة - بناء على تأكيدات من المسيو لاكو مدير مصلحة الآثار - أنه لم يتسرب شيء من هذه المكتشفات مطلقا ، وأن مراقبة مصلحة الآثار المصرية كانت دقيقة ، وأن العمال الذين كانوا قائمين بالعمل لايمكن أن يقدموا على أمر مثل هذا .

محمود سليمان غنام أفندى - قلت أنها أشاعة وأردت التثبت منها .

عبد المجيد الرمالى أفندى - أعرف أن هناك عقد إتفاق بين الحكومة واللورد كارنارفون فهل ورد به نص على دفع النفقات ؟

ويصا واصف رئيس مجلس النواب . هذا المبلغ يراد إعطاؤه على سبيل المنحة .

محمود سليمان غنام أفندى - ومن الذى إقترح منح هذه المنحة ؟

بهى الدين بركات باشا - كان اللورد كارنارفون غنيا أثناء حفرياته ، ولكن بعد وفاته أصبحت حالة أسرته على غير ماكانت عليه أثناء حياته . وليس لى أن أتدخل فى الأسباب التى أدت إلى هذا لأن ذلك ليس موضع بحث .

الرئيس - هل توافقون على مشروع القانون ؟

وافق الأعضاء على فتح إعتماد بمبلغ ٣٤٩٧١ جنيها بأغلبية ١١٠ أصوات ضد ١٦ صوتا .

وكان بين الموافقين محمد زغلول باشا الذى كان وكيلا لوزارة الأشغال ، والذى أبلغ كارتر بمنع زوجات مساعديه من دخول المقبرة ، وكان ذلك سببا مباشرا للأزمة .

وكان بين المعارضين عباس محمود العقاد ، ومحمود سليمان غنام ، وحسن يس .

ولم يكن مقرر اللجنة المالية لمجلس النواب ميخائيل غالى يعرف وهو يؤكد للنواب أن شيئا من الآثار المصرية لم يسرق من مقبرة توت عنخ آمون أن كارتر سرق أشياء كثيرة !

ولم يدرك لاكو مدير مصلحة الآثار الذى ظل فى منصبه طوال هذه المدة أن جانبا من الآثار قد سرق وهو لايدرى !

* * *

عرض مشروع القانون بعد ذلك على مجلس الشيوخ يوم ٩ من يونيه ١٩٣٠ فأحاله إلى اللجنة المالية التى وافقت عليه وعرض على المجلس بعد أسبوع فى ١٦ من يونيه

تساءل شيخ واحد وهو محمد كامل صدقى بك قائلا :

ـ هل إرتضت الأسرة قبول هذا المبلغ وليست لها مطالب أخرى ؟

قال محمد بهى الدين بركات بك :

ـ هذا المبلغ منحه وستكون المخالصة صريحة فى أنه ليس للأسرة حق المطالبة بأى شىء آخر .

قال كامل صدقى :

ـ ألا يخشى الوزير قبل أخذه المخالصة أن تتعدى مطالبها هذا المبلغ بعد أن يكون قد تقرر لها بقانون ملزم للحكومة بالدفع .

رد الوزير :

ـ ليطمئن حضرة الشيخ المحترم أصرح بأنه سبق أن تخاطبنا مع

الأسرة . وهى على إستعداد لاعطاء المخالصة على الصورة التى نطلبها .

وافق ٦٨ عضوا وعارض شيخ واحد .

* * *

أستقالت وزارة مصطفى النحاس يوم ١٨ يونيو وتولى رئاسة الوزارة أسماعيل صدقى باشا .

كتب السير برسى لورين المندوب السامى البريطانى فى سبتمبر عام ١٩٣٠ إلى وزارة المعارف المصرية يقول ان المتحف البريطانى يرغب فى الحصول على الآثار المكررة من آثار توت عنخ آمون . ولاضرر من ذلك لأن الحكومة المصرية لم تراع أثناء تسوية المسألة مع أسرة اللورد أن يدخل المتحف البريطانى طرفا فى الموضوع .

نشرت الصحف هذا النبأ . فأشهرت الأقلام المصرية تدافع عن قبر الملك الفرعونى وتقول ان قرار البرلمان المصرى نهائى . وأن الحكومة المصرية لاتستطيع أن تتنازل عن قطعة واحدة من الآثار !

إضطر المندوب السامى السير برسى لورين إلى الرد عن طريق صحيفة « الاجبشيان جازيت » الناطقة باللغة الانجليزية والتى تعبر دواما عن رأى المندوب السامى .

قالت :

أن إقتراح حصول المتحف على الآثار المكررة من المقبرة قدم فى وقت سابق قبل قرار البرلمان .

وقد أراد المتحف البريطانى أن يسجل أمله فى الحصول على القطع

المزدوجة إذا رغبت الحكومة المصرية فى التصرف فيها بإعتبار أن الكشف الذى قام به اللورد يعطى المتحف إهتماما خاصا بهذه الآثار ، ولذلك يريد أن تكون له أولوية الحصول على معظمها .

وإعترفت الصحيفة بأن دار المندوب السامى أبدت هذه الرغبة لحكومة مصر .

وهاجمت الجازييت تسريب الأخبار إلى الصحافة الوطنية»!

وقالت دار المندوب السامى « أن المتحف البريطانى يتمنى أن يكون أول من يعرض هذه الآثار خارج مصر » !

ولكن هذا الأمل لم يتحقق لبريطانيا فقد عرضت بعض الآثار فى دول أخرى ، ولم تعرض فى المتحف البريطانى إلا بعد ٤٢ عاما !

وكان واضحا من هذا الخطاب أن بريطانيا لم تيأس أبدا من الحصول على آثار من المقبرة .

* * *

بقى كارتر فى مصر حتى آخر فبراير ١٩٣٢ عندما إستطاع أن ينقل إلى المتحف المصرى بالقاهرة أخر قطعة أثرية من الخمسة آلاف قطعة تقريبا التى ضمتها تلك المقبرة التى لم تتجاوز أربع حجرات بعد ١٠ سنوات كاملة من إكتشافه التاريخى .

وأكتفى المتحف بعرض ١٧٠٣ قطع غير مكررة .

* * *

أمضى كارتر السنوات العشر الأخيرة من حياته يحفظ ويرمم ويسجل كل آثار المقبرة وألف كتابا عن قبر توت عنخ آمون فى ثلاثة أجزاء ضمت

نحو ألف صفحة ولكنه أعتبره مجرد مذكرات شخصية تروى قصة الكشف ، وأنها تمهيد للعمل العلمى الذى ينبغى أن يقوم به .

وقدر - عام ١٩٢٦ - نفقات إصدار السجل العلمى لمذكراته عن الآثار بمبلغ ١٥٠ ألف دولار . وإرتفع التقدير إلى الضعف عام ١٩٦١ وقيل أن الرقم يصل الأن إلى نصف مليون دولار .

ولم تصور هذه المذكرات بطريقة الميكروفيلم وهى محفوظة الأن فى معهد جريفيث فى أكسفورد بإنجلترا .

وعاش كارتر بعد إنتهاء عمله فى إنجلترا سبع سنوات ، لاحقه المرض ست سنوات منها فلم يستطع ، أوربما لم يفكر ، فى تنفيذ أحلامه القديمة فى البحث عن الآثار فى أثيوبيا .

وكان قد قرر فى وقت من الأوقات أن ينقب عن قبر الاسكندر الأكبر فى مدينة الاسكندرية .

وقال بعض العلماء أن كليوباترا نهبت ذهب قبر الاسكندر الأكبر لسداد ديونها .

وقال آخرون أن قيصر وأنطونيو هما اللذان نهبا القبر . ولكن كارتر قال أن المليونير الامريكى تيودور دافيز أعلن أنه إكتشف قبر توت عنخ آمون ولم يكن ذلك صحيحا ، وليس صحيحا أيضا ماقيل بالنسبة لقبر الاسكندر الأكبر .

ورأى كارتر أنه يمكن الوصول إلى القبر .

ولكن كارتر زار مصر عدة مرات ولكنه لم يعد إلى التنقيب عن الآثار وكأن كل حياته كانت وقفا على قبر توت عنخ آمون !

كرمت جامعة ييل الامريكية كارتـر فمنحتـه درجـة الدكتوراة الفخرية ، وجعلته أكاديمية التاريخ الاسبانية فى مدريد مراسلا لها .

واستقبله رئيس جمهورية الولايات المتحـدة مـرتين ، ولـكن لـم يستقبله ملك انجلترا ولم يدع ابدا إلى رقم ١٠ داوننج ستريت مقـر رئيس وزراء بريطانيا .

وكان هاينريش شليمان الالمانى مكتشف ذهب طرواده وآثـارها قـد كرمه قيصر بلاده واستقبله رئيس وزراء بريطانيا ومنحتـه جـامعة اكسـفورد درجة الدكتوارة الفخرية فى القانون واختـارته كليـة الملـكة « كوينـز كوليدج » زميلا فخريا .

ولكن الجامعات البريطانية والمصرية أمتنعت عن تكريم كارتر مع أنه بقى فى مصر أكثر من أربعين عاما يحفر وينقب عن الأثار .

ورفض الاثريون البريطانيون أعتباره واحدا منهم لأنه لم يتلق تعليمـا فى مدرسة أو جامعة .

ونظر اللورادت والنبلاء اليه على أنه خـدم أحـدهم وهـو اللـورد كارنارفون !

وظل الجميع يعاملونه فى ظل الاصول الطبقية على أنه مـن « النـاس اللى تحت » !

وأقام المتحف المصرى تماثيل نصفية - فى حديقته - لعلماء الآثار ولصوصها أيضا مثل ماريت ، وماسبيرو ، وبروكش ، وليبسيوس ، وغيرهم ولكن المتحف لم يضع تمثالا لكارنارفون أو كارتر !

* * *

مات هوارد كارتر يوم ٢ من مارس عام ١٩٣٩ ليلة عيد ميلاده السادس والستين فنعته الصحف البريطانية التى طالما هاجمته وحاربته وقالت انه من « عظماء رجال علم المصريات » .

ودفن يوم ٦ من مارس ، ولم يشيع جنازته سوى عدد محدود من الأشخاص بينهم الليدى إيفلين كريمة اللورد كارنارفون والتى أحبته فى شبابها وفتنت بعلمه وشخصيته .

* * *

بعد شهر من وفاة كارتر سمحت مصر لأذاعات العالم « بنفخ » نفيرى الملك توت عنخ الفضى والنحاسى اللذين وجدا فى المقبرة وكأنها علامة وداع لكارتر أو إستقبال توت عنخ آمون له !! .

ظل الانجليز يحلمون بأثار الملك توت خمسين عاما حتى سمحت مصر بعرض هذه الآثار فى الخارج على أن يستغل الايراد لانقاذ آثار النوبة ومعبد أبى سمبل .

عرضت خمسون قطعة - بينها قناع الملك - فى معرض مدينة طوكيو نظمته صحيفة « أساهى » اليابانية عام ١٩٦٦ .

وأقيم معرض ثان لهذه الآثار عام ١٩٦٧ فى المتحف الصغير فى باريس نظمته الحكومة الفرنسية .

ورأت صحيفة « التايمس » البريطانية أن تستعيد ذكرى عقد إحتكارها القديم فنظمت معرضا للقطع الخمسين فى المتحف البريطانى .

إستغرقت المفاوضات لعرض هذه الآثار ٣ سنوات .

وعقد إتفاق لهذا الغرض نص فيه على التأمين على الآثار المصرية بمبلغ ١٠ ملايين جنيه .

وتم التأمين على الآثار بمعدل عشرة آلاف جنيه عن كل كيلو . . بينما كان ثمن كيلو الذهب ـ فى ذلك الوقت ـ نحو ألف جنيه . . فكأن قيمة الكيلو من هذه الشحنة عشرة أضعاف كيلو الذهب !

وأمن على قناع توت عنخ آمون وحده بمبلغ مليون جنيه فى سوق لندن .

وأمن على إحدى القلادات وفيها جعران يحمل قاربا وهو من الأحجار شبه الكريمة بمبلغ نصف مليون جنيه .

وأمن على سرير محمول على بقرتين بنصف مليون جنيه .

وأمن على قلادة يعلوها قرص الشمس بمبلغ ٣٠٠ ألف جنيه .

ولم يقل التأمين على أية قطعة من القطع الخمسين التى يضمها المعرض عن خمسة آلاف جنيه وهو المبلغ الذى أمن به على عصا الرماية المعقوفة وهى عصا صغيرة من الخشب .

وإتفق على إتخاذ إجراءات غير عادية لحماية المعروضات . . بحيث لا يزيد عدد الزوار داخل المتحف ، فى أى وقت ، على ألف شخص والأعداد ، تراقب أتوماتيكيا .

شهدت إفتتاح العرض فى لندن فى مارس عام ١٩٧٢ .

نقلت آثار الملك إلى لندن ٣ طائرات الأولى حربية والثانية والثالثة بوينج ٧٠٧ ونقلت كل طائرة ألف كيلو جرام من آثار الملك ، وكان عدد الحراس داخل كل طائرة يفوق عدد الذى تولوا حراسة السير اليك دوجلاس هيوم وزير خارجية بريطانيا ، ورئيس وزرائها فيما بعد ، عندما زار مصر قبل ذلك بعام .

أشرف على شحن الصناديق الدكتور زكى إسكندر مدير عام مصلحة الآثار . . وهو كيميائى .

حرص على علاج الآثار كيميائيا وتغليفها وشحنها وملء صناديقها ببلاستيك . . ووضع كل صندوق داخل عدة صناديق مبطنة حتى تستطيع الآثار مقاومة الضغط الجوى . . والحريق !

ووصلت الطائرة بشحناتها إلى قاعدة جوية قرب مدينة أكسفورد .

قال الدكتور زكى إسكندر لمندوب الشركة البريطانية الفرنسية التى تخصصت فى تغليف هذه الشحنات الغالية :

ـ إنتهى الفصل الأول من مهمتكم .

رد مندوب الشركة :

ـ أننا عندما نقلنا لوحة « الجيوكندا » من فرنسا لأمريكا بالباخرة إتخذنا الأحتياطات ليسبح الصندوق الذى شحنت فيه لوحة ليوناردو دافنشى . . إذا سقطت الطائرة والصندوق فى البحر !

وقام السلاح الجوى البريطانى بنقل آثار الملك من القاعدة الحربية حتى المتحف البريطانى .

كان فى إنتظار كل طائرة خمسون من جنود إسكوتلاند يارد راكبى الموسيكلات لا يعرفون شيئا عن الشحنة . . ولا عن الطريق الذى سيسيرون فيه . . ويتلقون أثناء الرحلة من المطار حتى دار المتحف تعليمات لاسلكية تحدد لهم الشوارع التى يخترقونها .

وكانت سكوتلاند يارد عن طريق العقول الاليكترونية تفتح إشارات المرور أمام شحنة الآثار المصرية حتى وقفت أمام المتحف البريطانى حيث الحراسة خيالية .

وعندما إستقرت الصناديق فى الدور الأول من دار المتحف . . أحس الجميع بالأمان . . فقد أقيمت شبكة اليكترونية للحراسة . . وإنتشرت عدسات التليفزيون فى كل حجرة .

وأصبح مستحيلا إختراق أرض المتحف لأى عصابة من لصوص الآثار فأن اجراس الأنذار تدق فى كل إدارات الشرطة فى العاصمة البريطانية . . عند أية محاولة للسرقة .

وقام رجال الشرطة بمراقبة الجمهور بعدسات تليفزيونية دون أن (يندسوا) وسط الزوار .

* * *

فرض الملك توت عنخ آمون نفسه على إنجلترا والانجليز .

قالوا :

ـ كان العامل المصرى والمهندس المصرى والفنان المصرى يبدعون فى عمل هذه الآثار العظيمة بينما لانعرف نحن تاريخا لنا إلا منذ الغزو النورماندى . . أما قبل ذلك فكنا نلبس الجلود .

. . . والألوان مازالت محتفظة ببريقها مما يدل على خلود الفن المصرى القديم .

* * *

وتغيرت لندن بسبب العرض .

فى واجهات محلات المجوهرات . . قطع جديدة من الحلى والعقود تقليدا لقناع الملك وآثاره والعقود التى وجدت فى قبره . . وكان التقليد متقنا إلى الحد الذى دفع الأثريين المصريين إلى أن يطلبوا إلى صانعى هذه المجوهرات أن يباعدوا بين الأصل والحقيقة على قدر الطاقة !

وكل الشركات المنتجة للسلع الاستهلاكية أصبحت تنشر إعلانات فى صفحات كاملة من صحف لندن تتصدرها صورة كبيرة للملك توت بأعتبار أن هذه الصورة هى التى يمكن أن تجذب إنتباه الناس .

وإحدى شركات السجاير سبقت غيرها عندما نشرت صورة سيجارتها الجديدة مع صورة توت وكأنها تريد أن تقول للمواطنين . . هذه سيجارة توت المفضلة .

وهناك أدوات ومستحضرات تجميل وباروكات شعر قيل إنها من لوازم الملك وزوجته الملكة !

وفى محلات الملابس« بلوزات » وقمصان عليها رسوم لآثار الملك .

وفى محلات القمار والكازينات أوراق لعب وزهر « النرد » طاولة قالوا أن الملك الفرعونى لم يكن يلعب إلا بمثل هذا الزهر وتلك الأوراق !

حقائب وملابس وتحف وإسطوانات وقطع موسيقية وشرائط تسجيل لموسيقى قيل أن الملك كان يستريح إلى أنغامها !

وكئوس قيل أن الملك لم يكن يشرب الخمر إلا فيها .

بل ان المطاعم إبتكرت عشاء خاصا وقالت للراغبين :

ـ تناولوا عشاءكم على طريقة توت .

والأغرب من هذا كله أنهم صنعوا توابيت وعوامات للسباحة أطلقوا عليها إسم توت .

باختصار طبع توت الحياة فى العاصمة البريطانية بطابعه .

وربح التجار والمبتكرون كثيرا من وراء الملك وآثاره .

* * *

وفى قاعات السينما عرضت أفلام عن الفراعنة . . بعضها تسجيلى وبعضها روائى .

وفى قنوات التليفزيون برامج عن المعرض والملك توت ومصر القديمة والحديثة . . حتى أن مخرجا ذكيا قدم برنامجا طريفا إسمه « كيف تهرب من توت ؟ » فان هذه الآثار حاصرت الانجليز بحيث أصبح من الضرورى أن تقدم إليهم وسيلة للفرار من هذه الآثار !

ولكن الصحافة ، التى قدمت ملاحق كثيرة عن مصر ، قدمت أيضا عرضا طريفا عن تأثير الكشف الأثرى على الموضات والأزياء عام ١٩٢٢ كما قدمت أراء غريبة عما ينتظر حدوثه فى العالم كله لو أن آثار توت إكتشفت هذه الأيام !

ان ماحدث عند إكتشاف المقبرة عام ١٩٢٢ تكرر بعد نصف قرن . ولاتزال هذه الآثار تفتن العالم !

* * *

إفتتحت المعرض الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا العظمى .

تساءلت الملكة وهى تقف أمام أحد التماثيل لفرعون مصر وهو يمسك حربة قالت :

ـ ألاحظ أن التمثال الخشبى فيه إنحناءة . . هذه أول مرة أرى فيها تمثالا لفرعون مصر وهو ينحنى .

أسرع الدكتور جمال مختار مدير هيئة الآثار والدكتور أحمد قدرى الذى خلفه فى منصبه يقولان لصاحبة الجلالة :

ـ فراعنة مصر لا ينحنون . . ربما كان الخطأ فى عدم إستقرار قاعدة التمثال أو تأثير عوامل التعرية على الخشب .

إبتسمت صاحبة الجلالة . . .

وإنحنت ـ فى رقة ـ أمام قنّاع الملك !

الاعتراف

ملأت الآثار التى نهبت من مصر على امتداد ألفى سنة متاحف انجلترا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وايطاليا والولايات المتحدة كما تجمعت فى هذه الدول ، آثار أخذت قسرا من الدول المحتلة .

ونجحت الدول « المنهوبة » فى صياغة اتفاقية لإعادة ، أو رد الممتلكات الثقافية إلى بلدانها الأصلية وافق عليها المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو فى اجتماعه بتاريخ ١٤ نوفمبر عام ١٩٧٠ .

ووجه مدير عام اليونسكو نداء للدول لإعادة التراث الثقافى الذى لا يمكن تعويضه إلى أصحابه .

وعرض الأمر على الجمعية العامة للأمم المتحدة فدعت ـ أكثر من مرة ـ إلى رد الأعمال الفنية والآثار والتحف والوثائق وسائر الكنوز الثقافية أو الفنية الأخرى التى تعتبرها الدول ذات قيمة روحية وثقافية أساسية لها إلى بلدانها .

وقعت على اتفاقية اليونسكو ستون دولة حتى الآن ، بينها مصر . وقد انضمت إلى هذه الاتفاقية ألمانيا الغربية عام ١٩٧٤ والولايات المتحدة فى ديسمبر عام ٨٣ ورفضت الانضمام إلى هذه الاتفاقية كل من بريطانيا وفرنسا اللتين ترفضان إعادة الآثار . وتعللت الدولتان بأن الاتفاقية لا تضع تعويضا كاملا ومحددا للعمل الفنى !

وكانت من نتيجة هذه الاتفاقية ، والضغوط التى قامت بها الدول النامية أن بدأت عملية إعادة بعض الآثار والأعمال الفنية المحدودة إلى أصحابها الأصليين .

وأشهر الأعمال الفنية التى ردت مخطوطات أدبية من العصور الوسطى أعادتها الدانمرك إلى ايسلندا يوم ٢١ ابريل عام ١٩٧١ . حملتها فرقاطة دانمركية وخرج سكان ايسلندا ، جميعا ، ينتظرون عودة المخطوطات وأذيع الوصول والاستقبال على الهواء فى الاذاعة والتليفزيون !

وكانت ايسلندا مستعمرة دانمركية فلما استقلت عام ١٩٤٤ ظلت ربع قرن تطالب بالمخطوطات حتى وافق البرلمان الدانمركى .

أعادت فرنسا للجزائر ٣٠٠ لوحة ، وبلجيكا لزائيز آلاف القطع ، وأمريكا لجواتيمالا قطعة كانت محفوظة فى متحف بروكلين ، وقطع أخرى لبنما ، وسلمت نيوزيلندا قناعا أثريا ، إلى بابوا فى غينيا الجديدة ، وهولندا وقعت اتفاقا مع أندونيسيا لإعادة قطع هامة ، وفرنسا قدمت للعراق بعض قوانين بابل ، وردت جنوب أفريقيا إلى زيمبابوى تماثيلا لعصافير ، ومن معهد ويلكام فى انجلترا أخذت اليمن مجموعة حِمْيَرية .. وأعيدت آثار إلى أثيوبيا وأكوادور وبيرو وكينيا .. الخ .

والأمثلة كثيرة فإن سرقة الآثار شائعة حتى أن الكاتب الفرنسى الكبير أندريه مالرو الذى تولى منصب وزير الثقافة انتهز ـ فى شبابه ـ فرصة قيامه بأبحاث أثرية فى كمبوديا عام ١٩٢٧ فسرق قطعا من

معبد وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ولكن محكمة الاستئناف فى سايجون خفضت العقوبة إلى الحبس سنة مع ايقاف التنفيذ !

ورأى بعض الوطنيين أن يستردوا آثار بلادهم بأنفسهم فسرق الاسكتلنديون قطعة حجرية أثرية من كنيسة وستمنستر فى قلب لندن ليلة عيد الميلاد عام ١٩٥٠ وأعادوها إلى بلادهم .

وسرق صحفى مكسيكى أسمه جوزيه لويس كاستانيدا مخطوطا مكسيكيا من ١٨ صفحة من المكتبة الوطنية فى فرنسا وسلمها إلى معهد المكسيك للأنثروبولوجيا والتاريخ .

أما مصر فحصلت على تمثال لآمون أعادته محكمة فرنسية عام ١٩٨١ .

ولكن لا يمكن رد كل الآثار بإعادة سرقتها مرة أخرى ، وليست العملية سهلة كما أن أغلب السرقات تمت أثناء الاحتلال وفى ظروف لا يمكن أن تتكرر .

وقالت الدول التى سرقت الآثار أنه لا يوجد ما يدعو لإعادتها فاننا نعيش فى عصر يعتبر الفن بلا عنوان وملك للبشرية جميعا وأن المتاحف الآن بلا أسوار إذ يمكن تصوير كل ما فى متاحف العالم فى أفلام للفيديو تعرض فى كل مكان ، وفى البيوت أيضا فتنتقل الآثار إليك وأنت فى مكانك .

وهذه النظرية تبرر السرقة وتحمى اللصوص ويمكن الرد عليها بإعادة الآثار لأصحابها وتكتفى الدول الكبرى بهذه الأفلام !

ومن ناحية أخرى فلابد أن تتكرر مطالبتنا بإعادة بعض القطع

ذات الأهمية القومية فى حضارتنا مثل حجر رشيد وتمثال « الكاتب الجالس » و « سقف الأبراج » الزودياك المنزوع من معبد دندرة أثناء الحملة الفرنسية والمحفوظين بمتحف اللوفر وتمثال نفرتيتى بمتحف برلين الغربية .

والمطالبة لا تعنى ولا تقتضى الاستجابة ! !

* * *

بقيت الآثار المصريه التى نهبت على امتداد ألفى سنة من المومياوات والتوابيت والتماثيل والآثار وأوراق البردى فى أغلب متاحف العالم .

ولم تتمكن مصر من استرداد آثارها لأن بعضها صدر فى ظل تشريعات كانت تسمح بتصدير واهداء وبيع الآثار أيضا .

ولم تستطع مصر إقامة آلاف الدعاوى للمطالبة بآثارها إذ لا توجد أدلة قانونية يستند إليها فضلا عن أن ذلك يتكلف مئات الملايين من الجنيهات .

ورأت مصر أن تجرب أسلوب التفاوض لإعادة جزء من ذقن تمثال أبو الهول الذى نحت عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد ، والتى أضيفت للتمثال بعد ١٣٠٠ سنة من بنائه فى عهد تحتمس الرابع .

وقد وجدت الذقن بين مخالب التمثال الضخمة ، وقدمت للمتحف البريطانى حوالى عام ١٨١٨ .

طلب وزير الثقافة المصرى عبد الحميد رضوان إعادة جزء من الذقن يوجد بمخازن المتحف البريطانى للحاجة إليه فى ترميم التمثال

وبالذات لرأسه التى تزن ٩٠٠ طن .

قالت الحكومة البريطانية إن طلب مصر سيرفض إلا إذا أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن القطعة مسروقة !

ولم تذكر الحكومة البريطانية أبدا كيف حصلت على ذقن أبو الهول أو جزء منها !

عرضت مصر أن تقدم تمثال أنوبيس الذى يحتفظ المتحف البريطانى برأسه ، ويريد جسده ! !

خشى المتحف أن يعيد الذقن فتكون هذه « سابقة » لمصر وغيرها من الدول فتطالب بآثارها وقال إن قوانينه تمنع التنازل عن أية قطعة إلا إذا كانت مزدوجة وأنه مستعد لإقراضها وإعادتها لمصر مدة ١٠ سنوات على أن تحفظ بالمتحف المصرى .

قال وزير الثقافة إن هذا الجزء من الذقن الذى يرتفع نحو ثلاثة أقدام سيوضع فى تمثال أبو الهول نفسه ، ولا يمكن إعادته بعد ذلك ولابد أن يكون « القرض » دائما .

قال المتحف أن الإعادة ستمد كل ١٠ سنوات .

استمرت المفاوضات التى بدأت عام ٨٢ حتى نوفمبر عام ١٩٨٤ عندما أعلن المتحف فى الصحف الموافقة .

وفى نوفمبر ١٩٨٥ ، أى بعد عام ، أعلن السير دافيد ولسون مدير المتحف البريطانى أن ذلك الجزء من ذقن « أبو الهول » لم يعد إلى مصر ولن يعود .. وأنه ليس مطلوبا فى القاهرة ! ! .

* * *

وبقيت آثار توت عنخ آمون وحدها تطوف قطع منها فرنسا وأمريكا واليابان ثم تعود ثانية إلى مصر التى نسيت تماما عملية السرقة حتى فوجئت بصحيفة « الأويزرفر » البريطانية تنشر فى صفحتها الأولى يوم أول نوفمبر عام ١٩٨٧ أن صالة كريستى الشهيرة للمزادات ستطرح للبيع ١٢٧ قطعة من الآثار المصرية بينها اللوحة الذهبية لتوت عنخ آمون .

وهذه اللوحة تبين حفل تتويج الملك توت وحوله الإلهان « أتون » و « رع » . طولها ٩ بوصات وعرضها ٣ بوصات وهى من الأثاث الجنائزى للملك الفرعونى وجزء من عرشه .

وقالت مؤسسة كريستى أنها لا تعرف كيف وجدت هذه اللوحة أو من أين أخذت أو انتزعت !

وأضافت إن البائعين هم ورثة جامع التحف الألمانى ولهلم هورن الذى ولد فى برلين عام ١٨٧٠ ، وقد أشترى هذه التحفة الأثرية فى الثلاثينيات من هذا القرن . . أى بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون . وكان هورن صديقا لهوارد كارتر !

وقالت الدكتورة انسلى جرين مستشارة دار كريستى فى علم المصريات أن ثمن اللوحة يمكن أن يصل الى ١٥٠ ألف جنيه استرلينى فهى المرة الأولى التى تطرح فيها بعض آثار الملك الفرعونى بالمزاد العلنى .

وأضافت أن هذه القطعة سرقت من مصر !

تحركت وزارة الثقافة فى القاهرة أبلغت البوليس الدولى وراجعت

القوائم التى سجلها كارتر لمقتنيات المقبرة فتبين أنه لم يسجل هذه اللوحة وبالتالى فلابد أنها خرجت من مصر بطريقة غير قانونية .

وطلبت الوزارة إلى هيئة اليونسكو فى باريس بحث حقيقة اللوحة . وأبرقت إلى السفارة المصرية فى لندن لوقف البيع .

وكتبت السفارة المصرية إلى مؤسسة « كريستى » تحذرها من البيع لأن مصر تملك اللوحة والمزاد يعتبر غير قانونى ، واحتجت السفارة على إجرائه .

تدخل المجلس العالمى للمتاحف ، بناء على طلب اليونسكو ، فوجد أن اللوحة مزيفة ، قام بصنعها مزيف ألمانى معروف فى برلين خلال الثلاثينيات من هذا القرن .

وقال متحف برلين إن هذه القطعة مسجلة لدى المتحف فى « كتالوج » ضمن القطع المقلدة .

وأكد ذلك أيضا الأستاذ هارى جيمس مدير قسم مصر بالمتحف البريطانى الذى قال إن الخبراء البريطانيين تأكدوا تماما بعد فحصهم للوحة أنها مزورة ! .

سحبت اللوحة من « قاعة كريستى » ولم يعرف عنها شىء بعد ذلك ، وأيضا لم يعرف شىء عن اللوحة الفرعونية الأصلية !

وهكذا فرضت لوحة مزورة اسم الملك توت عنخ آمون على الصحافة المصرية والعالمية .

* * *

بعد ثلاثة شهور تقريبا أصبح اسم توت عنخ آمون موضوعا رئيسيا فى كل صحف العالم بنفس الصورة التى حدثت قبل ذلك بستين عاما : فقد نشرت صحيفة « التايمس » البريطانية يوم ٧ من مارس عام ٨٨ بعنوان عريض ضخم « مانشيت » فى الصفحة الأولى « كنوز أثرية لها علاقة بكشف توت عنخ آمون » .

وقالت « التايمس » إنها كانت أول من نشر فى ٣٠ نوفمبر عام ١٩٢٢ عن اكتشاف آثار توت عنخ آمون وهى ملحمة تزخر بالكنوز الأثرية والخيال وإرادة الانسان فضلا عن الأهمية العلمية الهائلة .

وقالت « التايمس » إنها تكشف الآن قصة مذهلة أخرى عن مزيد من الكنوز الأثرية أخفيت عن الأنظار طيلة الستين عاما الماضية فى منزل أسرة كارنارفون !

وأعلنت « التايمس » اكتشاف ٣٠٠ قطعة من الآثار المصرية فى قلعة « هايكلير » التى يملكها اللورد كارنارفون منها وجه خشبى لجد توت عنخ آمون الملك أمينوفيس الثالث الذى توفى عام ١٣٠٣ قبل الميلاد وكان يدعى أحيانا « المدهش » وكانت مصر حينئذ فى قمة ثروتها وفنها وازدهارها . ورقائق من الخزف الأزرق مختومة باسم والد أمينوفيس يرجع تاريخه إلى ٣٢٠٠ عاما ، وعقد من الخزف منذ عام ١٧٠٠ قبل الميلاد ، وزخرفة لمومياء فردت جناحيها لتلف جسد الميت وتمثال لقرابين ، وعجل أبيس مصنوع من البرونز ، وغطاء للمعصم لحمايته من السهام صنع من الجلد المزين ، ورأس مزدوجة لصقر وأبو الهول من الخزف المصرى الملون وقدران من الخزف الأزرق مزينة

برسم زهرة اللوتس باللون الأسود . ويقايا سيد قشطة وضفدعة وأسد ومجوهرات ضخمة وتمثالين من البرونز يمثلان الاله حورس الطفل وتاج أزرق وصندوق مجوهرات بمحتوياته كاملة من عقود العقيق الأحمر والجعارين . .

و . . . آثار مصرية أخرى كثيرة تكون الـ ٣٠٠ قطعة التى ذكرت الصحيفة البريطانية أنها وضعت فى القصر منذ العشرينات دون أن يعلم اللورد أو أى من أفراد أسرته بوجودها .

والغريب فى الأمر أن اللورد كارنارفون مكتشف المقبرة مات قبل أن يعلم بوجود مومياء توت عنخ آمون ، ومات ابنه دون أن يعرف بوجود هذه الآثار فى قصره ، أو أنه احتفظ « باللعنة » دواما فى قصره . . وهو لا يدرى !

ورددت الصحيفة القصة التالية ..

* * *

مات اللورد بورشستر نجل اللورد كارنارفون فى سبتمبر عام ١٩٨٦ وخلفه ابنه حفيد مكتشف توت عنخ آمون .

ولد الحفيد عام ١٩٢٤ أثناء الصراع الدامى بين ورثة جده والحكومة المصرية على ملكية الآثار ، وقد اشترك فى الحرب العالمية الثانية وأمضى ثلاثة أيام فى القاهرة أثناء الاجازة عام ١٩٤٣ .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سقط رئيس وزراء بريطانيا المحافظ ونستون تشرشل فى الانتخابات وجاء حزب العمال فظن الحفيد أن ملاك الأراضى لن يستطيعوا الاحتفاظ بها إلا إذا زرعوها

بأنفسهم فأراد أن يعد نفسه كمزارع ليتولى زراعة أرضه فلا مستقبل لتأجيرها فالضرائب باهظة .

وهكذا آلت قلعة « هايكلير » إلى الحفيد .

والقلعة ، كما هو معروف ، أقامها المهندس المعماري شارلز باري عام ١٨٤٢ وقد بنى دار البرلمان البريطاني بعد ذلك .

وتقع القلعة وسط ضيعة مساحتها ٥٥٠٠ فدان ، زرعت فيها أشجار الأرز لأول مرة في بريطانيا .

ولهذا السبب وخلافا لكثير من الضياع ظلت « هايكلير » لا تمس .

ورأى الحفيد إعادة تنظيم البيت وطلائه وجرد الأثاث والفضيات وقطع الصيني واللوحات الزيتية التي تملأ كل الحجرات وعهد بذلك إلى مؤسسة « سوثبي » المنافسة لشركة « كريستي » .

استعان اللورد بكبير الخدم السابق للأسرة واسمه روبرت تيلور وهو في الخامسة والسبعين من عمره ويعرف الكثير عن القصر ويتمتع بذاكرة قوية !

وقد التحق تيلور بخدمة اللورد عام ١٩٣٦ ، وجند في الحرب العالمية الثانية وأصبح بطلا كقائد دبابة ثم عاد إلى القلعة في يناير عام ١٩٤٦ ويبقى بها حتى اعتزل الخدمة ثم عاد ليساعد اللورد كارنارفون الجديد في تجديد القصر وجرد محتوياته .

أخذ الرجلان ، اللورد وكبير الخدم ، يتجولان في يوليو ١٩٨٧ داخل القصر الكبير .

قال اللورد :

- يبدو أن ذلك هو كل شيء فى الجرد .

قال تيلور :

- نعم يا سيدى اللورد عدا الآثار المصرية .

قال اللورد :

- انى أعرف كل شق فى القلعة وأعرف « هايكلير » أفضل من أى انسان آخر فى العالم وأظن أنه لا يوجد عندنا شيء مصرى .

وأضاف :

- أنت تعلم أن أبى كان يرفض الحديث عن مصر اطلاقا .

قال تيلور :

- كل فرد فى « هايكلير » كان يعتقد خلال فترة عملى أن الأسرة قطعت علاقتها بمصر منذ عام ١٩٢٤ بعد ما خسرت قضيتها ضد الحكومة المصرية بشأن طلب امتلاك نصف آثار توت عنخ آمون وكنا - نحن الخدم - نرى أباك خائفا من لعنة الفراعنة .

وأضاف كبير الخدم :

- هناك الدولابان السريان .

ومرة أخرى نظر اللورد إلى كبير خدمه متسائلا .

قال تيلور :

- لقد عرفت سر هذين الدولابين منذ سنين ووجدت أنهما يحويان آثارا قديمة وافترضت أن الأسرة على علم بها .

قاد كبير الخدم ، قوى الذاكرة ، اللورد إلى البابين اللذين يربطان حجرة الرسم بحجرة التدخين ، وقد ظلا مغلقين لسنوات طويلة بمناضد وضعت خلفهما . وبين البابين مساحة طولها ثلاثة أقدام فيها دولابان يمتدان داخل الحائط غطيا بأعشاب ويوحى حجمهما بأنهما يحتويان على كمية كبيرة من المواد .

وكان الدولابان مملوئين بالعلب ووبر القطن ، وكلها مخبأة فى فتحات.

فتح تيلور الدولاب الأول وأخرج علبة سجائر مصرية .

وأخرج اللورد بعض القطع المعدنية والعقود الخرزية تبرق بلون أزرق وأخضر زاه مذهل .

تعرف اللورد على بعض الآثار وقال :

ـ كنت أعتقد أن كل قطعة من الآثار المصرية نقلت من القلعة منذ زمن طويل .

وطلب من تيلور الصمت لأن فريقا سينمائيا كان ـ مصادفة ـ يصور داخل القلعة ولأن هذه المجموعة من الآثار قد تكون لها علاقة بتوت عنخ آمون .

وفى ظل هذه الحالة من الانفعال اتصل بدار « سوثبى » وكذلك هارى جيمس المشرف على الآثار المصرية فى المتحف البريطانى لفحص هذه الآثار المصرية .

ظلت شركة « سوثبى » وخبراء المتحف البريطانى يجوبون القلعة ، يفتشون غرفها ، ويفحصون كل قطعة فنية من الأثاث لعلها تكون مصرية خلال الشهور الثمانية التالية .

وبالفعل « اكتشفوا » آثارا كثيرة فى كل مكان . . تقريبا .

وجدوا بعضها فى حجرة التحميض الخاصة بالتصوير التى كان يستعملها اللورد مكتشف المقبرة .

وكان الحفيد يفحص « الكراكيب » فى حجرة التحميض هذه عندما وجد رأسا صغيرة من البرونز مثبتة عند قاعدة النافذة .

. . وتحت أنابيب التدفئة وجدوا الجعران المقدس فى مصر القديمة .

. . وفى حجرة الوثائق التى لم تستعمل منذ سنوات عثروا على زهرية كبيرة من المرمر .

. . وفى حجرة نائية مترية مليئة بالأسمال البالية كان يلعب فيها أحد أبناء العاملين « البنج بونج » رأوا قطعة من الحجر عليها نقوش بالكتابة الهيروغليفية .

وتتابع « اكتشاف » الآثار فى حجرات القلعة المهملة .

قال اللورد :

ـ كانت هناك قطع من الأخشاب متناثرة على الأرض لا نلاحظها

عادة وتحولت إلى أن أصبحت وجوها جنـازية وصنـاديق للمجوهرات ، ولم يفعل الدكتور ريفز ـ خبير ترميم الآثار فى المتحف البريطانى ـ شيئا سوى أنه ضم الشرائح جنبا إلى جنب فى المكان الذى وجدت فيه لنرى أنها صندوقا للمجوهرات !

وكان ريفز منفعلا للغاية كما لو أنه فاز فى سباق هام فهذا مجاله وأرض سباقه .

وقال :

ـ يمكن التعرف على كثير من القطع مما ورد فى كتابات هوارد كارتر بما فى ذلك مثلا علبة مجوهرات .

.. يقصد ريفز بذلك ، القول بأن هذه الآثار ليست مسروقة منذ أشار إليها كارتر فى كتاباته عن حفرياته قبل مقبرة توت عنخ آمون !

ظلت عملية البحث عن الآثار وحصرها وجردها وتسجيل قائمة بها مستمرة ثمانية شهور كاملة دون الاعلان عنها حتى أذاعت « التايمس » نبأ الاكتشاف الجديد لتعيد قصة الكشف الأول للمقبرة مما جعل اسم توت عنخ آمون يتردد مرة ثانية فى صحف واذاعات العالم .

وظلت التايمس تروى القصة لمدة اسبوع ..

وتميز النشر ، هذه المرة بالحرص الشديد .

كتب عن بعض الآثار أنها تمثل عصورا وأزمنة وتواريخ لملوك عاشوا بعد توت عنخ آمون حتى تنفى تماما أن هذه الآثار وجدت فى مقبرة توت عنخ آمون !

وقالت الصحيفة :

« اكتشفت جميع هذه القطع على يدى اللورد كارنارفون وهوارد كارتر » خلال عدة مواسم للتنقيب عن الآثار وذلك قبل كشفهما لمقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ ، أو اشتراها اللورد لضمها إلى مجموعته ، وكان اللورد وكارتر يشحنون هذه الآثار إلى « هايكلير » فى نهاية كل موسم . خلال السنوات من ١٩٠٧ حتى عام ١٩١٤ وقد وضعا كتابا عنوانه « خمس سنوات استكشاف فى طيبة » .

وقالت التايمس :

« كان الكتمان والصمت أول ما خطر على بال اللورد كارنارفون عندما اكتشف القطع لأن أية آثار مصرية تعيد إلى الأذهان ، على الفور ، اسم توت عنخ أمون .

واعتقد اللورد أن المكتشفات لابد أن تكون من مقبرة الملك الشاب .

واذا كان الأمر كذلك فمن شأنها أن تثير ضجة مع الحكومة المصرية حول المالك الحقيقى فإن المصريين احتجوا فى ديسمبر عام ١٩٨٧ على بيع قطعة ذهبية فى صالة « كريستى » قيل إنها من المقبرة .

وعلى أية حالة فقد بين خبراء المصريات هارى جيمس المشرف على الآثار المصرية القديمة بالمتحف البريطانى ومساعده الدكتور نيكولاس ريفز أن أيا من هذه القطع الهامة ليس لها علاقة مباشرة بمقبرة توت عنخ آمون على ما يبدو.

وقد نقل الخبراء محتويات الدولابين وغيرهما إلى لندن أولا حيث جرى فحصها ودراستها عن كثب ثم أعادوها إلى « هايكلير » حيث جرى مزيد من الدراسة حولها ».

وقال هارى جيمس أن القطع من مقبرة جد توت عنخ آمون أمينوفيس الثالث لها أهمية خاصة.

وحرصت الصحيفة على تأكيد أن أغلب الآثار من شرق الدلتا وسخا ومن مقبرة الملك أمينوفيس الأول وأمة وقرية القرنة وأنها جميعا اكتشفت خلال السنوات من ١٩٠٣ حتى ١٩١٤ .. أى قبل اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون!

ورغم هذه التأكيدات كلها فان « التايمس » نفسها ألقت بذور الشك فى نفس القارىء.

قالت:

* مصدر الـ ٣٠٠ قطعة التى أعيد اكتشافها فى « هايكلير » ليس مؤكدا بعد.

* لم يعرف حتى الآن من الذى وضع القطع الأثرية فى

الدولابين ، وليس معروفا ما اذا كان الهدف اخفاءها أم لا .

ويقول الدكتور ريفز :

ـ من الصعب القول بمجرد النظر إلى الدولابين ، اذا كان المفترض أنهما مخبأين أم لا ، ولا أعتقد أن أحدا يعرف جميع أسرار « هايكلير » .

ولم تقدم التايمس تفسيرا منطقيا يبرر عدم العثور على هذه الآثار المتناثرة فى كل مكان إلا بعد مرور ٦٤ سنة على اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون عندما أصبح الحديث عن استعادة مصر لهذه الآثار أمرا صعبا أو مستحيلا .

ولماذا لم يعلن عنها اللورد أو كارتر قبل بدء البحث عن مقبرة توت عنخ آمون ، ولم الحرص على إخفائها بهذه الصورة والأهم من ذلك كله :

ـ لماذا ظل اللورد يخفى أمر هذه الآثار ثمانية شهور كاملة مستعينا بالمتحف البريطانى وخبرائه حتى يمكن نسبة هذه الآثار إلى عصور أخرى من خلال إعادة دراسة التاريخ المصرى وآثاره المكتشفة ؟

وعلى أية حال فقد اعترفت « التايمس » بسرقة كارنارفون وكارتر لبعض آثار توت عنخ آمون .

قالت التايمس :

« آثار توت عنخ آمون التى ظهرت فجأة فى المتاحف الأمريكية

والأوراق التى وجدت ، بعد سنوات ، فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك تبين أنها ، أى القطع ، نقلت من المقبرة بشكل غير رسمى » .

وبررت الصحيفة البريطانية ذلك بقولها :

« هذا أمر لا يثير الدهشة فقد جرت العادة فى تلك الأيام أن يقتسم علماء الآثار اكتشافاتهم مع الحكومة المصرية بنسبة النصف ، كما كان التقاط بعض القطع قبل هذه القسمة أمرا عاديا للغاية .

وكان هذا العرف هو الذى أدى إلى انتشار وتشتت الآثار المصرية القديمة بشكل عشوائى فى جميع أنحاء العالم » !

ويعتبر هذا اعترافا صريحا بالسرقة من الصحيفة التى حصلت على حق احتكار وامتياز نشر اكتشافات كارنارفون وكارتر !

* * *

قرر اللورد فتح قصره شهرين كل عام حتى يتجول الناس داخل القصر لا ليروا المكتب والكرسى اللذين كانا يوما ملك نابليون وحجرة النوم التى كان يستخدمها اللورد الحالى وزوجته الأمريكية جين عند زفافهما ولكن ليروا الكنوز المصرية التى يرجع تاريخها إلى ثلاثة أو أربعة آلاف عام ، والتى ظهرت أخيرا لتؤكد عملية السرقة والشكوك التى راودت رجال الآثار فى مصر بأن كارنارفون وكارتر من اللصوص !

* * *

لم تتوقف الصحف عن نشر أنباء توت عنخ آمون وآثاره المتنوعة !

عادت « التايمس » ، بعد شهرين ، تكتب ، وفى الصفحة الأولى أيضا ، عن اكتشاف الحبوب والبذور النباتية الخاصة بمراسم دفن الملك الفرعونى توت عنخ آمون فى عدة صناديق للحفظ بحدائق « كيو » الشهيرة فى احدى ضواحى لندن .

قالت يوم ١٨ مايو عام ١٩٨٨ أن هذه الحبوب أحضرها كارتر معه إلى لندن عقب اكتشافه للمقبرة عام ١٩٢٢ وأودعها الحديقة .

وقام كارتر بتسجيل كل صنف من هذه الحبوب ، بعناية ، فى كتالوج ولكنها ، بمرور الوقت ، أهملت . وقد اكتشفها أحد الدارسين بجامعة لندن فقام ، بتكليف من الجامعة ، بإعادة ترتيبها وتجميعها .

وقالت الصحيفة إن المسئولين عن الحدائق أكدوا أن الحبوب يرجع تاريخها إلى عام ١٣٢٥ قبل الميلاد وتملكها الحكومة المصرية وقد أعطتها هيئة الآثار المصرية لكارتر عام ١٩٣٢ لإجراء البحوث اللازمة عليها والتعرف على نوعها .

وكانت هذه أول مرة تعلن فيها هيئة بريطانية عن استعدادها لإعادة بعض آثار الملك توت !

وعلى أية حال وافقت هيئة الآثار على احتفاظ حدائق « كيو »

بجزء من الحبوب للاستفادة بها للأغراض العلمية فى انجلترا ومؤسساتها وإعادة باقى هذه المواد لمصر .

ولم تعد لمصر ، حتى الآن ، باقى الحبوب !

* * *

وفى ١٥ يوليو عام ١٩٨٩ نشرت التايمس مرة أخرى ، وفى الصفحة الأولى أيضا أن القلعة كشفت مرة أخرى مزيدا من الكنوز المصرية .

قالت الصحيفة أنه عثر على رأس من الالاباستر ارتفاعها ٣ بوصات للملك أمينوفيس الثالث ، جد توت عنخ آمون ، تشبه تلك التى توجد فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك .

.. وأن اللورد سيفتح فى قصره قاعة شاى ثالثة يجلس فيها الناس ليروا الآثار المصرية .

ومرة أخرى قال الدكتور نيكولاس ريفز أن كارتر سجل هذه القطعة فى أوراقه وكان الجميع يعتقدون أنها فقدت !

ولم يعرف ، على وجه اليقين ، هل عثر على هذه الرأس من قبل ، أم أنها جزء من حملة الدعاية لزيارة قصر اللورد كارنارفون ! الذى رأى أن يحتفظ « باللعنة » التى أصبحت مصدر ايراد ضخم جديد .. للحفيد !

وتجدد الحديث مرة أخرى عن توت عنخ آمون ، وفى الصفحة الأولى من صحيفة التايمس .. أيضا .

نشرت الصحيفة يوم ١٥ اكتوبر ١٩٩٠ أن الدكتور نيكولاس ريفز عرف مكان أوراق البردى التى اختفت من مقبرة توت عنخ آمون ويعتقد أنها لاتزال داخل تجويف أثرى فى تمثالى الحارسين اللذين يقفان على جانبى الممر المؤدى إلى حجرة المدفن داخل المقبرة .

وقال ان بلزونى عندما اكتشف مقبرة سيتى الأول عام ١٨١٧ وجد داخل تمثال خشبى ارتفاعه ٤ أقدام لفة من أوراق البردى .

وفى تمثال من مقبرة أمينوفيس الثانى (١٤٢٧ ـ ١٤٠١ ق . م) وجد تجويفا مماثلا فى ظهره بردية ملفوفة جيدا .

وفى تمثال لحارس بالحجم الطبيعى ، يوجد بالمتحف البريطانى منذ عام ١٨٢٣ ، الأرجح أنه من مقبرة رمسيس التاسع (١١٣١ ـ ١١١٢ ق . م) نزعت طبقة ذهبية فكشفت عن تجويف يكفى لإخفاء وثيقة بردية طولها ٢٠ قدما .

وقال الدكتور ريفز أن تمثالى الحارسين بالحجم الطبيعى ، فى مقبرة توت عنخ آمون ، تخفى وظيفتهما الأصلية فهما يحرسان داخلهما أوراق البردى لأن هناك عدم استواء واضح فى صدور التمثالين طلى بالذهب لإغلاق التجويف الذى يحتمل أنه يخفى أوراق البردى .

ومعنى ذلك أنه لابد من فض التجويفين لمعرفة ما اذا كانا يخفيان أوراق البردى أم لا ؟

ومرة ثانية سيحتشد العالم فى مقبرة توت عنخ آمون فى وادى

الملوك ليعرف ماذا يخفى فى مقبرته من أسرار ، وما الذى سيكشف عنه هذه المرة فى أوراق البردى ، ان وجدت ، من حقائق تاريخ صاحب الجلالة ومصر الفرعونية ، فإن هذا الملك يتجدد كل يوم ولايريد أن يختفى اسمه خبرا من الصحف بين الحين والحين ، منذ اكتشف قبل ٦٨ سنة .

انه يفرض اسمه علينا فى رحلاته أو من داخل قبره ونتبعه فى دهشة وفى ذهول ونحن نتساءل أى سحر فيه وهل بقى سر فيه ؟! .

* * *

إذا لم تكن هذه كلها أدلة حاسمة على سرقة ملك مصر توت عنخ آمون ، فهناك ، اخيراً ، الاعتراف وهو سيد الأدلة كما يقول رجال القانون .

أوصى كارتر أن يقوم بتنفيذ وصيته ، بعد وفاته ، هارى بيرتون المصور الذى التقط كل صور المقبرة ، أما وريثته الوحيدة فهى الآنسة ووكر ابنة شقيقته .

مات كارتر فى ٢ من مارس عام ١٩٣٩ ، ويسافر انجلباك أمين المتحف المصرى الى لندن لقضاء اجازته فيكتب إليه بيرتون بأنه وجد ضمن مقتنيات كارتر الشخصية ، فى بيته بلندن ، بعض آثار توت عنخ آمون ، وأنه مقتنع بأن المكتشف سرقها وهربها بطريقة غير قانونية إلى انجلترا .

وانجلباك كان مفتشاً عاماً لآثار الوجه القبلى عند اكتشاف المقبرة ،

ولم يبلغه كارتر ليلة الاكتشاف . وشك انجلباك فى أن كارتر سرق فى تلك الليلة وغيرها آثاراً من المقبرة .

ولم يقدم انجلباك شكوى الى السلطات المصرية المسئولة بل اكتفى بإخطار ريجن السكرتير بدار المندوب السامى البريطانى الذى أبرق بذلك إلى وزارة الخارجية البريطانية فى ٧ من فبراير عام ١٩٢٣ .

ويعود انجلباك إلى القاهرة فيتبعه بيرتون مصراً على اعادة الآثار إلى المتحف المصرى .

ومرة ثانية يفضل انجلباك إبلاغ السفارة البريطانية بالسرقة بدلاً من المسئولين المصريين .

كتب فى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٩ الى السير مايلز لامبسون ـ الذى أصبح فيما بعد اللورد كيلرن ـ السفير البريطانى فى القاهرة الرسالة التالية :

« أجرؤ وأطلب مشورتكم ، وإن أمكن مساعدتكم ، فى أمر غير سار بالمرة أبلغنى به ، عندما كنت فى إجازة ، مستر هارى بيرتون الذى قام بتصوير مقبرة توت عنخ آمون لهوارد كارتر وهو منفذ وصيته ويوجد الآن بالقاهرة .

وهذا الموضوع لا يتعلق بى أو بمصلحة الآثار مباشرة . لكن ، إذا أصبح معروفاً للمصريين ، الذين قاموا أخيراً بكل ما فى وسعهم دون جدوى لاثبات أن أحد الأوربيين ، بل انجليزى ، غير أمين أو على الأقل مهمل فى مسألة الآثار ـ فسوف يثير ذلك فضيحة مروعة وسيكون له أسوأ الأثر على المسئولين الانجليز والفرنسيين فى مصلحة الآثار وفى مختلف أعمال التنقيب عنها .

ولاشك أنك تعرف أنه طبقاً لعقد هوارد كارتر مع الحكومة المصرية فإن كل ما يوجد فى مقبرة توت عنخ آمون يصبح ملكاً للحكومة المصرية .

وقد ظللت طوال السنوات الخمس الأخيرة أشك فى أن هوارد كارتر لم يسلم كل ما عثر عليه من آثار فى المقبرة للمتحف المصرى غير أن شكوكى كانت لا تقوم إلا على أقاويل .

ورغم أنى أخبرت لاكو ـ مدير مصلحة الآثار ـ بما سمعت فقد اتفق معى فى أنه لا يمكن عمل أى شىء أو تقديم تقرير رسمى فقد تقام على المصلحة دعوى تشهير وقذف .

وفى انجلترا هذا الصيف كتب لى بيرتون يقول أنه وجد بين مخلفات كارتر قطعتين تحملان اسم توت عنخ آمون . وسألنى المشورة بشأن اعادتها إلى المتحف .

أجبته قائلاً بأنى لن أمس هذه القطع فما بالك بإعادتها كما أنى لن أكون مخلب قط فى فضح سرقات رجل انجليزى وأفضل شىء هو إلقاء هذه الآثار فى نهر التيمس !

ولكنى سأقوم بالتشاور مع الدكتور دريوتون مدير مصلحة الآثار ومستر برنتون نائب أمين المتحف المصرى قبل اتخاذ قرار نهائى .

ومنذ عدة أيام دخل بيرتون المتحف المصرى دون أن تكون معه هذه الآثار وأبلغنى ، وأبلغ برنتون ، أنه بالاضافة إلى التمثالين هناك عدد كبير من التمائم الصغيرة .

ولكن الأكثر أهمية أن كارتر نقل سراً الى انجلترا مسند رأس كبير

من الزجاج التركواز ـ الأزرق يحمل ختم توت عنخ آمون ، ويساوى آلاف الجنيهات .

ومن المؤكد أن إدخال مثل هذه الآثار من الجمارك المصرية مخاطرة لا يقدم عليها انسان عاقل ، ولا يقدم عليها بيرتون تحت أى ظرف .

واقترح بيرتون ضرورة أن تقوم مس ووكر ابنة أخت كارتر ووريثته الوحيدة بإهداء أو بيع القطع إلى متحف المتروبوليتان للفنون بنيويورك ، الذى استخدم بيرتون ، مدعية أن الحكومة المصرية مدينة لهما بمبالغ كبيرة من المال مقابل الخدمات التى قدمت لها .

وليس لدى علم بذلك لكنى لا أوافق على تقديم القطع ، فهى مسروقة ، ولا يمكن اعتبارها جزءاً من ممتلكات كارتر . وقد نصحنا بيرتون بأن يدع مس ووكر تعرف رأينا فوراً بأنه ليس لها أى حق فى هذه الأشياء .

وقد أكدت أنى لن أحاول إدخال القطع فى سجل المتحف المصرى دون إبلاغ زملائنا المشرفين المصريين حتى ولو كان ذلك ممكناً .

واتفقنا أنا والدكتور دريوتون وبرنتون على أنه إذا تم تسليم القطع باسم مستعار للمصلحة فيمكننا إدخالها فى سجل المتحف باعتبار أنها « يحتمل أن تكون مسروقة من حفريات مقبرة توت عنخ آمون » . وبعد أن تصبح بين يدى بيرتون فى مصر يمكننا تفسير الأمور دون فضيحة .

وحتى إذا وصلت للصحف فلن تكون سوى مثال آخر على عدم

اكتراث كارتر أو نقول أن بيرتون عثر عليها فى منزل كارتر الذى جاء هو - أى بيرتون - إلى مصر لفحص محتوياته .

ويمكننى أن أضيف أنه تم العثور على قطع أخرى أقل أهمية فى مناسبات أخرى سابقة وأمكننا إدخالها فى سجل المتحف بهذه الطريقة .

ويمكننى القول بأنه لا يمر شهر دون تلقى قطع أثرية بأسماء مستعارة من أشخاص يعتقدون أنها تحمل لعنة ويتم إدخالها تحت اسم « هبات من مجهول » .

وقد بحثت أنا وبرنتون كل وسائل إدخال القطع إلى مصر ويبدو أن الطريقة المأمونة الوحيدة هى الحقيبة الدبلوماسية للسفارة فإذا وافقتم على ذلك سنبلغ من يهمه الأمر » .

ويسلم انجلباك للسفارة البريطانية قائمة بـ ١٨ قطعة أثرية من مقبرة توت عنخ آمون وجدت فى بيت كارتر وهى :

١ مسند رأس زجاجى أزرق مخضر .

١ « شوابى » Shawabbi كبير من الخزف الأخضر .

١ زوج « لازوردى اللون »

١ إناء صغير للشرب من الخزف الأزرق .

١ قدح صغير لمراسم الدفن من الخزف الأزرق

١ تميمة للقدم من الخزف الأزرق .

٨ أظافر لها رؤوس من الذهب

٣ زينات من الذهب من عدة الحرب .

١ لسان معدنى

* * *

كتب السير مايلز لامبسون فى ٢٩ نوفمبر ١٩٣٩ إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول :

« أنقل إليكم هنا نسخة من خطاب مستر انجلباك أمين المتحف المصرى بالقاهرة بخصوص بعض القطع من مقبرة توت عنخ آمون التى وجدت بين ممتلكات مستر هوارد الراحل فى انجلترا . وأضمن الرسالة أيضاً نسخة من خطاب مستر بيرتون أحد منفذى ورثة مستر هوارد كارتر يحتوى على قائمة بالقطع موضوع الحديث .

٢ ـ هذه القطع التى لابد أنها أخذت من المقبرة ونقلت إلى الخارج سراً ينبغى أن تعاد إلى الحكومة المصرية .

ويبين مستر انجلباك أن الاعتراف علناً بحيازة مستر هوارد كارتر غير المشروعة لهذه القطع سيثير فضيحة خطيرة ويؤثر تأثيراً عدائياً على أعمال علماء الآثار الأجانب فى مصر . والمصريون بالفعل غارقون فى حملات معادية لعلماء الآثار الأجانب .

٣ ـ هناك أيضاً مسألة الحيازة غير القانونية لعدد من الأشخاص والمتاحف فى أوربا وأمريكا لآثار مصرية .

ومن الممكن أن يدفع الكشف ، عن حيازة هوارد كارتر لقطع أثرية ، المصريين إلى التمسك باستعادة الآثار ، والتى هربت سراً من مصر ، إلى مؤسسات أجنبية أو فى حيازة أجانب .

ومن الممكن أيضاً اتهام اللورد كارنارفون الراحل بتهريب آثار توت عنخ آمون إلى الخارج .

٤ ـ واقتراح مستر انجلباك هو أن تعاد القطع الأثرية إلى مصلحة الآثار تحت اسم مستعار وأن تدخل إلى مصر فى الحقيبة الدبلوماسية لوزارة الخارجية البريطانية لتفادى فحص الجمارك وتعرفها عليها .

ويميل مستر بيرتون إلى التفكير فى أن من الأفضل له أن يعيد القطع إلى مصلحة الآثار باعتبار أنه تم العثور عليها فى منزل مستر هوارد كارتر بالأقصر الذى يقوم بتصفيته ، وبذلك يصبح الاعلان عن وجودها فيه أمراً لا غبار عليه ، ولكنه يتفق مع اقتراح مستر انجلباك فى طريقة إعادتها إلى مصر .

٥ ـ أبلغت مستر بيرتون حين زارنى يوم ٢٢ نوفمبر أنى أميل إلى أن أشرح بصراحة لرئيس الوزراء على ماهر أن قطع الآثار محل الجدل وجدت بين حاجيات مستر هوارد كارتر وأنها لابد وصلت هناك بطريق الخطأ وأننا نقترح اعادتها إلى مصلحة الآثار ، غير أننى أحيل الأمر إليكم فى انتظار التعليمات .

٦ ـ إذا نحونا هذا النحو مع على ماهر باشا فمن الممكن جداً أن يصل الأمر إلى علم الجميع .

٧ ـ والمسألة إذن هى هل نكون صرحاء نخاطر بفضيحة وبما قد يكون لها من آثار على الأعمال الأثرية فى مصر أم علينا أن نلجأ إلى الحيلة كما اقترح مستر انجلباك ومستر بيرتون .

وخطورة الاتجاه الثانى أن عدداً من الأشخاص يعلمون بوجود

القطع المسروقة ضمن ممتلكات مستر هوارد كارتر فى انجلترا .

ومن الممكن أن تتسرب الحقيقة رغم السرية البالغة المفروضة على إعادة هذه القطع الأثرية إلى مصلحة الآثار . كما أننى ـ وقد أشركت فى الموضوع ـ أشعر أن سيادتكم ستكونون أكثر شعوراً بالارتياح منى لعدم التورط فى عملية تدليس ."

٨ ـ وربما يكون الأفضل رفض أن نكون على علم بالموضوع وترك منفذى الوصية يتصرفون بالشكل الذى يرونه الناس .

٩ ـ ويمكن أن تقرروا استشارة خبراء الآثار المصرية فى لندن سراً رغم شكى فى حكمة ذلك .

وفى الوقت الراهن قد تكون مشورة سير فريدريك كينيون مدير المتحف البريطانى مفيدة رغم أنه اعتزل ادارة المتحف البريطانى الآن نظراً لأن له خبرة طويلة فى النزاعات الماضية بشأن تهريب الآثار المصرية القديمة .

١٠ ـ ومهما كان القرار فمن المرغوب فيه أن يوجه تحذير فى حينه للمنفذين وللدكتور دريوتون » .

* * *

كانت الحرب العالمية الثانية قد اشتعلت بين ألمانيا من ناحية وبريطانيا وفرنسا وغيرهما من دول أوربا من ناحية أخرى فى ٣ سبتمبر عام ١٩٣٩ ، ومع ذلك فإن وزارة الخارجية البريطانية فرغت جانباً من اهتمامها لقضية ١٨ قطعة من آثار توت عنخ آمون سرقها كارتر من المقبرة وهربها إلى لندن ووجدت فى بيته ويريد منفذ الوصية هارى

بيرتون إعادتها إلى القاهرة فى الحقيبة الدبلوماسية للسفارة البريطانية حتى لا يتهم كارتر أو اللورد كارنارفون بسرقة هذه القطع وغيرها .

قال طومسون أول مسئول فى القسم المصرى بالخارجية البريطانية عرضت عليه هذه الأوراق :

« لا أرى إعادة هذه القطع إلى مصر وأميل شخصياً إلى القائها فى نهر التيمس أو ارسالها بشكل ما إلى متحف المترويوليتان الأمريكى أو للمتحف البريطانى حيث تختفى من العالم بشكل فعال وإذا كان لابد من إعادتها فربما يمكن ذلك إذا قامت السفارة بتصرف ما لمنع فضيحة حتمية إذا ترك المديرون المنفذون يتصرفون بطريقتهم الخاصة .

ولا أحبذ فكرة إشراك الحكومة البريطانية فى الموضوع بإرسال القطع فى الحقيبة الدبلوماسية وعلى ذلك أميل إلى الموافقة على اقتراح سير مايلز لامبسون بضرورة أن يقوم بشرح الموضوع بصراحة لرئيس الوزراء » .

وأيد المسئول الثانى رأى طومسون ..

ورفض المسئول الثالث استشارة السير فردريك كينيون المدير السابق للمتحف البريطانى فى لندن .

أما السير دافيد كيللى الذى عمل فى القاهرة وأصبح وكيلاً مساعداً للخارجية البريطانية فقال :

« لست واثقاً ما إذا كان من العدل وصف مستر هوارد كارتر بأنه لص .

كانت له شكاوى مالية جادة تجاه الحكومة المصرية (التى لم يكن

لها فى الواقع نصيب فى الاكتشافات التى لفتت إلى حد كبير نظر السياح فان المجموعات الأقدم من الآثار فى القاهرة مختلطة ببعضها ولا تلقى الاهتمام الكافى) وربما يكون قد أقنع نفسه بأنه إنما يحصل فقط على جزء من مستحقاته خاصة وأنه لم يحاول أبداً أن يبيع القطع الأثرية محل النزاع .

ولا أرى سبباً لاقحام الحكومة البريطانية نفسها فى هذا الموضوع . والطريقة الوحيدة لمعالجته هى فى نظرى أن يقوم سير مايلز لامبسون بإبلاغ مستر بيرتون بأن القطع المسروقة ينبغى إعادتها . وليس هناك محل لتسترنا على الجريمة بإساءة استخدام الحقيبة الرسمية الدبلوماسية بأى شكل كما أننى غير مستعد لأن أشير بأى شكل آخر من التصرف السرى حتى يختفى إلى الأبد أن هذه القطع القيمة تم تهريبها بشكل غير قانونى من مصر .

وبخصوص رئيس الوزراء المصرى أقر بضرورة أن يخول السفير بأن يبلغ على ماهر فى الوقت الذى يراه ضرورياً بأن هذه القصة غير السارة قد وصلت إلى علمه وأنه أصر فوراً على إعادة الكنوز إلى مصر .

ومع تقديرى التام لقلقكم بشأن امكانية انتقادات معادية وغيرها من ردود الفعل السيئة إذا ، أو ، عندما تعرف الحقائق فى مصر فإنى لا أرى محلاً لأن تقوم الحكومة البريطانية بتسهيل إعادة القطع سراً والتى أخذها مستر كارتر الراحل بشكل غير مشروع والتى تم العثور عليها بين حاجياته .

وفى هذه الظروف أرى أن هناك طريقاً واحداً يمكن اتباعه وهو ابلاغ المديرين المنفذين لوصية المستر كارتر الراحل بأن القطع الأثرية محل الاشكال ينبغى إعادتها فى أقرب وقت ممكن إلى أصحابها الشرعيين » .

ويوافق وكيل الوزارة الدائم على ذلك .

* * *

وتكتب وزارة الخارجية فى ١٧ ديسمبر ١٩٣٩ إلى السير مايلز لامبسون :

« بخصوص رئيس الوزراء المصرى فإنك مخول بإبلاغ على ماهر باشا ، فى الوقت الذى تراه ضرورياً أو مرغوباً بأن هذه القصة غير السارة وصلت إلى علمك وأنك نصحت المديرين المنفذين للوصية بترتيب اعادة القطع المسروقة » .

وهكذا تتخلى وزارة الخارجية البريطانية عن مسئوليتها فى إعادة الآثار إلى مصر .

وخوفاً من أن تعرف الحكومة المصرية عن طريق دريوتون مدير مصلحة الآثار أو غيره بقصة العثور على هذه الآثار فإن الخارجية البريطانية تكتفى بلفت نظر هارى بيرتون إلى ضرورة إعادة الآثار إلى مصر بالطريقة التى يراها .

ولا يوجد فى الوثائق الرسمية ما يدل على أن السير مايلز لامبسون قد أبلغ على ماهر باشا نبأ الـ ١٨ قطعة أثرية فإن الأزمات السياسية بين رئيس وزراء مصر والسفير البريطانى تصاعدت بشدة فالسفير

يريد أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا بينما اكتفى على ماهر بقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين !

وينتهى الخلاف بتوجيه إنذار بريطانى للملك فاروق لعزل على ماهر فيرغمه صاحب الجلالة على الاستقالة بعد أزمات متعددة مع السفير البريطانى ، فى ٢٣ يونية عام ١٩٤٠ .

ويموت هارى بيرتون فى العام نفسه .

ويتبعه انجلباك بعد ست سنوات .

ولم تعد الـ ١٨ قطعة أثرية إلى مصر .

ولم يعرف أبداً ما إذا كانت هذه القطع قد بيعت إلى متحف المتروبوليتان أو غيره من المتاحف .

ولكن لأن ثمن احداها يصل إلى آلاف الجنيهات فالأرجح أن الآنسة ووكر ابنة شقيقة كارتر لم تلق هذه القطعة وغيرها فى نهر التيمس فى انجلترا ، بل اقتدت بخالها واللورد كارنارفون فى الحصول على الثمن المرتفع .

وتبقى هذه الوثائق كلها دليلاً حاسماً واعترافاً بسرقة ملك مصر !

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٥ / ٧١٢٥

مطابع الاهرام التجارية القاهرة ـ مصر

في هذة الطبعة الثانية من كتاب « سرقة ملك مصر » ، يروى الكاتب الصحفى محسن محمد آخر الأسرار عن سرقة آثار توت عنخ آمون وغيرها من الآثار ، التى امتلأت بها ـ فضلا عن متاحف العالم ـ خزائن سرية فى قصور من اكتشفوا هذة الكنوز ونهبوها لحسابهم الشخصى ، وماتوا حتى دون أن يرشدوا ورثتهم عنها ، حتى ظهرت بالصدفة .

وهذة معلومات جديدة لم تتضمنها الطبعة الأولى من الكتاب ، التى جمع فيها بين تاريخ مصر الفرعونية وتاريخ مصر الحديثة ، من واقع الوثائق المصرية والبريطانية والأمريكية ، وشرح بالمستندات عملية سرقة نفائس توت عنخ آمون وكيف تمت ومن هم اللصوص ، وعملية تهريب تمثال نفرتيتى ، ومحاولة نهب المتحف المصرى .

كما يروى الكتاب قصص رؤساء وزراء مصر الذين حافظوا على آثارها ، والذين سهلوا للأجانب سرقة هذه الذخائر .

الناشر

مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام

التوزيع فى الداخل والخارج : وكالة الأهرام للتوزيع
ش الجلاء ـ القاهرة

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر